اللغة العربية

مجلّة فصليّة محكّمة
تعنى بالقضايا الثقافيّة
والعلميّة للّغة العربيّة

العدد 67 2024

المجلس الأعلى للغة العربية

العدد
67
2024

العدد 67 2024

المجلس الأعلى للغة العربية

المجلس الأعلى للغة العربية
المراسلة : مجلة اللغة العربية - المجلس الأعلى للغة العربية
شارع فرنكلين روزفلت الجزائر - ص.ب 575 - ديدوش مراد - الجزائر
الهاتف 23.48.72.79 (213)00 الناسوخ 23.48.72.62 (213)00
madjaletalarabia@gmail.com
asjp.cerist.dz

دار النشر و التوزيع
محلية زاد تي تي
0550.97.70.76
0795 31 30 38

اللّغة العربيّة

مجلّة فصليّة مُحكّمة تعنى بالقضايا الثّقافيّة والعلميّة للّغة العربيّة

العدد السّابع والسّتُّون

المجلّد: 26 العدد: 67 سبتمبر 2024

ر.د.م.م	EISSN	الإيداع القانوني
1112.3575	6545-2600	7/ 2002

المدير المسؤول

أ.د. صالح بلعيد
رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة

رئيس التّحرير

أ. د. عبد المجيد سالمي

سكرتيرة التّحرير

أ. حنيسة كاسحي

المدقّق اللغويّ

أ. حسن بهلول

تصفيف وتوضيب

أ. العالية حمدان

هيأة التّحرير

من الجزائر	من خارج الجزائر
أ. د. صالح بلعيد	أ. د. ضياء غني العبودي. العراق
أ. د. أحمد عزوز	أ. د. عمار الفريحات. الأردن
أ. د. طاهر ميلة	أ. د. عامر صلال راهي العارضي. العراق
أ. د. طاهر لوصيف	أ. د. بلاوي رسول. إيران
أ. د. آمنة بلعلى	أ. د. أحمد علي علي لقم. سلطنة عمان
أ. د. مهدية بن عيسى	أ. د. سالمة العمامي. ليبيا
أ. د. حياة أم السعد	أ. د. أحمد الإمام. إنكلترا
أ. د. الجوهر مودر	أ. د. خليفة بوجادي. دبي
أ. د. جويدة معبود	أ. د. محمود السيد. مصر
د. الياس نايت قاسي	أ. د. أحمد علي إبراهيم الفلاحي. العراق
د. تجاني حبشي	أ. د. محمد سعيد حسين مرعي الجابوري. العراق
د. حسينة عليان	أ. د. محمد الخضر عبد الباقي. نيجريا
د. وحيد بوعزيز	أ. د. هناء محمد خلف الشلول. الأردن
د. يحي بن بهون حاج امحمد	أ. د. نعمان بو قرة. السعودية
د. سعيد بومعيزة	أ. د. علي عبد الأمير عباس الخميس. العراق
د. حميد علاوي	أ. د. نورة صبيان بخيت الجهني. جدّة
د. موسى جمال	أ. د. أنيسة سادات هاشمي. إيران
د. فتيحة لعلاوي	أ. د. خالد توكال. الإمارات العربية
د. هشام خالدي	د. خالد الطاهر. الإمارات العربية
د. عارف غريبي	
د. صالح تقابجي	
د. المبارك رعاش	
د. طيب بودربالة	
د. جميلة راجح	
د. حلومة بوسعادة	
د. محمد زوقاي	
د. عبد الرحمن خربوش	
د. نعيمة زواخ	

شروط النّشر

- ✓ تنشر المجلّة المقالات الرّصينة، ذات العلاقة بقضايا اللّغة العربيّة ومجالاتها؛
- ✓ تُكتب المقالات باللّغة العربيّة، وتلحق بملخّصين أحدهما باللّغة العربيّة وآخرهما باللّغة الإنكليزيّة؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجيّة العلميّة الأكاديميّة، وتهمّش آليًّا في آخر المقالة؛
- ✓ تخضع المقالات للتّحكيم العلميّ؛
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتّعديل في الآجال المحدّدة، إن طُلِبَ منه ذلك؛
- ✓ تُكتب المقالة بخطّ (Simplified Arabic) ببنط 14 في المتن و12 في الهوامش، وترسل على البريد الإلكتروني للمجلّة الموضّح أدناه؛
- ✓ يكون حجم المقالة بين 3000 و5000 كلمة؛
- ✓ ألاّ تكون المقالة قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكّرة أو أطروحة جامعيّة؛
- ✓ يتسلّم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذي نشرت فيه مقالته؛
- ✓ تُرفق المقالة بسيرة علميّة موجزة عن الباحث؛
- ✓ لا تعبّر المقالات المنشورة بالضّرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربيّة.

للاتّصال

abdelmadjid.salmi51@gmail.com

asjp.cerist.dz

الهاتف: 79 72 48 23 (213) 00 الفاكس: 62 72 48 23 (213) 00

المراسلة: مجلّة اللّغة العربيّة، المجلس الأعلى للّغة العربيّة

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

محتويات العدد

العناوين	الصّفحة
كلمة رئيس التّحرير أ. د. عبد المجيد سالمي	
دراســــــات لغويّـــــة	
التّغيّرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة في قراءة البصريّين -أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرميّ. أ. بن فطة عبد القادر	9-26
جماليّة البنيّة النّحويّة في لامِيّة الشّنفرى قراءة أسلوبيّة بنيويّة. د. وهيبة بهلول	27-42
مفهوم الجملة العربيّة ودلالاتها دراسة وصفيّة تحليليّة. أ. منير بوزيدي	43-57
منهج التّصويب اللّغويّ عند الحريري من خلال كتابه: درّة الغواص في أوهام الخواص. أ. نبيل جرادي أ. عبد الرحمن رداد	59-86

هجرة مصطلحات الحديث نحو مصطلحات علوم اللّغة في المعجمات المتخصّصة. 87-103
أ. الويفي فريد
أ. بن علية سميرة

ملامح من الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم؛ (دراسة تحليليّة). 105-136
د. محمد جبر السّيد عبد الله جميل

دراســـــات أدبيّـــــــــــة

النّصيّة ومصطلحا السّبك المعجميّ والحبك الدّلالي بين المعاصرة والتّراث العربيّ. 137-166
أ. غنية عيسو

نسيج التّكرار وأساليبه في شعر "أنور سلمان" (دراسة أسلوبيّة في البنيتين الإيقاعيّة والدّلاليّة). 167-187
أ. بروانة شمس الدين ريملة
أ. حسن دادخواه طهراني
أ. نعيم عموري

سيميَائيّة المنَام الكبِير للوَهْرانيّ 189-216
أ. ضيف الله الصّافي

دراســـــات نقديّـــة ثقافيّـــــة

البنيّة الإيقاعيّة في الأنشودة المدرسيّة "كتاب اللّغة العربيّة للسَّنة الثّالثة ابتدائي نموذجًا". 217-242
أ. صلاح الدين باوية

الصّراع بين التّيار الفرنكوفوني والتّيار العروبيّ حول أسباب تدهور المستوى التّعليميّ في الجزائر. 243-266
أ. لوهاب حدرباش
غرافيتيا مدينة بجاية -ممارسة لغويّة توعويّة-. 267-286
أ. سيهام بوطغان
أ. خولة طالب الإبراهيمي

افتتاحيّة العـدد

رئيس التّحرير

أ. د. عبد المجيد سالمي

تواصل مجلّة اللّغة العربيّة صدورها بانتظام فصليّ يعتمد في اعتدال عدد المقالات وصرامة علميّة في تناول موضوعاتها؛ إذ حرصت في هذا العدد على اختيار جملة من المقالات العلميّة توزّعت بين مجالاتها الثّلاثة.

ففي الدّراسات اللّغويّة اشتملت على دراسة صرفيّة افراديّة في قراءة البصريّين ومفهوم الجملة العربيّة ودلالاتها كما تناولت بالدّراسة في هذا المجال الجانب الجمالي للبنية النّحويّة في لامية الشنفرى؛ ولم تهمل من جانب آخر كتب اللّحن ومنهج التّصويب اللّغويّ عند الحريري في كتابه درّة الغوّاص كما لم ننسى موضوع البلاغة وإعجازها القرآني الكريم وبنية الإيقاع في الأنشودة المدرسيّة. وتناولت أيضًا المصطلحات وسبكها المعجميّ وحبكها الدّلالي في علاقة نصيّة، كما درست هجرة المصطلحات بين أصول الفقه وعلوم اللّغة.

وفي الدّراسات الأدبيّة حرصنا على نشر مقال تطبيقيّ لسيميائيّة المنام الكبير للوهراني لأهمّيته الأدبيّة، كما تناول العدد موضوعا عن شعر أنور سلمان ونسيج التّكرار فيه وأساليبه الشّعريّة.

أمّا في الدّراسة الفكريّة فقد جاء في المجلّة مقال خصّص للصّراع الفكريّ بين التّيار العربيّ وذلك الذي ينحاز للتّيار الفرنكوفوني في قضيّة إشكاليّة اللّغة ومن مقالات هذا العدد أيضًا دراسة غرافيتيّة لمدينة بجاية من ناحية الممارسة اللّغويّة.

نأمل أن يكون العدد كافيًا شافيًا وأن يكون مجيبا لأكثر طموحات القارئ متمنّين أن تجد لديه ملاحظات بنّاءة تفيدنا في تحسين منهجنا.

التّغيّرات الصّرفيّة وأللفاظ الفرشيّة في قراءة البصريّين

-أبو عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرميّ.

Morphological changes and verbal expressions in visual reading

Abu Amr bin AL-Alaa and Jacob AL-Hadrami

أ. بن فطة عبد القادر♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-001

تاريخ الاستلام: 23-08-2023 تاريخ القبــول: 31-07-2024

ملخّص: من قراءة دقيقة للحركة القرائيّة نجد أنّ البصريين رغبوا في أن يظهر قراؤهم ذوي شأن دون أن يقلّلوا من فضل علماء الأمصار، فالفضل لا ينهض به غير قارئ ثاقب ولغوي ضليع مثل أبي عمرو بن العلاء ويعقوب الحضرمي اللذين انطلقا من تراث لغوي ضخم، وأفادا من لغة القرآن الكريم فكانا عِلْيّة القراء على مدارسة كتاب الله لأنّه مستودع الرّقيّ اللّغويّ وموئل حكمه.

وقفا على تغيّرات صرفيّة رفيعة وألفاظ فرشيّة بديعة ما جعل من قراءتهما وثيقة ثمينة اتّسمت بالأمانة والصّدق، أعطى لها أهل الإقراء أهميّة لغويّة كبيرة، واستمدّ منها اللّغويّون مادتهم، وبنى الصّرفيون أحكامهم، فأصبح لزامًا على المتلقي أن يغوص في قراءتهما لاستخراج الدّرّة التي تضمنها فرشهما.

♥جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر، البريد الإلكتروني:
abdelkader.bemfetta@univ-mascara.dz (المؤلّف المرسل).

إنّها جوهرة منيرة لا يملّ منها المتلقي لما فيها من علم صاف، وخواطر لطيفة وبراعة في التّحليل ترسم نباهة الشّيخين على حقيقتها.

الكلمات المفتاحيّة: الألفاظ الفرشيّة؛ التّغيّرات الصّرفيّة؛ لغة القرآن؛ علم القراءات.

Abstract: From a careful reading of the reading movement, we find that the Basrans wanted their readers to appear of importance without diminishing the merit of the scholars of the regions. Al-Karim, so they were the readers to study the book of God because it is the repository of linguistic sophistication and the habitat of its wisdom.

They depended on fine morphological changes and exquisite brush words, which made their reading a valuable document characterized by honesty and honesty.

It is an enlightening jewel that the recipient does not get tired of because of its pure knowledge, gentle thoughts and ingenuity in analysis that draws the ingenuity of the two sheikhs for what it really is.

Keywords: phrasal verbs morphological changes; Quran language; the science of readings.

1. مقدّمة: أكدّ القارئان على أهميّة علم القراءات، وبذلك نشطت الحركة القرائيّة التي شملت الجوانب اللّغويّة وعلاقاتها بالفرش، وفي القرآن تعابير صرفيّة ورد فيها ذكر لأبنيّة الأسماء والأفعال، وقد نجح الشّيخان ببصيرة نافذة من إدراكها، فوضعا المبادئ الأساسيّة التي قامت عليها العلاقة بين التّغيرات الصّرفيّة وفرشهما ومن هذه المبادئ المعرفة الدّقيقة لأصول اللّغة المكنونة في القرآن الكريم، وانتقاء الشّواهد والمحفوظات المسموعة من أفواه العرب في البوادي.

تأثّرًا بالجوّ العلمي بالبصرة، فتفرّدا في مسائل صرفيّة معيّنة لهما قياس فيها لا يخرجان من مدرسة البصرة التي كانت تشكّل جبهة موحّدة بالرّغم من وجود إبداعات شخصيّة بين علمائها على نحو ما هو موجود بين القارئين. فعقلهما الفعّال سمح لهما أن يتغلغلا في سرّة الأبنيّة الصّرفيّة لإنشاء علاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، يتحركان بقوّة كبيرة ومريحة لا يشوبها الاضطراب.

واتّبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التّحليلي للوقوف على مظاهر التّفاعل المنطقي بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة لدى البَصْرِيَيْن، لما لهما من تأثير على ذهنيّة المتلقي، لا يقف اعتمادهما على القرآن الكريم في بناء هذه العلاقة وترصينها، بل نهلا من ذخيرتهم اللّغويّة، فكان يحلو لهما أن يحقّقا البراعة في صورة الفرش لتغدو قراءتهما نافذة في النّفوس.

السّؤال المطروح: هل تمكّن البصريان بهمّتهما العلميّة من التّعمّق في تجليّة علاقة التّغيرات الفرشيّة بالألفاظ الفرشيّة بالاتّكاء على استحضار مخزون حافظتهما؟

2. مفهوم الفرش:

1.2 لغة: جاء في قاموس المحيط في مادة (فَرَشَ: فَرْشاً وفِراشاً: بَسَطَهُ وفَرَشَهُ أمراً: أَوْسَعَهُ إيَّاهُ. وهوَ كَرِيمُ المَفَارِشِ: يَتَزَوَّجُ الكَرائِمَ. والفَرْشُ: المَفْرُوشُ من مَتاعِ البَيْتِ، والزَّرْعُ إذا فُرِشَ، والفضاء الواسع، والمَوْضِعُ يَكْثُرُ فيهِ النّباتُ وصِغَارُ الإبِلِ، ومنه: ﴿ومن الأَنْعَامِ حَمُولَةً وفَرْشاً﴾ (الأنعام142)، والدّقُّ الصّغَارُ من الشّجَرِ والحَطَبِ وعِرْقَانِ أَخْضَرَانِ تَحْتَ اللِّسَانِ، وبِالكَسر: ما يُفْرَشُ ج: فُرُشٌ، وزَوْجَةُ الرّجُلِ، قيلَ: ومنه: ﴿وفُرُشٍ مَرْفوعَةٍ﴾ (الواقعة34) ومَوْقِعُ اللِّسَانِ في قَعْرِ الفَمِ. هو حَسَنُ الفِرْشَةِ، بالكسر، أيْ: الهَيْئَةِ. وما أَفْرَشَ عنه: ما أَقْلَعَ. وأَفْرَشَهُ: أَساءَ القَولَ فيه، واغْتابَهُ، وأَعْطَاهُ فَرْشاً من الإبِلِ والسّيفَ: رَقَّقَهُ وأَرْهَفَهُ، وفلاناً بِساطاً: بَسَطَهُ له، كفَرَشَهُ فَرْشاً وفَرَّشَهُ تَفْرِيشاً

والمكانُ: كَثُرَ فِراشُهُ. وتَفْريشُ الدّارِ: تبْليطُها. والمُفَرَّشُ: الزّرْعُ إذا انبسطَ. وفَرَّشَ الطّائرُ تَفْريشاً: رفرف على الشّيء، كتفرَّش. وافْتَرَشَهُ: وَطِئَهُ، وذِراعَيْهِ: بَسَطَهُما على الأرْضِ، وفُلاناً: غَلَبَهُ وصَرَعَهُ، وعِرْضَه: اسْتَباحَهُ بالوَقيعَةِ فيهِ والشّيءُ: اتْبَسَطَ، وأَثَرَهُ: قفاهُ، ولِسانَهُ: تَكَلَّمَ كيفَ شاء، والمالَ: اغْتَصَبَهُ)[1].

وفي تاج العروس: (ومن المجاز: الفرش: الكذب، وقد فرش، إذا كذب ويقال كم تفرش، أي كم تكذب، وقال أبو عمرو: الفراش: موقع اللسان في قعر الفم وقيل في أسفل الحنك، وقيل فراش اللسان: الجلدة الخشناء التي تكون أصولا للأسنان العليا. وافترش ذراعيه: بسطهما على الارض، وفي الحديث: (نهى في الصّلاة عن افتراش السّبع) وهو أن يبسط ذراعيه في السّجود ولا يقلهما ويرفعهما عن الأرض إذا سجد كما يفترش الذّئب والكلب ذراعيه ويبسطهما)[2].

2 . 2 اصطلاحا: قال أبو شامة (665 ه): (القراء يسمونه ما قل دوره من الحروف، فرشا، لانتشاره، فكأنه انفرش إذ كانت الأصول ينسحب حكم الواحد منها على الجميع. وسماه بعضهم: الفروع على مقابلة الأصول، ويأتي في الفرش مواضع مطردة حيث وقعت وهي بالأصول أشبه منها بالفرش.)[3] وعرّفه الضّباع:(ما يذكر في السّور من كيفيّة قراءة كلّ كلمة قرآنيّة مختلف فيها بين القراء مع عزو كلّ قراءة إلى صاحبها ويسمى فرش الحروف وسماه بعضهم بالفروع مقابلة للأصول)[4].

من نماذج الفرش قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مقبوضة﴾ (البقرة283) (قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وابن عامر فرهان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فرُهُن.)[5] "فرِهَانٌ" جمع كثرة مفرده رهْن على وزن فعْل كثوب وثياب وكعب وكعاب ومعناه الحبس قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر38) وفي لغة العرب معناه الحبس قال زهير:[6]

وَفارَقَتكَ بِرَهنٍ لا فِكاكَ لَهُ *** يَومَ الوِداعِ فَأَمسى الرّهنُ قَد غَلِقا

(وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (رُهُن) بضم الرّاء والهاء) حجتهما جمع رَهْن كسَقْف وسُقُف فقد ورد جمع رَهْن رُهُن في شعر الأعشى: [7]

آلَيْتُ لا أُعْطِيهِ مِن أبْنائِنا *** رُهُنًا فَنُفْسِدَهم كَمَن قَدْ أفْسَدا

قدّم التّعريف اللّغويّ ذخيرة لغويّة جامعة، شعّ منها هذا الجذر الأريج وأظهر صاحباه قوة خارقة تدلّ على سدادهما في التّعامل مع رقيّه اللّغويّ وانشغلا بجوهر المادة اللّغويّة وتكوينها، أمّا الاصطلاحي فوطّد شرف علم القراءات بغيّة إنمائه وإنارة العقول، فاستوعبا صاحباه المعرفة القرائيّة، وهضما فلكه لإنارة النّزعة العلميّة في قرائح طلبة العلم.

3. التّفرّد القرائي للتّغيرات الصّرفيّة لدى كلّ قارئ: أضاف القارئان إضافات قيّمة إلى الحركة القرائيّة التي تعدّ مستودعا من المستودعات التي اكتنزت ثراء فرشيا لوّنت قراءتهما بألوان خاصّة، ودفعتهما إلى انتهاج منهج قرائي اختيرت له ألفاظ تحمل التّفاعل الحقيقي مع التّغيرات الصّرفيّة، تبرز في سياق علمي يعطيها القدرة على ردع الشّاذ، ويمنحها الأفضليّة في الثّبات وعدم الانفكاك.

استطاعا أن يقدّما صفحة متكاملة عن جهودهما ليأمنا على نفسهما ويبعدا الطّعن والتّجريح، ويؤكّدا التّزامهما بالقرآن الكريم، فتجسّدت صور هذا الالتزام في علاقة التّغيرات الصّرفيّة بالألفاظ الفرشيّة، تحرّك قراءتها تحريكا يدخل عليها التّجديد، وتمكّنها من التّعبير عن المدلولات التي تحملها العلاقة. فأخذت هذه القراءة الفرشيّة جوانب محسوسة من حياتهما العلميّة، فأعاراها قدرا كبيرا من مشاغلهما، لأنّ لها معاييرها الخاصّة لاتّصالها المستمر بكتاب الله وسنّة الفصحاء، وخضوعهما لأجواء لغويّة أصيلة، هذا نهج القارئين ومن الإنصاف يقتضينا أن نقف عند صورة كل واحد منهما.

1 . أبو عمرو بن العلاء (154 هـ): أظهر الشّيخ قوّة الشّد التي ملكت عليه بواعث الإبداع في القراءة القرآنيّة، فردّدها بكلّ إخلاص وعبّر عنها بكلّ صدق، توسّم فيها المهمّة الموحيّة وهو في رحاب القرآن الكريم فارتمى في

جنباته يستلهم منه الارتقاء اللّغويّ، فتتوقّد في نفسه نوازع الإقراء ويتحمّل تبعات الالتزام، وأخذ على نفسه كلّ مأخذ يحقّق الفرش الصّائب وقدرة التّعامل مع التّغيرات الصّرفيّة، يفرد الصّورة الواضحة لما أدرك من معطيات متفاعلة بينها وقد انفرد بمجموعة من التّغيرات الصّرفيّة تمتدّ جذورها امتداد الزّمن اللّغويّ يرعى أصولها القرآن الكريم. أهمّيتها لا تقتصر على الكميّة القرائيّة التي احتواه فرشه إنّما وثبته الصّرفيّة التي كشفت عن نباهته، وتعدّ ذخيرة من ذخائر التّراث القرائي.

ومن نماذج التّغيرات الصّرفيّة قوله تعالى: ﴿مَا اَللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة148) (قرأ أبو عمرو بالغيب والباقون بالخطاب.)[8] ربطها بالفعل (يعلمون) قبلها في قوله ﴿ وَإِنَّ الذينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾ هناك تماثل الكلام على لفظ الغيبة مادام الحديث عن اليهود، أمّا القراءة بالتّاء مجاراة فعلى قوله تعالى (وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ.

وفي قوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمُ أَبْوَٰبُ السّمَاءِ﴾ (الأعراف39) (قرأ أبو عمرو (لا تُفْتَحُ) بالتّاء خفيفة ساكنة الفاء)[9].

القراءة بالتّاء على تأنيث(الأبواب) كما قال تعالى:﴿ إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَت اَبْوَٰبُهَا﴾ (الزّمر68) والتّخفيف إجراء على قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ﴾ (الأنعام45) وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابا مِّنَ السّمَاءِ﴾ (الحجر45) وهذا الفعل يفيد التّكثير والتّقليل، ويقصد به مرة واحدة أمّا قراءة تشديد التّاء فللتكثير أي مرة بعد مرة (وهو مبالغة في الفتح، فيفيد تحقيق نفي الفتح لهم، أو أشير بتلك المبالغة إلى أنّ المنفي فتح مخصوص والفتح الذي يفتح للمؤمنين، وهو فتح قوي، فتكون تلك الإشارة زيادة في نكايتهم)[10].

وفي قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنبيٍّ اَنْ يَّكُونَ لَهُ أَسْرىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ في اِلَارْضِ﴾ (الأنفال68) (قرأ أبو عمرو(الأُسَارى) على وزن فعالى، والباقون (أَسْرىٰ) على

وزن فعلى.)[11] فالحجّة في ذلك كلمة كسالى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ (النّساء 142) (فكُسَالى) جمع كسلان وهذا الوزن يدل على عدم القدرة والنّشاط، و(أُسَارى) جمع أسير (إنّما ضموا الهمزة من أسارى وكان أصلها الفتح كنديم وقديم [كما ضمت الكاف والسّين في كُسَالى وسُكارى] وكان الأصل فيهما الفتح عَطْشان وعَطَشان.)[12] أمّا قراءة (سَكْرَى) فعلى وزن فَعْلَى مفرده سكران على وزن فعلان كعطشان وعطشى وهذه البنيّة تدل على علّة وزمانة من باب المريض والصّريع، ويجوز أن يكون مفرده سَكِرا كهرِم وهرمى (وإنّما قالوا: مرضى وهلكى، وموتى، وجرحى وأشباه ذلك لأنّ ذلك أمر يبتلون به، وأدخلوا فيه وهم له كارهون، وأصيبوا به، فلمّا كان المعنى معنى المفعول كسّروه على هذا المعنى)[13].

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصّور﴾ (مريم100) (قرا أبو عمرو بالنّون وفتحها وضم الفاء وقرأ الباقون بالياء وضمها وفتح الفاء.)[14] الفعل (يَنفَخُ) مبنيا للفاعل ونون العظمة العائدة على الله الذي أخبر عن نفسه أنّه الحاكم والآمر إسرافيل كما هو الشّأن في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّي الَانفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ (الزّمر39) المتوفِّي ملك الموت، ما يعزّز هذه القراءة ما ورد بعده ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذ زُرْقا﴾ أمّا القراءة بالياء الغيبة فمبنيّة للمجهول يقصد به إسرافيل الذي ينفخ في الصّور (النّافخ [عبد من عياد الله المأمور بالنّفخ، فالآمر الله والنّافخ] هو المأمور)[15].

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثُمُر﴾ (الكهف34) (قرا أبو عمرو: (ثُمْرٌ) و(بِثُمْرِهِ) بضم الثّاء وسكون الميم.)[16](فثُمْر) جمع (ثَمَرَة) وإسكان الميم للتخفيف (بدَنَة لبُدْنٍ، وخَشَبة وخُشْبٍ، وثَمَرَةٍ وثُمرٍ)[17] ويجوز إسكان العين كعُنق وتكون مفردة لا جمعًا، ويقصد بها الأموال. أمّا القراءة بالضّم فجمع ثمار يفيد التّكثير وهو المال الكثير يضمّ المزارع والبساتين والأنعام قال النّابغة:[18]

فَلَمّا رَأى أَن ثَمَّرَ اللَهُ مالَهُ *** وَأَثَّلَ مَوجوداً وَسَدَّ مَفاقِرَه

ومن قرأ بالفتح كعاصم فهو جمع (ثَمَرَة) من باب (بَقَرَة بَقَر).

وفي قوله تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُومِنِينَ﴾ (الحشر2) (قرأ أبو عمرو يخربون مشدّداً وباقي السّبعة مخفّفاً.)[19] (يخرّبون) مضارع(خرّب) على معنى التّكثير ومعناه يهدمون، أمّا القراءة بالتّخفيف فيقصد بها يرحلون من الفعل أخرب قال أبو عمرو: (خرّب بالتّشديد: هدّم وأفسد، وأخرب بالهمزة: ترك الموضع خرابا وذهب عنه)[20].

بلع أبو عمرو من علو القدر وجلالة العلم مبلغا كبيرا إلى أن عهدت إليه القراءة بالبصرة، تعدّدت التّغيرات الصّرفيّة ومراميها فائدة فرشه الذي عقده إلى كلّ ما يمت بصلة إلى الدّرس الصّرفي في القرآن الكريم، وما يوافق معايير اللّغة، فانبرى بما له من يد طولى في اللّغة بإضافات على الصّرف، من حيث جلاء ما بقي غامضا حتى عهده. خلا فرشه في التّغيرات الصّرفيّة من السّقط وامتاز بالدّقّة والضّبط إلاّ فيما نَدُر، فصداه كان عميقا وقف على قدم ثابتة وراسخة كسّرت الجمود القرائي وأبعدت الفجوات لتبعث الحركة القرائيّة دون معوّقات.

يعقوب الحضرمي (205 هـ): كان يعقوب دريّا وملمًّا في معرفة الصّرف العربي إلماما كافيا، أنشد في ذهنه صورة عن الدّرس الصّرفي في القرآن الكريم، فكان مخزونه هائلا في ملكته، جعله تحفة لفرشه، هذّبه في إبداع علاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة في أرقى الإبداع مع دلالة المعنى، ويبدو أثر القرآن في إحاطته بالموضوع إحاطة لا تترك شاردة ولا واردة، ولا عجب إن كان القارئ على اطّلاع واع لما أنتجته قرائح الفصحاء يساعده ذلك في إتقانه التّام لأسرار الصّرف ما يشفي غُلَّته ويأخذ ببيده إلى نتائج تسهم في إعطاء العلاقة بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة حقّها في تاريخ علم القراءات بإخلاص وبعيدا عن الأهواء.

من التّغيرات الصّرفيّة التي انفرد بها يعقوب ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة95) قرأ (يعقوب (يَعْمَلُونَ) بالخطاب والباقون بالغيب)[21] هنا الانصراف من الإخبار إلى الخطاب وفيها الالتّفات، أمّا من قرأ بالياء فعطفا على الكلام السّابق.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقٰيٰة﴾ (آل عمران28) قرأ (يعقوب (تقيّة) بفتح التّاء، وكسر القاف، وتشديد الياء)[22] (تقيّة) على وزن فَعِيلَةٍ (والدّليل أنّ يعقوب قرأ «تَقِيّة» وأصل الكلمة [وُقيّة] على وزن (فُعَلَة) فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت (وُقاة)، ثم أبدلوا من الواو تاء كما قالوا: (تُجاة) وأصله(وجاه.)[23] أمّا قراءة الجمهور(تُقاة) فهو اسم مصدر الاتقاء، أو مصدر على وزن (فُعَلة) (أصله وُقَيّة فحذفت الواو التي هي فاء الكلمة تبعا لفعل اتّقى إذ قلبت واوه تاء ليأتي إدغامها في تاء الافتعال، ثمّ اتبعوا ذلك باسم مصدره كتُّجاة والتّكْلة والتّوءَدَة والتّخْمة إذ لا وجه لإبدال الفاء تاء في مثل تقاة إلاّ هذا.)[24]

وفي قوله تعالى: ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطّيْنِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ﴾ (آل عمران48) قرأ (يعقوب (طائرا) في الموضعين)[25] يشاكل اللفظ الثّاني في قوله تعالى: ﴿فَيَكُونُ طَٰئِرَاَ﴾ على التّوحيد التّقدير، أمّا القراءة(طَيْراً) فعلى اسم جمع كصَحْب ورَكْب أو جمع طائر أو مصدر لفعل طار يطير طيراً.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ اِلْبَرِّ وَالْبَحْر﴾ (الأنعام64) (قرأ يعقوب مخفّفة الجيم ساكنة النّون. وقرأ الباقون بفتح النّون وتشديد الجيم)[26]. تشديد الجيم من الفعل أنجى ينجي وأصل الفعل نجا، ثمّ تعدى بالهمزة لقوله تعالى: ﴿وَإِذَ اَنجَيْنٰكُم مِّنَ اٰلِ فِرْعَوْنَ﴾ (الأعراف141) وقوله كذلك ﴿فَأَنجيٰهُ اُللَّهُ مِنَ النّارِ﴾ (العنكبوت23) أمّا القراءة بالتّشديد فمن الفعل نجّى ينجّي.

وفي قوله تعالى: ﴿فَيَسُبُّواْ اُللَّهَ عَدْواَ بِغَيْرِ عِلْم﴾ (الأنعام109)(قرأ يعقوب (عدُوّاً) بضم العين مع تشديد الواو، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان الدّال مع

تخفيف الواو.)[27] من الفعل عدا عَدْوًا وعدُوّاً على وزن فُعُولا معناه تجاوز مقدار الجور، والنّصب على الحال أو مفعول مطلق أو على أنّه مفعول لأجله كذلك قرأها في قوله تعالى: ﴿بَغْيا وَعَدْواً﴾ (يونس90) أمّا الثّانيّة (عَدْواَ) فمصدر بمعنى العدوان قال أبو الفتح (392 هـ): (العَدْو والعُدُوُّ جميعا: الظّلم والتّعدي لِلحق، ومثلها العدوان والعَداء)[28].

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسيٰ مِن بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلا جَسَدا﴾ (الأعراف148)(قرأ يعقوب من حَلْيِهِم) بفتح الحاء وسكون اللام.)[29] حُلْي) مفرد(حُلِيّة) مثل تمر وتمرة وقمح وقمحة، ويقصد به الجنس، أمّا القراءة بالضّم فعلى وزن فعول مفرده (حَلْي) مثل ثَدْي وثُدِيّ، (أصله «حَلَوي» فأرادوا إدغام الواو في الياء للتخفيف أبدلوا من ضمة اللام كسرة، ليصح انقلاب الواو إلى الياء، وليصح الإدغام، كما فعلوا في «مرمى»)[30].

وفي قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً اَوْ مَغَٰرَٰتٍ اَوْ مُدَّخَلا﴾ (التّوبة57) (قرأ يعقوب (اَوْ مَدْخَلاً)، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح الدّال مع تشديدها.)[31] فكلمة (مَدخل) من الفعل دخل يدخل مَدْخلا وهو اسم مكان (وحجّة من فتح الميم فجعله مصدرا لفعل ثلاثي مضمر، دلّ عليه الرّباعي الظّاهر ندخلكم أي: ندخلكم فتدخلون مدخلا أي: دخولا فدخول ومدخل مصدران للثلاثي، بمعنى واحد.)[32] وما يرجّح اسم المكان قرينة (كريم)، ووصف المكان به قال تعالى سبحانه: ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشّعراء 58) أمّا (مُدَّخَلا) فمن الفعل ادّخل على وزن افتعل، ومفتعل اسم مكان للإدّخال.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السّجْنُ أَحَبُّ﴾ (يوسف33)(قرأ يعقوب بفتح السّين وقرأ الباقون بكسرها.)[33] بالفتح مصدر الفعل سَجَن يَسْجُن سَجْنا أي حبس بمعنى أن أسجن أحبّ ممّا يدعونني إليه، أمّا بالفتح فيقصد به الموضع بمعنى سكني السّجن أحبّ إليّ من ارتكاب المعصيّة.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ الدّنْيا﴾ (طه129)(قرأ يعقوب بفتح[34] الهاء الأولى من (زَهَرَة) وسكنها الباقون.) فهي جمع زَاهر ككافر كَفَرَة وفاجر فَجَرَة، عند البصريين فتحريك الثّاني إذا كان حرفا حلقيا بعد المفتوح قال أبو الفتح: (مذهب أصحابنا في كل شيء من هذا النّحو ممّا فيه حرف حلق ساكن بعد حرف مفتوح: أنّه لا يحرّك إلاّ على أنّه لغة فيه، كالزّهْرة والزّهَرَة، والنّهْر والنّهَر، والشّعْر والشّعَرة فهذه لغات عندهم كالنّشْر والنّشَر، والحَلْب والحلَب، والطّرد والطّرد.)[35] أمّا (زَهْرَةَ) فمفرد زَهْر ويقصد بها الزّينة والبهجة.

الحصيلة الثّريّة التي توصّل إليها يعقوب تكوّنت ببطء طوال الحقبة التي قضاها بين دفتي المصحف، لتؤول إلى الذّخيرة النّهائيّة تكاملت فيها التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، فقيمتها العلميّة تعود إلى الأسلوب النّاضج الذي استوحاه من ارتوائه وتضلّعه من لغة القرآن الكريم والفصاحة العربيّة.

إنّ التّراصف بين الصّرف والفرش صورة مطابقة لانتعاش الحركة القرائيّة التي بلغت أوجّ عزّها وقتئذ محافظة على قيمة علم القراءات مرسّخة إياه في أذهان أهل الإقراء، فهيهات أن يتوقّف الإبداع فيه لأنّه غير مقطوع الجذور أو عديم الأصالة.

4. **الاتّفاق القرائي بين القارئين:** إنّ لبّ الاتّفاق كامن في طيات الرّقيّ الصّرفي في القرآن الكريم وكلام العرب الطّليق، تمدّهما الكياسة بالتّدقيق الهندسي لفرشهما الذي كشف الأسرار من حيث دورها التّصميمي لقراءتهما. كانت عنايّة القارئين بالتّفاعل المنطقي بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة ينبع من طموح ذاتي لديهما ينسجم مع الانتماء المدرسي ومعطيات الواقع المعرفي، والمدّ التّراثي، ولم يكن أمامهما إلا مواصلة العطاء، وترسّم الأساليب الموضوعيّة. كان اتّفاقهما في هذا التّفاعل متشبّثا بالأقيسة اللّغويّة بكلّ صلادة يرفضان فيه الشّاذ من أجل حمل الأمانة اللّغويّة وإيصالها إلى الأجيال القادمة.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسىٰ هَلۡ اَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِۦ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدا﴾ (الكهف65) (قرأ البصريان(رَشدًا) بفتح الرّاء والشّين وقرأ الباقون بضم الرّاء وإسكان الشّين.)[36] (الرّشَد) من الفعل رَشِد يَرْشَد ضد الزّيغ، ويقصد به هنا الصّلاح في الدّين، فالقراء أجمعوا على الفتح في قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدا﴾ (الجن14) وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ اَمۡرِنَا رَشَدا﴾ (الكهف10) ولها في العربيّة ما يشبهها مثل البُخْل والبَخَل، الحُزْن والحَزَن، أمّا القراءة بالضّم فمن الفعل رَشَد يَرْشُد، ويراد به الصّلاح قال تعالى:﴿ فَإِنۡ اٰنَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدا﴾ (النّساء6) وهناك كلمات على هذه الصّيغة مثل الرّعب قال تعالى: ﴿سَنُلۡقِي في قُلُوبِ الذينَ كَفَرُواْ الرّعۡبَ﴾ (آل عمران151) وكذلك السّحت قال تعالى:﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾ (المائدة44) والكلمتان متقاربتان في المعنى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوۡما تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَي اَللَّهِ﴾ (البقرة 280) (قرأ يعقوب وأبو عمرو(ترجعون) مبنياً للفاعل.)[37] فيها نسبة الفعل إلى المخاطبين أي إليه تصيرون، وقد اتّفق القارئان على هذه القراءة المبنيّة للفاعل في عدّة آيات في فعل الرّجوع وما يحمل معناه قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة45) وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (البقرة155) وقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف28) أمّا القراءة بضم التّاء وفتح الجيم فترجع إلى الله سبحانه وتعالى، وصيغة الفعل ما لم يسم فاعله، وما يؤيّد هذه القراءة قوله تعالى: ﴿وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَيٰ رَبِّيَ﴾ (فصلت49)لا نستهين بقلّة الاتّفاق القرائي بين الشّيخين فقد صرفا جهودهما على علم واحد أطالا فيه فأتيا بما هو أدقّ وأنفع يغني عشرات الاتفاقات القرائيّة، إذ تعددها يتسبب في السّطحيّة وتكرار الموضوعات ويكثر النّقل والاسترسال في الفرش. أسهما في طرح المسائل طرحا علميا يفضي إلى الاتّساع والإقناع، وينمي القدرة المعرفيّة فبعض القراء لم تعد لهم قراءة التّكثير، فصار يطلب التّقليل، فقلّة الاتفاق لا

يعني انعدام الملكة، وعدم وجود قدرات ناضجة لدى القارئين؛ بل كانت لهما الكياسة والدّربة في إنجاب عدد كبير من الاتّفاق القراءات في التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، لعلّ الشّيخين اجتنبا الإغراق في التّلاعب بالقياس وتحميل اللّغة ما تحتمل.

5. خاتمة: إنّ فلسفة الرّجلين كشكل راق من أشكال الوعي القرائي المؤسّس على حيويّة الممارسة العلميّة ارتبطت بعلاقة متينة بلغة القرآن وكلام العرب الفصيح مصحوبة بنباهة وحذر من خطر الانزلاق في متاهة اللحن والشّذوذ ومن أهم الخاصيات المميّزة لفلسفتها الوقوف عند التّفاعل بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، فكانا موسوعيين في معارفها، فأبو عمرو بن العلاء كان ملمّا متعمّقا في الاستعمال اللّغويّ، ويعقوب الحضرمي على درايّة بسنّة الفصحاء وعلى هذا النّحو لم يكن بالغريب أن يمتّنا فرشهما في ساحة القراءات وتقويّة فعاليتها.

إنّ التّطرّق إلى إنجازات القارئين بوجهيها الفرشي والصّرفي كأنّه المفتاح المؤسس لعلاقة التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة، ذلك أنّ الإبداعات التي توصّلًا إليها لعبت دورا رائدا في مسار النّهضة القرائيّة.

نتائج:

-أخذ الرّجلان حيّزا من الأهميّة نظرا لنتاجهما القائم على الوعي والفهم استمدّا مشروعيته وجذوره من القرآن الكريم والاستعمال اللّغويّ؛

-تمكّنا من إخصاب قراءتهما حين ربطا بين الفرش والصّرف، كما أنّ إضافاتهما الخاصّة أسهمت بشكل قويّ في وضع أسس عديدة للحركة القرائيّة؛

-جهودهما عبّرت عن مستوى النّضج الذي بلغه عقلهما، وتأثيرهما العميق في البيئة البصريّة، فظلّا مرجعين للحلقات القرائيّة؛

-متّنا التّلازم المنطقي بين التّغيرات الصّرفيّة والألفاظ الفرشيّة وفق نسق خصب أسّس لمعرفة علميّة ناميّة ومتجدّدة ذات أفق مفتوح على الإبداع.

التّوصيات:

-الاهتمام بالتّفرّد القرائي، وتوجبه الباحث إلى الاقتراب من قراءة البصريَيْن؛

-التّقريب بين ملكة السّلف في التّكامل القرائي لتأمين آفاق القراءات القرآنيّة؛

-تقويّة المعجم القرائي وتوظيفه في إعلام النّاشئة بضرورة التّواصل النّوعي الفعّال معه؛

-إقامة تفاعل إيجابي تعليمي مباشر مع هذا العلم يتمركز في شخصيتنا ودفعه لإعطاء السّلطة المطلقة.

6. قائمة المصادر والمراجع:

1. الأعشى (ميمون بن قيس)، الدّيوان مكتبة الآداب بالجماميزت.

2 . البنا (أحمد بن محمد)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر دار النّدوة الجديد، بيروت.

3. ابن الجزري (أبو الخير محمد)، النّشر في القراءات العشر، دار الكتب العلميّة بيروت.

4 . ابن جني (أبو الفتح عثمان)، المحتسب، تحقيق: علي النّجدي ناصف وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين، القاهرة ط2 1406.

5 . الدّاني (أ بو عمرو)1436، التيسير في القراءات السّبع، دار الأندلس السّعوديّة ط1 1135.

6 . الزّبيدي، تاج العروس، وزارة الإعلام، مطبعة حكومة، الكويت.

7 . زهير بن أبي سلمى، الدّيوان، شرح علي حسن فاعور، دار الكتب العلميّة، بيروت ط1 1988.

8 . ابن زنجلة، حجة القراءات (عبد الرّحمن بن محمد أبو زرعة)، حجّة القراءات تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط5 1418.

9 . أبو حيان (محمد بن يوسف بن علي)، البحر المحيط. تحقيق: أجمد عبد الموجود ومحمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1 1413.

10 . ابن مجاهد (أبو بكر) السّبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف مصر.

11. القيسي (أبو محمد مكي بن أبي طالي)، الكشف عن وجوه القراءات تحقيق: محي الدّين رمضان، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط3 1404.

12 . النّابغة، الدّيوان، تحقيق: أكرم البستاني، دار صادر، بيروت1383.

13 . سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط3 1408.

14 . السّمين الحلبي، الدّر المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق 2008.

15 . ابن عاشور (محمد الطّاهر)، التّحرير والتّنوير، تونس: الدّار التّونسيّة للنشر 1984.

16 . الفيرزوآبادي، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي مؤسّسة الرّسالة بيروت، ط5، 1996.

17 . أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلميّة بيروت.

18 . ابن خلويّة (أبوعبد الله الحسين بن أحمد) الحجّة في القراءات السّبع تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشّروق، بيروت، ط3 1399.

19 . الضّباع علي محمد الضّباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكبة الأزهريّة للتراث ط1 1420.

20 . ابن غلبون (أبو الحسن طاهر) (1412)، التّذكرة في القراءات الثّمان تحقيق: أيمن رشدي سويد، جدة ط11412.

الهوامش:

1 . الفيرزوآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ط5، 1996م، ص55.

2 . الزّبيدي، تاج العروس، وزارة الإعلام، مطبعة حكومة الكويت، 299/7.

3 . أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، 319.

4 . الضّباع علي محمد الضّباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، المكبة الأزهريّة للتراث ط 1 1420، ص10.

5 . ابن خلويّة، الحجة في القراءات السّبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشّروق بيروت ط3 1399، ص104.

6 . زهير بن أبي سلمى، الدّيوان، شرح علي حسن فاعور، ط1 دار الكتب العلميّة بيروت 1988 ط1، ص72.

7. الأعشى، الدّيوان، مكتبة الآداب بالجماميزت، ص229.

8. ابن الجزري، النّشر في القراءات العشر، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2 /223.

9 . ابن مجاهد، السّبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، مصر: دار المعارف، مصر ص280.

10. ابن عاشور التّحرير والتّنوير، دار التّونسيّة للنشر، تونس 1984، 127/8.

11 . الدّاني، التيسير في القراءات السّبع، دار الأندلس، السّعوديّة ط1 1135، ص369.

12. السّمين الحلبي، الدّر المصون تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق 2008 481/1.

13 . سيبويه، الكتاب تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة ط3 1408 648/3.

14 . ابن الجزري، النّشر، 322/2.

15 . القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، تحقيق: محي الدّين رمضان، مؤسّسة الرّسالة بيروت ط3 1404، 3 /106.

16 . ابن مجاهد، السّبعة، ص 390.

17 . ابن زنجلة، حجة القراءات حجّة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط5 1416، ص414.

18 . النّابغة، الدّيوان، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت 1383، ص70.

19. أبو حيان، البحر المحيط، تحقيق: أحمد عبد الموجود ومحمد عوض، دار الكتب العلميّة بيروت ط1 1313،8 242/8.

20 . السّمين الحلبي، در المصون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم دمشق 2008 279/10.

21 . ابن الجزري، النّشر، 291/2.

22 . البنا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، بيروت: دار النّدوة الجديد 474/1.

23 ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص 160.

24. ابن عاشور، التّحرير، 221.220/3.

25 . ابن الجزري، المنشر، 2/ 240.

26 . ابن غلبون، التّذكرة في القراءات الثّمان، تحقيق: أيمن رشدي سويد، ط1 1412 جدة ص326.

27 . نفس المرجع، ص 331.

28 . ابن جني، المحتسب تحقيق: علي النّجدي ناصف وعبد الحليم النّجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار سزكين، القاهرة ط2 1406، 226/1.

29 . ابو حيان، البحر، 390/4.

30 . القيسي، الكشف، 478.477/1.

31 . ابن غلبون، التّذكرة، 358.

32 . مكي القيسي، الكشف عن وجوه القراءات، 386/1.

33 . ابن الجزري، النّشر، 295/2.

34 . ابن غلبون، التّذكرة،436.

35 . ابن جني، المحتسب، 1/ 84.

36 . ابن غلبون، التّذكرة، ص416.

37 . أبو حيان، البحر المحيط،356/2.

جماليّة البنيّة النّحويّة في لاميّة الشّنفري

قراءة أسلوبيّة بنيويّة

The aesthetics of the grammatical structure in Al-Shanfari's Lamiya

Structural stylistic reading

د. وهيبة بهلول♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-002

تاريخ الاستلام: 09-10-2023 تاريخ القبـول: 31-07-2024

ملخّص: تهدف هذه الورقة البحثيّة إلى تسليط الضّوء على إحدى أبرز البنى الأسلوبيّة في لاميّة الشّنفري ممثّلة في البنيّة النّحويّة باعتبارها من العلامات الدّالة على الثّورة الفنيّة والفكريّة للصعاليك؛ ومن ثم محاولة الكشف عن شعريّة هذه الأخيرة ودورها في إرساء الدّلالة الرّئيسيّة لنصّ اللاميّة، والمتمثّلة أساسًا في انفصال الأنا عن أبناء قومها.

وسيتحقّق هذا الهدف اعتمادا على نظريّة الأسلوبيّة البنيويّة لميشال ريفاتير وتحديدًا على ظاهرة الانزياح والخروج عن المألوف.

كلمات مفتاحيّة: لاميّة الشّنفري؛ البنيّة النّحويّة؛ الأسلوبيّة البنيويّة؛ الانزياح.

♥جامعة الشّيخ العربي التّبسي، تبسة، الجزائر، البريد الإلكتروني: abdarrahimmenaceur@gmail.com (المؤلّف المرسل).

Abstract: This mission emerges in shedding light on one of the most prominent distinctive structures in Al-Shanfari's Lamiya, represented in the grammatical structure through the titles indicating the artistic and intellectual revolution of the Tramps; Then we try to reveal this last poeticism in establishing the main significance of the Lamaist text, and the main representation in dismantling the ego from its people.

This goal is verified based on the incremental theory of Michel Riffater and the occurrence of the phenomenon of displacement and departure from the norm.

Keywords: Lamiya Al-Shanfari; grammatical structure; structural stylistics; Shift.

1. مقدّمة: تتنوّع الأساليب والظّواهر اللغويّة في الأدب شعرًا ونثرًا، ولعلّ أبرز الاتجاهات النّقديّة الحديثة التي تُعنى برصدها ومدى انتشارها في النّصوص الأدبيّة هي الأسلوبيّة البنيويّة لميشال ريفاتير؛ حيث أنّه في هذا الدّراسة سيتم التّركيز فقط على الظّواهر النّحويّة التي تلعب دورا بنائيا في نصّ اللاميّة؛ والمقصود بالدّور البنائي أن يكون لهذه الظّواهر تأثير مباشر على توقع القارئ وهذا ما تقول به أسلوبيّة ريفاتير؛ الذي يولي اهتمامًا بالغًا لدور القارئ في انتاج النّصوص الأدبيّة، ومن ثم فتلك التي تخرق توقع القارئ وتفاجئه وتحدث صدمة غير متوقّعة عنده هي التي تهمّه في تحليل هذا النّص الشّعري. أمّا الظّواهر التي لم تُحدث عنده هذه المفاجأة –خرق التّوقع–فإنّ القفز عليها سيكون الأولى؛ وذلك حتى لا تتشتّت القراءة بينها وبذلك يتشتت هدف هذه الدّراسة والمتمثّل أساسا في استكناه القيم الجماليّة والدّلاليّة المتواريّة خلف البنيّة النّحويّة باعتبارها بنيّة أسلوبيّة لغويّة مركزيّة في نصّ اللاميّة.

ولعلّ من أبرز التّساؤلات التي تفرض نفسها علينا بإلحاح في هذا المقام: ما المقصود بالأسلوبيّة البنيويّة عند ميشال ريفاتير، وأين موقع البنيويّة والقارئ فيها؟ وما المقصود بمقولة الانزياح عند ريفاتير، وكيف سنطبق هذا الإجراء

على اللاميّة، وكيف سيتيح لنا ذلك رصد مظاهر البنيّة النّحويّة فيها، وكيف سنستجلي شعريّة هذه البنيّة ونواشجها بالدّلالة المركزيّة لنصّ اللاميّة والمتمثلة أساسا في انفصال الأنا عن أبناء قبيلتها؟ كل هذه التّساؤلات ستحاول هذه الدّراسة الإجابة عنها.

2. لمحة عن الأسلوبيّة البنيويّة عند ميشال ريفاتير: تعدّ أسلوبيّة ميشال ريفاتير (Michael Riffaterre) أشهر الأسلوبيات التي أراد لها صاحبها أن تتّسم بأكبر قدر ممكن من الموضوعيّة؛ إذ إنّه خالف رومان جاكبسون الذي "كان يبني موضوعيته في التّحليل من خلال التّشديد على الرّسالة نفسها؛ أي على تحليل البنى اللسانيّة في النّص الشّعري من دون مراعاة العوامل المقاميّة أو الظّروف للمؤلّف أو القارئ، بينما يبني ريفاتير موضوعيته على استجابات القارئ التي وإن تكن –في جوهرها– ذاتيّة إلاّ أنّ منابعها لسانيّة في الأصل"[1] (ناظم، 2002). فالأحكام التي تصدر عن القارئ –حسب ريفاتير–إنّما صدرت نتيجة لمثيرات موجودة في النّص، وإن كان موقف القارئ موقفًا شخصيًّا فمن المؤكّد أنّ السّبب الذي ولد هذا الموقف إنّما هو سبب موضوعي وثابت –أي لغة النّصّ–فلهذا يرفع ريفاتير " شعاراً له هو عبارة لا دخان بلا نار، فمهما كان أساس حكم القيمة الذي يصدره القارئ؛ فإنّه يصدر نتيجة لمثير ما في النّصّ وربّما كان موقف القارئ شخصيًّا إلاّ أنّ سببه يظل موضوعيًّا وثابتا"[2] (عزام، 2004).

فالقارئ يأخذ على عاتقه –في أسلوبيّة ريفاتير–مهمّة استكشاف البنى الأسلوبيّة في النّص إلى جانب البحث عن القيم الجماليّة والرّؤى الفكريّة التي تقبع خلفها. ومن ثم لم يقصر ريفاتير عنايته على البنى اللسانيّة فحسب؛ وإنّما حاول أن يضع بؤرة أخرى للتحليل الأسلوبي هي القارئ، فالبحث الأسلوبي عنده يستدعي انتقاء وقائع أسلوبيّة (بنى أسلوبيّة) متميزة من طرف القارئ ولا يمكن فهم هذه الأخيرة إلاّ في اللغة، فهنا نجد ذلك الحوار المنتج بين القارئ

والنّص؛ إذ لم يعد هذا الأخير هو الذي يمارس سلطته على القارئ وإنّما يقوم القارئ هو الآخر بممارسة سلطته على النّص.[3] (ناظم، 2002)

وإذا كان للقارئ –عند ريفاتير–دور مهم في استكناه الوقائع الأسلوبيّة، فإنّ السّياق يمثّل عنده محور التّعرف على هذه الوقائع–البنى–ولا يقصد به ذلك السّياق اللغوي أو المقام وإنّما يمثّل عنده "نموذج لغوي ينكسر بعنصر غير متوقّع، والتّضاد النّاجم عن هذا الاختلاف هو المثير الأسلوبي"[4] (فضل 1998)؛ وهنا يمكن أن نفهم جيّدًا الدّور الذي أوْكله ريفاتير للقارئ، وهو التّقطن لهذا السّياق وذلك عن طريق المنبهات الأسلوبيّة التي تلفت انتباهه وتحرك ذهنه وتحشد كل أفكاره نحوها. والأمر الذي يُحدث هذه المنبهات عند القارئ هو ما يعرف في أسلوبيّة ريفاتير بالتّضاد البنيوي أو الأسلوبي وهو الذي ينشأ من المتوقع واللامتوقّع عند القارئ. فالتّضاد وفق هذا التّصور لا يشكل ثنائيّة ضديّة في المعنى أو الدّلالة وإنّما يشكل ثنائيّة بنائيّة بين المتوقّع واللامتوقّع عند القارئ، ولذا عُدّ التّضاد الذي يخرق السّياق الأسلوبي هو المنبه الذي يلفت انتباه القارئ. ويوضّح ريفاتير ذلك بقوله: "ليس الشّأن في الأسلوب بناء على هذا التّصور (التّضاد عند ريفاتير) توالي المجازات والصّور وفنون القول المختلفة والإلحاح على بعض أجزاء النّص؛ وإنّما يولّد بنيّة النّص الأسلوبيّة اشتمال المقطوعة أو الفقرة على عناصر وقع إبرازها والإلحاح عليها تقابلها عناصر لم يقع إبرازها والإلحاح عليها، ونعني بهذا الثّنائيات التي يكون قطبها (السّياق وما يُضادُه) في علاقة لا تنفصم"[5] (صمود، 1997). من هنا نفهم أنّ الواقعة (البنيّة) الأسلوبيّة عند ريفاتير تتشكل من السّياق وما يُضاده.

يقسم ريفاتير بناء على ما سبق السّياق إلى سياق داخلي يولد التّضاد وسياق خارجي يعدِل منه:

أ–"سياق داخل الوحدة الأسلوبيّة أو الحدث الأسلوبي وهو السّياق المولد للتّضاد أو الخلاف ويسميه السّياق الأصغر"[6] (صمود، 1997)، ولهذا السّياق

وظيفة بنيويّة باعتباره قطبا لثنائيّة يتقابل عنصراها، وهذه الثّنائيّة مشكّلة من (السّياق والتّضاد)؛ فالسّياق الذي يمثّل القطب الأوّل من هذه الثّنائيّة هو عنصر متوقع عند القارئ، أمّا التّضاد فهو العنصر الغير متوقّع عنده، وهنا تتشكّل –حسب ريفاتير–ثنائيّة بنيويّة تنبّه القارئ وتُثيره لاكتشاف البنيات الأسلوبيّة المشكّلة للنّص الأدبي.

ب–سياق خارج الوحدة الأسلوبيّة: ويطلق عليه ريفاتير بالسّياق الأكبر وهو عنده نوعان: سياق داخل الوحدة والآخر خارجها. وفي هذا المقام يهمنا فقط النّوع الأوّل والذي هو نوع يقع فيه قطع النّموذج أو العبارة بعنصر غير متوقّع ثم يعود الكلام إلى نظامه وصورته:

سياق ⟵ وجه أسلوبي / مسلك أسلوبي ⟵ سياق. "ويتميّز هذا النّموذج بالعودة إلى السّياق الأوّل بعد الإجراء الأسلوبي (الوجه الأسلوبي) الذي مهد له"[7] (العدوس، 2007). فتوظيف كلمة غريبة عن الشّفرة المستعملة مثال على هذا النّوع من السّياق (الأكبر)، فأن تقول على سبيل المثال وأنت تصف رحلة نهاية الأسبوع: خرجت من منزلي بالمعادي مصطحبا معي القبيلة لأقضي يومين على شاطئ الإسكندريّة، فالعبارات قبل كلمة (قبيلة) هي شفرة عاديّة معاصرة تتناسب معها كلمة الأسرة أو الأهل؛ أمّا أن تعبّر عن هذه الأسرة بالقبيلة فهذه الأخيرة كلمة دخيلة على السّياق السّابق لها واللاحق.[8] (فضل 1998)؛ ومن ثم فكلمة قبيلة تختلف عن بقيّة كلمات الجملة، من هنا كان لها تأثير مضاد للجزء الأوّل من العبارة الذي يمثّل السّياق الأصغر الوارد قبل كلمة قبيلة، وبعد ذلك تعود الجملة لتسير بشكل عادي وفي إطارها المألوف ممّا يكوّن النّموذج الأوّل للسياق الأكبر.

السّياق ⟵ الذّهاب إلى الرّحلة

الوجه أو المسلك الأسلوبي ⟵ اصطحاب القبيلة (الأسرة) وهذا انحراف فيه خروج عن المتوقّع.

العودة للسياق ⟵ قضاء يومين على الشّاطئ.

3. جماليّة التّركيب النّحوي في نص اللاميّة: لا يوجد في النّص الشّعري بنيّة تشكل بؤرة لوحدها؛ بل إنّ كل بنى النّص الشّعري هي عباره عن بؤر لأنّها صيغ متعدّدة لمولد بنيوي واحد. فالنّص في حقيقة الأمر تنويع أو توزيع لبنيّة واحدة ويأتي الاهتمام بالبنيّة النّحويّة في نص اللاميّة انطلاقا من كون هذه البنيّة تشكل بؤرة أساسيّة تتبني عليها شعريّة هذا النّص. وفي هذا المقام سيتم التّركيز فقط على الظّواهر النّحويّة التي يشكّل تردّدها ظاهرة اسلوبيّة لها أبعادها الجماليّة والمتعلّقة بالبؤرة المركزيّة للنص والمتمثلة في تعرض الأنا لأزمة حادة مع قبيلتها وانفصالها عنها. ولذا سيتم تفكيك هذه البنيّة وإعادة تركيبها من منطلق أنّ التّحليل الأسلوبي البنيوي هو المنهج المتبع في هذه الدّراسة؛ والذي يعتمد في" أساسه على فك البناء لغويا وتركيبيا لإعادة بنائه دلاليا ممّا يستدعي تحديد الأجزاء المراد تحليلها وتبيان دورها وكشف العلاقات بينها وتفسير الاشارات الواردة فيها، من أجل تكوين بنيّة لغويّة ذات صبغة فنّيّة خاصّة"[9] (الجزار، 2002).

3. 1 الفصل: نفتتح تتبع البنى النّحويّة في نص اللاميّة بظاهرة الفصل بين أركان الجملة، والتي انتشرت وشاعت بصورة ملفتة للانتباه الأمر الذي جعل منها ظاهرة أسلوبيّة تستحق الدّراسة؛ وذلك حتى يستكنه القارئ من خلال رصده لها القيم الجماليّة المتولّدة عنها، وهو المسعى الذي تهدف إليه الأسلوبيّة البنيويّة والتي تعتمد أساسا على ظاهرة العدول والانزياح عن المألوف؛ فالفصل بين أركان الجملة العربيّة هو خروج عن القاعدة (انزياح). وهو ما يعدّ منبها أسلوبيا للقارئ على وجود بنيّة أسلوبيّة معينة حسب ريفاتير.

ولعلّ أوّل بيت شعري في اللاميّة نرصد فيه ظاهرة الفصل البيت الثّالث عشر والذي يقول فيه الشّنفرى:

إذا زَلَّ عنها السّهْمُ حَنَّتْ كأنَّها*** مُرَزَّأةٌ تثكَلَى تَرِنُّ وَتَعْـــوِلُ

فقد فصل الجار والمجرور (عنها) بين الفعل(زلّ) وفاعله (السّهم) ولعلّ هذا الفصل في التّركيب النّحوي للجملة ينشأ عنه بعد جمالي هام في إبراز دلالة النّص؛ إذ إنّ حركة خروج السّهم وانطلاقه من القوس منفردا هي أشبه ما تكون بحركة الأنا وانفصالها عن قومها/ الآخر. فالشّنفرى بهذا يعود إلى فاتحة النّص مستمدا منها صورة انشطار الفاعل إلى ذاتين (الأم /الابن) و(القوس/ السّهم) وممّا يرجح هذه الفرضيّة القبيلةـ القوس، الانا ـــ السّهم هو ردة الفعل التي تبرزها القوس حيال هذا الانفصال عن طريق المشبه به (مرزّأة ثكلى)، فالقوس وهي من عالم الجماد تحزن وتعول لانفصال السّهم عنها في حين أنّ القبيلة وهي من عالم الأحياء لا تبدي مثل هذا الإحساس وهذا ما يحزُّ في نفس الأنا. ومن ثم فالفصل بين عناصر الجملة لا يمكن أن نحصره في مقتضيات الوزن والضّرورات الشّعريّة؛ بل إنّ لهذا الفصل أبعاده العميقة التي لها تأثير مباشر في التّشكيل الفني والدّلالي لنص اللاميّة.

وإذا انتقلنا إلى البيت الأخير من اللاميّة والذي حوى هو الآخر ظاهرة الفصل بين أركان جمله فإنّه بذلك يمكننا أن نؤكّد دلالة الفصل السّابقة؛ حيث يقول الشّاعر:

إذا الأمعزُ الصّوّانُ لاقَتْ مَنَاسِمِي*** تَطَايَرَ مِنْهُ قَـــادِحٌ وَمُفَلَّلُ

فقد فصل الجار والمجرور من والهاء بين الفعل (تطاير) وفاعله (قادح) فالصّوّان تلك الحجارة الملساء الصّلبة لا يمكن أن يتطاير منها قادح النّار إلاّ اذا احتكّت بصوان صلب مثلها؛ غير أنّ القادح في البيت السّابق تطاير من احتكاك مناسم (القدمين) مع الصّوان. فالأنا بذلك تختلف عن عالم الإنسان في هذا الأمر فمن الطّبيعي إنّ احتكاك لحم القدمين مع الحجارة الصّلبة (الصّوان)لا يولّد أيّ شرارة؛ غير أنّ الأنا تنفصل عن عالم البشر في هذا الأمر. فهي متجلّدة صلبة قويّة كحجر الصّوان. فالفصل بين أركان الجملة في

البيت السّابق يوازيه انفصال الأنا عن الآخر عالم الانسان/القبيلة. وهذا ما يكثّف دلالة التّوتّر والانفصال بين الأنا والآخرين من أبناء قبيلته.

وإذا استكملنا تتبع مسار الفصل بين أركان الجملة في باقي الأبيات التي تجلّت فيها هذه الظّاهرة النّحويّة، سنجد دلالة الانفصال تنتج وتتولد عن هذه الظّاهرة في كل مرّة، فهذا الشّنفرى يقول:

أُديمُ مِطَالَ الجُوعِ حتّى أُمِيتَهُ *** وأَصْرِفُ عَنْهُ الذّكْرَ صَفْحاً فأُذْهَلُ

فقد فصل الجار والمجرور عنها بين الفعل والفاعل (أصرف) والمفعول به (الذّكر)، ويتوازى مع هذا الفصل انفصال الأنا عن عالم الإنسان مره أخرى فهي تتحمّل الجوع وتصبر عنه وتنساه إيباء وترفعا عن الآخر حتى أنّها ترضى بأن تُطوى وتُفتل حواياها (أمعاؤها) كما تفتل الحبل، في حين أن لا أحـــد مـن عـــالم البشر يمـــكن أن يـتحمّل مثل هذا الأمر أبدا.

وَأَطْوِي على الخَمْصِ الحَوَايا كَما *** انْطَوَتْ خُيُوطَةُ مارِيٍّ تُغَارُ وتُفْتَلُ.

فهنا فصل الجار والمجرور (على الخمص) بين الفعل مع فاعل (أطوي) والمفعول به (الحوايا) وظاهرة الفصل هذه بين أركان الجملة شكلت بنيّة أسلوبيّة رئيسيّة أسهمت بشكل كبير في إرساء دعائم التّشكيل الفنّي والدّلالي لنص اللاميّة. خاصّة في تكثيف دلالتّه المركزيّة والمتمثلة في الانفصال بين الشّنفرى وقبيلتة ونلحظ ظاهرة الفصل أيضا في قول الشّنفرى:

فَضَجَّ وَضَجَّتْ بالبَرَاحِ كأنَّها ***وإيّاهُ نُوحٌ فَوْقَ عَلْيَاءَ ثُكَّلُ

فقد فصلت الجملة الظّرفيّة (فوق علياء) بين الصّفة(نوحٌ) وموصوفها ثُكَّلٌ ويوازي هذا الفصل النّحوي في هذه المرة انفصال الأنا عن قبيلته، فقطيع الذّئاب/ عالم الحيوان ينوح على ذلك الأزل الجائع مثل الثّكلى في عالم الإنسان في حين أنّ القبيلة وهي العالم الأصلي للأنا لم تقم بهذا الموقف ولم تبد أيّ تحسر وألم لفراق الشّنفري. وقد جاءت علاقة الاتصال الوثيقة بين الذّئب الأزل وقطيعه كمقابل لحالة الانفصال بين الأنا وقبيلته /الآخر؛ ومن ثم فإنّ الفصل

بين عناصر الجملة تولّدت عنه مرّة أخرى تلك الدّلالة المحوريّة لنص اللاميّة (دلالة الانفصال). التي يقوم عليها نص اللاميّة من بدايته حتّى نهايته. ونجد ظاهرة الفصل هذه تطّرد عبر جمل أخرى من القصيدة مثل:

– فإن تبتئس بالشّنفري أم قسطل "فصل بين الفعل تبتئس والفاعل أمُّ قسطل"؛

– لقد هرّت بليل كلابُها " فصل بين الفعل والفاعلّ؛

– نصبت له وجهي" فصل بين الفعل مع الفاعل والمفعول به"؛

– إذا هبت له الرّيح "فصل بين الفعل وفاعله"؛

– ويركضن بالآصال حولي" فصل بين الفعل مع الفاعل والمفعول به"؛

– فإمّا تَرَيْني كابنة الرّمل ضاحيًا " فصل بين صاحب الحال الأنا والحال"؛

– مَعَ الصّبْحِ رَكْبٌ مِنْ أُحَاظَةَ مُجْفِلٌ" فصل بين الموصوف(ركبٌ) وصفته (مجفلٌ)".

3. 2 التّقديم والتّأخير: من الظّواهر النّحويّة المهمّة التي يمكن القول أنّها شكّلت بنيّة أسلوبيّة مركزيّة في نص اللاميّة هي ظاهرة التّقديم والتّأخير باعتبارها انزياحا تركيبيا ، فهي تعرف بأنّها " تحوّل في بنيّة الجملة نحو إعادة ترتيب المفردات وتركيبها في الجملة على نحو يرتبط أسلوبيا وفكريا بالمنشئ ويوضّح لطريقته في الإنشاء"[10] (العدوس، 2007) وسيتم رصد هذه الظّاهرة باعتبارها انزياحا على قواعد ترتيب الجملة في العربيّة فهي انتهاك للرتب بتحريك الالفاظ من أماكنها الأصليّة إلى أماكن أخرى الأمر الذي يضفي على الدّلالة طبيعة جماليّة خاصّة نفتقدها إذا ما عدنا بها إلى رتبها الأولى[11] (المطلب، البلاغة والأسلوبيّة، 1994)؛ ومن ثم في إحداث خلخلة في التّرتيب الطّبيعي لعناصر الجملة تؤثر تأثيرا بالغا في المعنى بحيث إنّ أي تغيّر في النّظام التّركيبي للجملة يترتب عنه تغيّر بالضّرورة في الدّلالة. ومن خلال رصد

ظاهرة التّقديم والتّأخير في نصّ اللاميّة يتّضح للقارئ أنّ ظاهرة تقديم المفعول به وتأخير الفاعل كانت الأكثر شيوعا بين أبيات القصيدة ومن أمثلة ذلك:

- **يزيّنُها رصائعُ؛**
- **كما ضم أذوادُ الأصاريمِ منهلُ؛**
- **دعا فأجابته نظائر نُحَّلُ؛**
- **كما حثْحثَ دُبْرهُ محابيضُ؛**
- **سرت قربا أحناؤها تتصلصلُ؛**
- **تُباشرُه منها ذقونٌ وحوصلُ؛**
- **تُنْبيه سناسنُ قُحَّلُ؛**
- **دحاها لاعبٌ فهي مُثَّلُ؛**
- **ينالُ الغنى ذو البعدة المتبذِّلُ؛**
- **يصْطَلِي القوسَ ربُّها.**

فكل هذه النّماذج تضمّنت انزياحا تركيبيا تمثّل في تقديم المفعول به على الفاعل وعلى حد رأي الجرجاني ، فإنّه من المحال عدم وجود ضرورة تحكّمت بالتّركيب لتبرزه على هذه الشّاكلة "وإنّما يكون تقديم الشّيء على الشّيء نسقا وترتيبا إذا كان التّقديم لموجب أوجب أن يقدّم هذا ويؤخّر ذاك "[12] (الجرجاني 2003)، ويتمثّل هذا الموجب الذي يشير إليه الجرجاني بتلك الوظيفة الجماليّة التي يؤدّيها هذا النّسق الجديد ففي جزء من الأمثلة السّابقة نجد أنّ الضّرورة التي اقتضت تقديم المفعول به وتأخير الفاعل مع صفة أو معطوفة هي ضرورة موسيقيّة إيقاعيّة .إذ إنّ قافيّة اللام التي انبنت عليها القصيدة لا يتم التّأكيد عليها في نهاية كل بيت شعري إلاّ بممارسة تقديم أو تأخير مثل (كما ضم أذوادُ الأصاريمِ منهلُ) وكذلك(تُنْبيه سناسنُ قُحَّلُ) وكذلك (ينال الغنى ذو البعدة المتبذِّلُ) وأيضا(تُباشرُه منها ذقونٌ وحوصلُ) وأيضًا (دعا فأجابته نظائر نحّلُ). من هنا "يضطلع الانزياح التّركيبي ممثّلا في التّقديم والتّأخير بوظيفه إيقاعيّة

صوتيّة"[13] (ناظم، 2002). معنى هذا أنّ الانزياحات التي تحدث على مستوى التّركيب لا تسهم في خلخلةٍ تركيبيّة فحسب؛ وإنّما في إبراز سمة ايقاعيّة يقتضيها البعد النّغمي والدّلالي في النّص. وإذا كانت الضّرورة الموسيقيّة والنّغميّة في اللاميّة تقتضي مثل هذا النّوع من التّقديم والتّأخير فإنّ الضّرورة الدّلاليّة هي الأشد اقتضاء لمثل هذا التّلاعب في التّركيب الطّبيعي للجملة العربيّة. والذي يلفت انتباه القارئ في هذا المقام أنّ التّقديم والتّأخير غلب إلاّ على الجملة الفعليّة ذات التّركيب فعل+ فاعل+ مفعول به، إذ لا نلفي تأخير الفاعل عن الحال أو المفعول المطلق أو الصّفة إنّما نجد تأخير الفاعل عن المفعول به هو الغالب على نص اللاميّة؛ الأمر الذي يستدعي البحث عن البعد الجمالي الذي ينتجه مثل هذا النّوع من الإنزياح التّركيبي.

فتأخير الرّتبة الطّبيعيّة للفاعل قد يتولد عنه تأخير لدوره أو تأجيل له كما قد يتولد عنه الاهتمام أكثر بالمتقدم عليه (المفعول به)، هذا إذا نظرنا لأسلوب التّقديم والتّأخير من النّاحيّة البلاغيّة. أمّا إذا أردنا أن نعطي لهذه الظّاهرة البلاغيّة النّحويّة بعدا آخر هو البعد الجمالي الذي نروم القبض عليه من خلال هذه الدّراسة؛ فإنّه يمكننا القول بأنّ تأخر رتبة الفاعل في الجملة جاء تمشّيا مع حالة الانفصال القائمة بين الأنا والقبيلة /الآخر ذلك أنّ تأخّر الفاعل في التّرتيب النّحوي يتوازى إحساس الأنا بأنّها موجودة " في مرتبة متأخّرة في النّظام الطّبقي للقبيلة التي تنظر إليه باعتباره طريد جنايات "[14] (عيسى 1997).

وبصفة عامّة فإنّ ظاهرة التّلاعب في ترتيب الجملة في نص اللاميّة حملت دلالة عميقة تمثلت في هاجس المعاناة النّفسيّة والجسديّة المريرة من الآخر/ القبيلة؛ لذا قُدِّم ما حقُّه التّأخير وأُخِّر ما حقّه التّقديم وحدثت خلخلة في التّرتيب الطّبيعي للجملة تماشيا مع الشّعور الدّاخلي الذي تعاني منه الانا/ الشّنفرى كونها في مرتبة متأخرة في مجتمعها القديم /القبيلة ذلك أنّها تنظر إليه نظرة دونيّة جعلته يبقى في آخر التّرتيب. الأمر الذي دفعه للتمرّد والانفصال عنها

وتجلى ذلك على المستوى البنائي للجمل –ظاهرة الفصل بين أركان الجمل وكذا ظاهرة التّقديم والتّأخير.

3. 3 البدل وأفعل التّفضيل : ومن الظّواهر الأسلوبيّة اللافتة التي جاءت لتعضد دلالة انفصال الأنا عن الآخر في نص اللاميّة شيوع البدل الذي يتوازى واختيار الأنا إبدال آخرين بقومه ومن امثلته:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُون: سِيـدٌ عَمَلَّسٌ *** وَأَرْقَطُ زُهْلُولٌ وَعَرْفَـاءُ جَيْأَل

وقوله:

ثَـلاَثَةُ أصْحَابٍ فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ*** وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

فالبيتان جملتان اسميتان ترميان إلى إرساء دلالة الثّبات والاستقرار الذي تروم الأنا الوصول إليه وذلك باتخاذها عوالم جديدة تنتسب إليها عالم الحيوان أو عالم الجماد وقد أدّى البدل– رغم أنّه لم يطّرد كثيرا في باقي أبيات اللاميّة– دورا بنائيا هامًّا في إحداث توازن أسلوبي إيقاعي بين البيتين السّابقين وكذلك توازن دلالي؛ تمثل التّوازن الأسلوبي الإيقاعي كالآتي:

الجدول رقم 1: التّوازن الأسلوبي والإيقاعي في اللاميّة

عالم الحيوان	عالم الجماد
أهلُونَ	**ثلاثةُ أَصْحَابٍ**
سِيدٌ عملّسٌ	**فُؤادٌ مشيَّعٌ**
أَرْقطُ زُهلولٌ	**أَبْيَضُ إِصْلِيتٍ**
عرفاءُ جَيْأَلُ	**صَفراءُ عَيْطَلُ**

من خلال استقراء هذا الجدول يلحظ القارئ وجود توازن بين أركان الجملتين، فالموصوف ثلاثة والصّفة ثلاث في كلا البيتين هذا من جهة البناء الأسلوبي، أمّا من جهة البناء الدّلالي فالسّيد العملّس رمز للقوّة والأمر نفسه بالنّسبة للقلب المشيَّع، والأرقطُ الزّهلول صورة لونيّة والأمر نفسه بالنّسبة للأبيض الإصْلِيتِ، أمّا العرفاءُ الجيأَل فهي رمزٌ للطّول وكذلك الصّفراء العيطل

وإن كان الأمر هكذا؛ فإنّ الدّلالة القابعة خلف كل ذلك أنّ الأنا تريد من وراء هذا التّوازن الأسلوبي بين البيتين السّابقين أن تقوي نفسها بانتمائها لهاذين العالمين(الحيوان والجماد) في مقابل انفصالها عن عالم الانسان/الآخر (القبيلة). ويبدو في هذا إقرارا منها بقوة هذا الآخر إذ إنّها استبدلته بعالمين قويّين في الوقت ذاته(عالم الحيوان المتوحش وعالم الجماد)؛ وذلك لعلّها تستطيع أن تقف أمام مدّه وزحفه ولإثبات وتدعيم هذا التّميّز والتّفوّق على الآخر يأتي شيوع استخدام أفعل التّفضيل تعويضا عن إحساس الأنا بالقهر والظّلم وتعبيرا عن رغبتها في تحقيق التّميّز والعلوّ. يقول الشّنفرى: (فَإنِّي إلى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ)،(إذا عَرَضَتْ أُولَى الطّرَائِدِ أبْسَلُ) وتتقاطر مثل هذه الصّيغ في نصّ اللاميّة مثل:(أعجلُ- أفضلُ- أوّلُ- أعقلُ- أمثلُ- أجدل)؛ حيث تكشف هذه الأخيرة عن رغبة الأنا في التّفوق والتّميز وتحقيق الأفضليّة.

ومن خلال رصد الظّواهر النّحويّة التي شكّلت بنيات أسلوبيّة مهمّة في اللاميّة، اتضح أنّ الوظيفة الأسلوبيّة والجماليّة التي تولّدت عن مثل هذه البنى هي تركيز انتباه القارئ وجذبه إلى الكشف عن البؤرة المركزيّة التي يدور حولها نص اللاميّة وهي تعرض الأنا للاضطهاد ورغبتها في الانفصال عمن سبب لها هذه الحالة وإيجاد بديل لها عنه(الآخر/القبيلة).

4. خاتمة: سعت هذه الدّراسة إلى استكناه البنى الأسلوبيّة النّحويّة في نصّ اللاميّة وفق رؤيّة الأسلوبيّة البنيويّة لميشال ريفاتير وتحديدا مقولة الانزياح والعدول، ولعلّ من أهمّ النّتائج المتوصل إليها من خلال ذلك رصد جملة من الظّواهر النّحويّة اللغويّة التي كانت بمثابة منبه أسلوبي يلفت انتباه القارئ ويخرق أفق توقعه، وقد كانت بذلك بنى أسلوبيّة مركزيّة في تشكيل البناء الأسلوبي والدّلالي لنص اللاميّة، وتمثّلت هذه البنى في:

– ظاهرة الفصل بين أركان الجملة النّحويّة التي كان لها أبعادها الجماليّة الدّلاية والمتمثلة في ترسيخ الدّلالة المحوريّة في نصّ اللاميّة والمتمثلة أساسا في انفصال وانفصام عُرى العلاقة بين الأنا/ الشّنفرى عن الآخر/ القبيلة؛

– جاء تأخير مرتبة الفاعل في الجمل توازيا مع تأخير مرتبة الأنا في النّظام الطّبقي للقبيلة التي تنظر إليه باعتباره طريد جنايات؛

–كان لاستخدام البدل في نصّ اللاميّة أبعاده الدّلاليّة والمتمثلة في اختيار الأنا إبدال آخرين بقومه بعد الانفصال عنه؛

–ولإثبات وتدعيم تميّز الأنا وتفوقها عن الآخر شاع استخدام (أَفْعُل) التّفضيل تعويضًا عن إحساسها بالقهر والظّلم وتعبيرًا عن رغبتها في تحقيق التّميز والعلو عن بني أمّها.

5. قائمة المراجع:

•المؤلّفات:

حسن ناظم: البنى الأسلوبيّة، دراسة في أنشودة المطر للسياب (ط1)، (الدّار البيضاء المغرب: المركز الثّقافي العربي2002).

حمادي صمود: الوجه والقفا في تلازم التّراث والحداثة (ط2)، (تونس: دار شوقي 1997).

صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته (د،ط)، (القاهرة، مصر: دار الشّروق 1998).

عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز في علم المعاني (د،ط)، (بيروت، لبنان: المكتبة العصريّة 2003).

فوزي عيسى: النّص الشّعري وآليات القراءة (د،ط)، (الاسكندريّة، مصر: منشأة المعارف 1997).

محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبيّة (ط1)، (مصر: الشّركة المصريّة العالميّة لونجمان 1994).

محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف (ط2)، (القاهرة: إيتراك 2002).

يوسف أبو العدوس: الأسلوبيّة بين الرّؤيّة والتّطبيق (ط1)، (عمان، الأردن: دار الميسرة 2007).

•مواقع الانترنيت:

محمد عزام (1، 5, 2004)، النّاقد الأسلوبي ميشيل ريفاتير، من الموقع الإلكتروني: http://www.awu-dam.org/majala osboue adabi 025 11htm. تاريخ الاسترداد (22، 3, 2008).

6. هوامش:

[1] حسن ناظم: البنى الأسلوبيّة، دراسة في أنشودة المطر للسياب (ط1)، (الدّار البيضاء المغرب: المركز الثّقافي العربي2002)، ص79.

[2] محمد عزام (1، 5, 2004) ، النّاقد الأسلوبي ميشيل ريفاتير، من الموقع الإلكتروني: http://www.awu-dam.org/majala osboue adabi 025 11htm . تاريخ الاسترداد (22، 3, 2008).

[3] حسن ناظم: البنى الأسلوبيّة، دراسة في أنشودة المطر للسياب، ص74.

[4] صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته (د، ط)، (القاهرة، مصر: دار الشّروق 1998)، ص225.

[5] حمادي صمود: الوجه والقفا في تلازم التّراث والحداثة (ط2)، (تونس: دار شوقي 1997)، ص 150-151.

[6] المرجع نفسه، ص152.

[7] يوسف أبو العدوس: الأسلوبيّة بين الرّؤيّة والتّطبيق (ط1)، (عمان، الأردن: دار الميسرة 2007)، ص147.

[8] صلاح فضل: علم الأسلوب، مبادئه وإجراءاته، ص 229.

[9] محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف (ط2)، (القاهرة: إيتراك 2002)، ص110.

[10] يوسف أبو العدوس: الأسلوبيّة بين الرّؤيّة والتّطبيق، ص 276.

[11] محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبيّة (ط1)، (مصر: الشّركة المصريّة العالميّة لونجمان 1994)، ص 329-330.

[12] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الاعجاز في علم المعاني (د،ط)، (بيروت، لبنان: المكتبة العصريّة 2003)، ص 426-427.

[13] حسن ناظم: البنى الأسلوبيّة، دراسة في أنشودة المطر للسياب، ص 167.

[14] فوزي عيسى: النّص الشّعري وآليات القراءة (د، ط)، (الاسكندريّة، مصر: منشأة المعارف 1997)، ص178.

مفهوم الجملة العربيّة ودلالاتها دراسة وصفيّة تحليليّة

The concept of the Arabic sentence and its connotations; a descriptive and analytical study

أ. منير بوزيدي♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-003

تاريخ الاستلام: 05-01-2024 تاريخ القبــول: 31-07-2024

ملخّص: تُعد الجملة العربيّة بنوعيها الاسميّة والفعليّة عمدة الكلام العربيّ إذ بهما تتبيّن الدّلالة وتتّضح مقاصد المتكلّم، ولقيمتها نجد بأنّ العلماء اختلفوا في مفهومها اختلافا كبيرا بالإضافة إلى دلالة كل جملة فمن خلال استقرائهم لكلام العرب استخلصوا أنّ لكل جملة دلالة خاصّة بها وهذا ما ينبئ بقيمة الجملة العربيّة في الدّراسات القديمة والحديثة.

ولما كانت الجملة العربيّة بهذه الأهميّة فإنّ هذه الدّراسة تهدف إلى الوقوف على أهم المفاهيم للجملة عمومًا والاسميّة والفعليّة على وجه الخصوص، كما تتطرّق إلى دلالتّهما في سياق الكلام، ومن أهم النّتائج المتحصّل عليها ما يلي:

الجملة بنيّة أساسيّة في اللّغة العربيّة تحمل مدلولًا كاملًا؛

الجملة الاسميّة عموما تدلُ على الدّوام والاستمرار؛

الجملة الفعليّة عموما تدلُ على التّجدد والاستمرار.

ينبغي أن يراعى في استخدام الجملة العربيّة ما يلي: نوع الجملة من جهة ومن جهة أخرى دلالة الجملة لتحقّق المطلوب.

كلمات مفتاحيّة: مفهوم؛ الجملة العربيّة؛ الدّلالة؛ الدّراسة؛ الوصف والتّحليل.

♥جامعة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي البرج، الجزائر، البريد الإلكتروني:
mounir.bouzidi@univ-bba.dz

Abstract: The Arabic sentence, with its nominal and verbal types, is considered the mainstay of Arabic speech because through them the meaning becomes clear and the speaker's intentions become clear. Due to its value, we find that scholars differed greatly in its concept, in addition to the meaning of each sentence. Through their extrapolation of the speech of the Arabs, they concluded that each sentence has its own special meaning, and this is what indicates the value of the Arabic sentence in ancient and modern studies.

Since the Arabic sentence is of such importance, this study aims to identify the most important concepts of the sentence in general and the nominal and verbal in particular and also addresses their significance in the context of speech.

Among the most important results obtained are the following: The basic interstitial sentence in the Arabic language carries a complete meaning.

The nominal sentence generally indicates permanence and continuation.

The verbal sentence generally indicates renewal and continuation.

The following should be taken into account when using an Arabic sentence: the type of sentence on the one hand, and the meaning of the sentence on the other hand to achieve what is required.

Keywords: concept; Arabic sentence; connotation; study; description and analysis.

1. مقدّمة: اعتنى علماء اللّغة العربيّة قديما وحديثا بالجملة من جهة تعريفها وتحديد أنواعها على المستويين؛ النّحوي والبلاغي، والوقوف على أهم دلالات الجمل حيث أسهمت هذه الدّراسات في فهم النّصوص وتحليلها تحليلًا علميا ما يدل على قيمة الجملة العربيّة، بل ما زالت الدّراسات حول ظاهرة الجملة مستمرّة في كل المستويات التي عرفتها الدّراسات الحديثة، وهذا ما

حفزني لمعالجة هذه القضيّة المهمّة ما أدّى إلى طرح الإشكال الآتي: ما مفهوم الجملة؟ ما أنواع الجملة؟ ما دلالة الجملة في سياق الكلام؟

وذلك للفرضيّات التّاليّة: التّفريق بين مفهوم الجملة ومفهوم الكلام حيث وقع الخلاف بين العلماء في هذين المفهومين، بالإضافة إلى هذا توضيح أنواع الجمل حسب تقسيماتها، وكذلك ضبط دلالة الجملة الفعليّة والاسميّة.

أمّا فيما يتعلّق بالأهداف فيمكن القول بأنّ أهم الأهداف هما هدفان رئيسان: الأوّل إعطاء مفهوم واضح للجملة عموما، وللجملة الاسميّة والفعليّة على وجه الخصوص، والثّاني تحديد طريقة فهم دلالة الجملة من خلال سياق الكلام.

وعملي في البحث هو استقراء ما كتبه النّحاة حول الجملة معتمدًا على المنهج الوصفي التّحليلي الذي أراه منهجا مناسبا لهذه الدّراسة، فالوصفي لقراءة الظّواهر المتعلّقة بالجملة والتّحليل لتفكيك النّماذج المقترحة إذ بهما أقف على أهم الأسرار المتعلقة بالجملة.

2. مفهوم الجملة العربيّة: نلحظ أنّ علماء العربيّة اختلفوا في تعريف الجملة العربيّة، وقبل الخوض في تعريفاتهم سنقدم تعريفا لغويًا عامًا للجملة ثمّ ننتقل إلى ذكر اختيارات من أقوال العلماء في تحديد مفهوم الجملة.

1.2 مفهوم الجملة لغة:

الجملة لغة: والجُملةُ: جماعة كلِّ شيءٍ وأجمل الشّيْء: جمعه عَن تَفْرِقَة وأكثر مَا يسْتَعْمل فِي الْكَلَام الموجز وأجمل لَهُ الْحساب: كَذَلِك. (أبو الحسن بن سيده 2000م).[1] فالجملة في اللّغة معناه اجتماع أجزاء الشّيء بعدما كانت متفرّقة وعلى هذا تكون الجملة العربيّة لغة معناها اجتماع الكلمات بعدما كانت متفرّقة.

2.2 مفهوم الجملة اصطلاحا: المشهور بين الباحثين أنّ المبرد هو أوّل من استخدم مصطلح الجملة بمفهومه الخاصّ بخلاف من كان قبله، فقد كانوا يستخدمون مصطلح الكلام، ولهذا نجد الاختلاف بين النّحاة في تحديد مفهوم

الجملة والكلام والتّفريق بينهما؛ فمنهم من جعلهما بمفهوم واحد ومنهم من فرق بينهما وفيما يلي توضيح ذلك:

– **تعريف ابن جنّي:** وَأمّا الْجُمْلَة فَهِيَ كل كَلَام مُفِيد مُسْتَقل بِنَفسِهِ.(ابن جنّي، (د، ت)).[2] نلحظ هنا أنّ ابن جنيّ يجعل مفهوم الجملة مرادفا للكلام يتجلّى ذلك في قوله: الجملة هي كل كلام مفيد مستقل بنفسه، ومعنى هذا الكلام أنّ التّركيب إذا أفاد السّامع فائدة يحصل معها السّكوت لدى المتلقي فهو الجملة، وهو الكلام.

– **تعريف الرّمانيّ:** الْجُمْلَة هِيَ المبنيّة من مَوْضُوع ومحمول للفائدة (الرّمانيّ، (د، ت)).[3] فالرّماني أعطى للجملة تعريفًا منطقيًّا على حد كلامهم الموضوع والمحمول بدلا من المسند والمسند إليه إلاّ أنّه اشترط في حدّ الجملة الإفادة فهي بمعنى الكلام عنده. حيث قال: للفائدة.

– **تعريف الزّمخشري:** والكلام هو المركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى، وذاك لا يتأتّى إلاّ في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر، وتسمّى الجملة (الزّمخشري 1993).[4]، فالزّمخشري يجعل مصطلح الكلام مرادفًا لمصطلح الجملة فلا فرق عنده بينهما.

– **تعريف ابن هشام الأنصاري:** نلحظ أنّ ابن هشام عندما أراد أن يتكلّم عن مفهوم الجملة قدم الحديث على تعريف الكلام، حيث يقول: الْكَلَام هُوَ القَوْل الْمُفِيد بِالْقَصْدِ وَالْمرَاد بالمفيد مَا دلّ على معنى يحسن السّكُوت عَلَيْهِ.[5] (ابن هشام، 1985م)، إذن ضابط تعريف مصطلح الكلام هو ما قصد المتكلّم فيه إلى إفهام المستمع معنى لا يحتاج بعدها إلى سؤال، ثم يقول في تعريف الجملة: وَالْجُمْلَة عبارَة عَن الْفِعْل وفاعله كقَامَ زيد والمبتدأ وَخَبره كزيد قَائِم وَمَا كَانَ بِمَنْزِلَة أَحدهمَا نَحْو ضُرب اللص وأقائم الزّيدان وَكَانَ زيد قَائِما وظننته قَائِما وَبِهَذَا يظْهر لَك أَنَّهُمَا ليسَا مترادفين كَمَا يتوهمه كثير من النّاس (ابن

هشام، 1985م).[6] فابن هشام يشير هنا إلى الفرق بين الكلام والجملة، فالكلام هو التّركيب المفيد والجملة هو عبارة عن إسناد المسند إلى المسند إليه فقط ولهذا يقول ردّا على الزّمخشري: وَهُوَ ظَاهر قَول صَاحب الْمفصل فَإِنَّهُ بعد أَن فرغ من حد الْكَلَام قَالَ وَيُسمى جملَة وَالصّوَاب أَنَّهَا أَعم مِنْهُ إِذْ شَرطه الإفادة بِخِلَافِهَا وَلِهَذَا تسمعهم يَقُولُونَ جملَة الشّرْط جملَة الْجَواب جملَة الصّلَة وكل ذَلِك لَيْسَ مُفِيدا فَلَيْسَ بِكَلَام (ابن هشام، 1985م).[7]

وعلى هذا نقول إنّ الصّطلحين مختلفان والفرق بينهما هو أنّ الكلام يشترط فيه التّركيب والفائدة، وأمّا الجملة فتركيب لا يشترط فيه الفائدة ولذا يُقال: جملة الشّرط، وجملة جواب شرط وهكذا.

3. أنواع الجمل: ذكر العلماء للجمل عدّة أنواع كبرى فباعتبار التّركيب تنقسم إلى جملة اسميّة، وفعليّة، وباعتبار صفتها تنقسم إلى جملة صغرى وجملة كبرى، وأمّا من جهة المحل الإعرابي فذكروا أنّ هناك جملا لها محل من الإعراب، وجملا لا محل لها من الإعراب وتفصيل ذلك كما يلي:

1.3 الجملة الاسميّة والجملة الفعليّة: تنقسم الجملة العربيّة باعتبار التّركيب إلى جملة اسميّة وجملة فعليّة.

– **الجملة الاسميّة:** الجملة الاسميّة عموما كما قال العلماء هي التي تبتدئ باسم كقولنا مثلا: زيدٌ قائمٌ، الزّيدان قائمان، والزّيدون قائمون، والنّساء قائمات وهكذا، يقول ابن الأنباري: فأمّا الجملة الاسميّة، فما كان الجزء الأوّل منها اسْمًا (ابن الأنباري، 1999م).[8]، والجملة الاسميّة مقدَمة على الفعليّة كما ذهب إلى ذلك سيبويه وغيره، يقول ابن الصّائغ: واحتجَّ سيبويه أنْ قال: "قد ثبت أنّ الجملة الاسميّة مُقَدَّمَةٌ على الجملة الفعليّة؛ فإعراب الجملة الاسميّة يجب أن يكون مُقَدَّمًا على إعراب الجملة الفعليّة (ابن الصّائغ، 2004م).[9] وقدم بعضهم الجملة الفعليّة على الاسميّة بحجّة أنّ الفعليّة أقوى في الوصف من الإسميّة. (مجد الدّين بن الأثير، 1999م).[10]

– **الجملة الفعليّة:** هي الجملة التي تُبتدأ بفعل نحو: قام أحمد، وقام الأحمدان، وقام الأحمدون وغيرها، قال أبو الفداء: والمركّب من فعل واسم يقال له: الجملة الفعليّة نحو: قام زيد (أبو الفداء شاهنشاه، 2000م).[11]

2.3 الجملة الصّغرى والكبرى: يُعدّ هذا التّقسيم تقسيما وصفيا للجملة باعتبار ما تتكون منه فتكون صغرى إذا تكونت من مبتدأ وخبر، وكبرى إذا كانت جملة اسميّة خبرها جملة، يقول ابن هشام: الْكُبْرَى هِيَ الاسميّة التي خَبَرهَا جملَة نَحْو زيد قَامَ أَبوهُ وَزيد أَبوهُ قَائِم وَالصّغْرَى هِيَ المبنيّة على الْمُبْتَدَأ كالجملة الْمخبر بهَا فِي المثالين، وَقد تكون الْجُمْلَة صغرى وكبرى باعتبارين نَحْو زيد أَبوهُ غُلَامه منطلق (ابن هشام، 1985م).[12] يعني: أن زيد منطلق هي جملة صغرى، وزيد أبوه منطلق جملة كبرى، وقد تكون جملة واحدة صغرى وكبرى، مثل: زيد أبوه غلامه منطلق: فهي بهذا التّركيب كبرى، وأمّا أبوه غلامه منطلق فهي باعتبارها خبرا لزيد جملة صغرى وباعتبارها مستقلة جملة كبرى.

3.3 الجمل التي لها محل من الإعراب والجمل التي لا محل لها: قسم النّحاة الجمل باعتبار الإعراب إلى قسمين: جمل لها محل من الإعراب وجمل لا محل لها من الإعراب.

– **الجمل التي لها محل من الإعراب:** يقصد العلماء بالجمل التي لها محل من الإعراب الجملَ التي تؤول بمفرد بمعنى؛ أن يكون موقع الجملة وقع موقع المفرد، وقد اختلفوا في عددها لكن الذي عليه جمهور النّحاة أنّها سبع جمل يقول محمد بن علي: الجُمَلُ التي لها محل من الإعراب هي سبعٌ مبينة فيما يلي:

"الأولي: الواقعة خبراً نحو: الحلمُ يسمو صاحبهُ.

الثّانيّة: الواقعة حالاً نحو: ذهبت والسّماء غائمة.

الثّالثة: الواقعة مفعولاً به نحو: علمت أنّك طبيبٌ.

الرّابعة: الواقعة مضافاً إليها نحو: اسكن حيث طاب المناخُ.

الخامسة: الواقعة نعتاً لمفرد نكرة نحو: ذاك أمر مردهُ إليكَ.

السّادسة: التّابعة لجملة لها محل من الإعراب نحو: هو يعطي ويمنعُ.

السّابعة: الواقعة جواباً لشرط جازم مقرونة بالفاء أو إذاً الفجائيّة نحو: إن تتصدّق فلك ثواب. ونحو: إن يوسروا إذا هم يبطرون."(محمد بن علي السّراج 1983م).[13]

فالجملة الأولى إعرابها كالآتي: الحلم مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضّمة الظّاهرة، ويسمو: فعل مضارع مرفوع بضمّة مقدرة منع من ظهورها الثّقل والفاعل ضمير يعود على الحلم، صاحبه مفعول به منصوب، وهو مضاف والهاء ضمير في محل جر مضاف إليه، وجملة (يسمو صاحبه) في محل رفع خبر للحلم تقديره: الحلم سامٍ صاحبه.

والجملة الثّانيّة: ذهبت: فعل ماض بني على السّكون لاتصاله بتاء الفاعل والتّاء فاعل، والواو للحال، السّماء مبتدأ، وغائمة خبر له، وجملة (السّماء غائمة) في محل نصب حال تقديره: ذهبت حالَ غيمةِ الشّمس.

والجملة الثّالثة: علمت فعل وفاعل، أنّك: أنَّ ناصبة مؤكّدة، والكاف ضمير متّصل في محل نصب اسم أن، وطبيب: خبر أنّ مرفوع، وجملة (أنّك طبيب) اسميّة في محل نصب مفعول به تقديره: علمت طبَك.

والجملة الرّابعة: اسكن: فعل أمر والفاعل ضمير تقديره أنت، حيث: اسم مبني على الضّم منصوب على الظّرفيّة، طاب: فعل ماض، والمناخ: فاعل والجملة (طاب المناخ) فعليّة في محل جر مضاف إليه.

والجملة الخامسة: ذاك: اسم إشارة في محل رفع مبتدأ، أمر: خبر مرفوع مرده: مبتدأ، إليك: جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر، والجملة (مرده إليك) في محل رفع نعت (أمر) أي: مردود إليك.

والجملة السّادسة: هو: ضمير في محل رفع مبتدأ، يعطي: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير يعود على المبتدأ (هو)، وجملة (يعطي) في محل رفع

خبر، ويمنع: الواو حرف عطف، يمنع: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير وجملة (يمنع) في محل رفع معطوفة على ما قبلها تقديرها: هو معط ومانع.

والجملة السّابعة: إنّ: حرف شرط، تتصدق: فعل مضارع مجزوم، والفاعل أنت، فلك ثواب: الفاء رابطة لجواب الشّرط، ولك: جار ومجرور متعلّق بخبر مقدّم، ثواب: مبتدأ مؤخّر، وجملة (لك ثواب) في محل جزم جواب الشّرط تقديره: إن تتصدّق تُثبْ.

– **الجمل التي لا محلّ لها من الإعراب:** كما أنّ الجمل التي لها محل من الإعراب سبع فكذلك التي لا محل لها من الإعراب سبع وهي: "الأولى: الواقعة في ابتداء الكلام نحو: المتقن عمله نائلٌ أمله.

الثّانيّة: الواقعة صلة الموصول نحو: إنّ أخاك من واساك.

الثّالثة: الواقعة مفسرة نحو: {إِذَا السّمَاءُ انْشَقَّتْ}.

الرّابعة: الواقعة معترضة نحو: الكذبُ – وفقتَ – شينٌ.

الخامسة: الواقعة جوابا لقسم نحو: والله إنّ الإنصاف لمفيدٌ.

السّادسة: التّابعة لجملة لا محلّ لها نحو: جاء سعيد وذهب وليد.

السّابعة: الواقعة جواباً لشرط غير جازم أو جازم غير مقرون بالفاء أو إذا الفجائيّة نحو: من ثبت نبت. وأيان نؤمنكّ تأمنْ غيرنا"(محمد بن علي 1983).[14]

وإعراب هذه الجملة كالآتي:

الجملة الأولى: المتقن: مبتدأ، وعمله: مفعول به لاسم الفاعل متقن وهو متضمّن ضمير فاعل، وعمل مضاف والهاء مضاف إليه، نائل: خبر المبتدأ أمله مفعول به، وجملة (المتقن عمله نائل) لا محلّ لها من الإعراب لأنّه لا ترتبط بشيء قبلها.

والجملة الثّانيّة: إنّ أداة نصب وتوكيد، أخاك: اسم إنَّ منصوب بالألف لأنّه من الأسماء الخمسة، من اسم موصول خبر إنّ، واساك: واسى فعل ماض

والفاعل ضمير، والكاف مفعول به، وجملة (واساك) لا محلّ لها من الإعراب لأنّها تبين (من) فقط.

والجملة الثّالثة: إذا: شرطيّة غير جازمة، السّماء فاعل لفعل محذوف لأنّ إذا تدخل على الجمل الفعليّة فقط، انشقت: فعل وفاعل، وجملة (انشقت) تفسيريّة لا محلّ لها من الإعراب.

والجملة الرّابعة: الكذب: مبتدأ مرفوع، شين خبره، ووفقت: فعل مبني لما لم يسم فاعله، ونائب الفاعل ضمير، وجملة (وفقت) اعتراضيّة لا محل لها من الإعراب لأنّ الغرض منها الدّعاء له بحيث لو حذفت لبقيت الجملة مفيدة نفس المعنى.

والجملة الخامسة: والله: الواو حرف جر للقسم، الله اسم الجلالة مقسم به إنّ: أداة نصب وتوكيد، الانصاف: اسم إنّ منصوب، لمفيد: اللام مزحلقة، مفيد خبر إنّ مرفوع، وجملة (إنّ الانصاف لمفيد) جملة جواب القسم لا محلّ لها من الإعراب.

والجملة السّادسة: جاء: فعل، سعيد: فاعل، وذهب: الواو حرف عطف ذهب فعل ماض، وليد فاعل، وجملة (ذهب وليد) لا محلّ لها من الإعراب لأنّها معطوفة على جملة ابتدائيّة لا محلّ لها من الإعراب.

والجملة السّابعة: من: اسم شرط مبتدأ، ثبت: فعل ماض والفاعل يعود على من، نبت: فعل ماض جواب الشّرط والفاعل ضمير، وجملة (نبت) فعليّة لا محلّ لها من الإعراب لأنّها جملة جواب شرط جازم غير مقترنة بالفاء.

4. دلالة الجملة الاسميّة والفعليّة: من خلال تتبع النّحاة لاستخدامات الجملة الاسميّة والفعليّة في كلام العرب استنبطوا أنّ لكل جملة دلالة خاصّة في سياق الكلام، وتفصيل ذلك كالآتي:

1.4–دلالة الجملة الاسميّة: حدّد العلماء للجملة الاسميّة دلالة تدل عليها في سياق الكلام؛ وذلك من خلال تتبع كلام العرب في استخدامهم لها، فذكروا

أنّ الجملة الاسميّة تدل على الثّبوت والاستمرار وهذا معناه: أنّ الجملة الاسميّة تدل على ثبوت الحدث واستمراره أي: أنّ المعنى وقع وثبت واستمرّ، يقول أحمد الرّفاعي: "فالجملة الاسميّة تدل على الاختصاص والتّحقق والثّبوت والتّأكيد" (أحمد الرّفاعي، 1980م).[15]

فالثّبوت والاستمرار من خصائص الجملة الاسميّة، وهذه الدّلالة مأخوذة من دلالة الاسم حيث يدل على ذات ومعنى؛ أي أنّ الذّات ثابتة ومسترة فثبتت لها هذه الدّلالة واستمرت بخلاف الفعل الذي يقع في زمن ويتصرف فتتغير دلالتّه كما سنرى في الجملة الفعليّة، فمثلا: الله ربنا: هذه جملة اسميّة من مبتدأ: الله وخبر ربنا؛ فالألوهيّة إذن ثابتة لله تعالى ومحقّقة وكذلك المسند إليه ربّنا: الرّبوبيّة ثابتة له، فإذن ثبوت الألوهيّة يستلزم ثبوت الرّبوبيّة واستمرارهما ولهذا تكون الجملة الاسميّة هنا في الدّلالة أقوى من الفعليّة بما أنّها تدل على الدّوام والثّبوت والاستمرار، ويؤيد هذا ما ذهب إليه سيبويه من أنّ الجملة الاسميّة أقوى في الوصف من الفعليّة.

2.4-دلالة الجملة الفعليّة: تقدّم معنا الكلام حول دلالة الجملة الاسميّة على أنّها تدل على الثّبوت والاستمرار، لكن الجملة الفعليّة ذكر العلماء أنّها خلاف الاسميّة حيث قالوا: إنّ الجملة الفعليّة تدل على التّجدد والاستمرار يقول أحمد الرّفاعي: "تدل الجملة الفعليّة على التّجدد، لأنّ الفعل مرتبط بالزّمان وتحولاته (أحمد الرّفاعي، 1980م).[16]، وهنا ينبغي أن نفرق بين نوعين من الجملة الفعليّة؛ فهناك جملة فعليّة فعلها مضارع فهذه تدل على تجدد الحدث مرة بعد مرة أي: يحصل مرة ثم ينقضي، ثم يحصل وينقي وهكذا فمثلا: يكتب الطّلبة دروسهم فهذه تدل على؛ أنهم يكتبون ثم ينهون الكتابة ثم يتجدد معهم هذا الفعل ويستمر، وجملة فعليّة فعلها ماض؛ وهذه يختلف معنى التّجدد عندها؛ لأنّ الماضي حصل وانقضى، فلو قلنا مثلا: كتب الطّلبة دروسهم فهذا

يعني: أنّ التّجدد هو حدوث هذا الفعل مرة بعد أن لم يكن وكأنّه تجدد حصوله فهذا هو الفرق بين دلالة الجملتين.

ويوضّح القزويني دلالة الجملة الاسميّة والفعليّة بقوله: "وفعليتها لإفادة التّجدّد. واسميتها لإفادة الثّبوت، فإن من شأن الفعليّة أن تدل على التّجدد، ومن شأن الاسميّة أن تدل على الثّبوت، وعليهما قول رب العزة: ﴿وَإِذَا لَقُوا الذينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ﴾ (جلال الدّين القزويني، (د، ط)).[17]

وشرح هذا أنّ قول المنافقين (آمنا) كان يتجدّد مرة بعد مرة عندما يلتقون بالمؤمنين لأنّ الإيمان ليس ثابتًا لهم فهم في شكّ يبطنون الكفر ويظهرون النّفاق، ولما كان الكفر ثابتا لهم لا يتغير عبروا بالجملة الاسميّة فقالوا: وإذا لقوا الذين كفروا قالوا إنّا معكم، ومثلها في التّعبير: قالوا سلاما فهي جملة فعليّة لأنّ المفعول المطلق يؤكّد الفعل أي: نسلم عليكم سلاما ففيها تجدد، وأمّا قول إبراهيم (قال سلام) فهو أمر ثابت ومستمر منه وهذا كان تسليم إبراهيم أقوى من تسليم الملائكة.

5.خاتمة: وفي الختام فإنّ أهم النّتائج التي توصّلت إليها ما يلي:

– أنّ الجملة العربيّة تنقسم إلى عدة أقسام وذلك بعدة اعتبارات، فباعتبار الأصل تنقسم إلى جملة اسميّة وجملة فعليّة، وباعتبار الوصف تنقسم جملة إلى جملة صغرى وكبرى، واعتبار المحل الإعرابي تنقسم إلى جملة لها محل من الإعراب وجملة لا محلّ لها من الإعراب، وأمّا الدّلالة فترجع إلى الأصل وهو أنّ الاسميّة تدل على ثبوت الحدث واستمراره والفعليّة تدل على تجدد الوصف واستمراره؛

– من أهم فوائد تحديد نوع الجملة في اللّغة العربيّة هو الوقوف على المعنى المراد والمقصود من الكلام؛

– أنّ من خصائص اللّغة العربيّة الجملة التي تعد عنصرا أساسا في بناء الكلام العربي ولكل جملة مميّزات، يجب معرفتها لأنّه يساعد على الاستخدام الصّحيح لكل جملة؛

– أنّ قضيّة الثّبوت والاستمرار في الجملة الاسميّة قضيّة مهمّة حيث تفيدنا أنّ المعنى ثابت ومستمر فقولنا؛ زيد مجتهد: تفيدنا ثبوت الاجتهاد له واستمراره وقضيّة التّجدّد والاستمرار في الفعليّة مهمّة أيضًا حيث تفيدنا أنّ المعنى يتجدّد ويستمر فقولنا مثلا: يجتهد زيد: تفيدنا أن زيدًا يجتهد مرة بعد مرة فليس من صفته الاجتهاد كما في الجملة الاسميّة، بل هو في الفعليّة يحاول الاجتهاد مرة بعد مرة؛

– ينبغي تحديد مفهوم التّجدّد في الجملة الفعليّة لأنّ الجملة الفعليّة نوعان؛ جملة فعليّة فعلها مضارع، وفعليّة فعلها ماض؛ فالفعليّة التي فعلها مضارع معنى التّجدّد فيها هو الحدوث مرة بعد مرة، وأمّا التي فعلها ماض فالتّجدّد معناه: حدوث الفعلة بعد أن كان معدوما وهكذا.

المصادر والمراجع:

1-أبو الحسن بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحق: عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000م، ج7/ 447.

2 -أبو الفتح بن جني، اللمع في العربيّة، تحق: فائز فارس، دار الكتب الثّقافيّة، الكويت (د ط)، (د، ت)، ص: 26.

3-علي بن عيسى الرّمانيّ، كتاب الحدود، تحق: إبراهيم السّامرائي، دار الفكر عمان، (د ط)، (د، ت)، ص: 68.

4-أبو القاسم الزّمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحق: علي بو ملحم مكتبة الهلال بيروت، ط1، 1993م، ص: 23.

5-ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحق: مازن المبارك ومحمد علي دار الفكر دمشق ط6، 1985م، ص: 409.

6 -ابن الأنباري، أسرار العربيّة، دار الأرقم بن أبي الأرقم، مكة، ط1 1999م، ص: 74و 75.

7 -ابن الصّائغ، اللمحة في شرح الملحة، تحق: إبراهيم الصّاعدي، عمادة البحث العلمي الرّياض، ط1، 2004م، ج1، ص: 311.

8 -مجد الدّين بن الأثير، البديع في علم العربيّة، تحق: فتحي أحمد جامعة أم القرى، مكّة ط1، 1999م، ج1، ص: 144.

9 -أبو الفداء شاهنشاه، الكناش في فني النّحو والصّرف، تحق: رياض الخوام، المكتبة العصريّة، بيروت، ج1، ص: 115.

10-محمد بن علي السّراج، اللباب في قواعد اللّغة والأدب، مراجعة: خير الدّين باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983م، ص: 137.

11 -أحمد الرّفاعي، أساليب بلاغيّة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1 1980م، ص: 142.

12 –جلال الدّين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، (د، ت)، ج2، ص: 133.

الهوامش:

1– أبو الحسن بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2000م، ج7/ 447.

2–أبو الفتح بن جني، اللمع في العربيّة، تحق: فائز فارس، دار الكتب الثّقافيّة، الكويت (د ط)، (د، ت)، ص: 26.

3–علي بن عيسى الرّمانيّ، كتاب الحدود، تحق: إبراهيم السّامرائي، دار الفكر، عمان (د ط)، (د، ت)، ص: 68.

4– أبو القاسم الزّمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، تحق: علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م، ص: 23.

5 – ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب، تحق: مازن المبارك ومحمد علي، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985م، ص: 409.

6– المصدر السّابق، ص: 409.

7– المصدر السّابق، ص: 409.

8– ابن الأنباري، أسرار العربيّة، دار الأرقم بن أبي الأرقم، مكة، ط1، 1999م، ص: 74و 75.

9– ابن الصّائغ، اللمحة في شرح الملحة، تحق: إبراهيم الصّاعدي، عمادة البحث العلمي الرّياض، ط1، 2004م، ج1، ص: 311.

10– ينظر: مجد الدّين بن الأثير، البديع في علم العربيّة، تحق: فتحي أحمد، جامعة أم القرى، مكة، ط1، 1999م، ج1، ص: 144.

11– أبو الفداء شاهنشاه، الكناش في فني النّحو والصّرف، تحق: رياض الخوام، المكتبة العصريّة، بيروت، ج1، ص: 115.

12– ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 497.

13- محمد بن علي السّراج، اللباب في قواعد اللّغة والأدب، مراجعة: خير الدّين باشا، دار الفكر، دمشق، ط1، 1983م، ص: 137.

14- المصدر السّابق، ص: 138.

15- أحمد الرّفاعي، أساليب بلاغيّة، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص: 142.

16 - المصدر السّابق، ص: 142.

17 - جلال الدّين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحق: عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط3، (د، ت)، ج2، ص: 133.

منهج التّصويب اللّغويّ عند الحريري من خلال كتابه: درّة الغوّاص في أوهام الخواص

Al-Hariri's linguistic correction approach through his book: Durrat al-Ghawas fi Uhum al-Khawas

أ. نبيل جرادي♥

أ. عبد الرّحمن رداد♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-004

تاريخ الاستلام: 27-03-2024 تاريخ القبـول: 29-07-2024

ملخّص: لم يكن الحريري (516هـ) في كتابه: "درة الغواص في أوهام الخواص" مكررا لما كتبه الأولون، فقد كان ابن زمانه، يصحح أخطاء أهل زمنه. كما تميّز عنها بمنهجه، الذي يمزج اللّغة بالأدب، والجد بالهزل، والعلم بالمُلَح والنّوادر وبالعفويّة في التّأليف، يظهر ذلك في مقدّمته، وفي عدم ترتيبه، وعدم تبويبه وفي الاستطراد، وبالشّموليّة في المستويات اللّغويّة الي يُصوبها، فتصويب صوتي وتصويب صرفي، وتصويب دلالي، وآخر تركيبي نحوي، حتى إنّه صوَّب أخطاء الخط والكتابة. لكن غلب عليه التّصويب الدّلالي. وهو في كل ذلك متنوّع الاستمداد، يستمد من القرآن الكريم، ومن الأحاديث النّبويّة، وآثار الصّحابة، ومن كلام العرب شعرًا وأمثالا. يكتفي بأحدها حينًا، ويقرن بينها حينًا آخر.

♥جامعة باتنة 1، الجزائر، البريد الإلكتروني:nabil.djeradi@univ-batna.dz (المؤلّف المرسل).

♥جامعة باتنة 1، الجزائر، البريد الإلكتروني:abderrahmane.redad@univ-batna.dz

الكلمات المفتاحيّة: التّصويب اللّغويّ؛ الحريري (516هـ)؛ العفويّة؛ شموليّة التّصويب؛ تنوّع المصادر.

Abstract: Al-Hariri (516 AH) did not, in his book: "Durrat al-Ghawas fi Oham al-Khawas," repeat what the ancients wrote, as he was the son of his time, correcting the mistakes of the people of his time. He was also distinguished from it by his approach, which mixes language with literature, seriousness with humor, knowledge with salt and anecdotes, and spontaneity in composition, which appears in its introduction, in its lack of order, lack of tabulation, and digression, and by comprehensiveness in the linguistic levels that it corrects, so phonetic correction, morphological correction, and correction semantic, and another synthetic grammatical, so that he corrected the errors of calligraphy and writing. But he was overcome by semantic correction. In all of this, it is diversified, deriving from the Holy Qur'an, from the hadiths of the Prophet, the effects of the Companions, and from the words of the Arabs, poetry and proverbs. It suffices with one of them at one time, and pairs them with another.

Keywords: Linguistic correction; Al-Hariri; spontaneity; Comprehensiveness of correction; Diversity of sources.

مقدّمة: فشا اللحن في الالسّن نتيجة اختلاط العرب بسائر الأمم زمن الفتوحات، وعمّ ذلك حتى انتقل من العوام إلى الخواص. وكردة فعل على ذلك ومحاولة لإصلاح ما يمكن إصلاحه، ظهر اتجاهان من التّأليف:

– **أحدهما:** يُعنى بالتّقعيد والتّأصيل لتعليم كلام العرب، وأكثر الأخبار على أنّ أبا الأسود الدّؤلي ابتدأ ذلك، بإشارة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب–

رضي الله عنه-. ثم توالتّ التّآليف، حتى تُوّجت بكتاب سيبويه، وظهور مدارس النّحو المعروفة.

- **ثانيهما:** يُعنى بالتّصويب اللّغويّ، وهو متأخر من حيث الظّهور عن الأوّل. وألّف فيه الكسائي والأصمعي وغيرهم، بعناوين متقاربة؛ من مثل: "ما تلحن فيه العامة" أو "لحن العوام". ونحو ذلك.

وما يميّز الحريري (516هـ) أنّه ألّف في الاتجاهين معا؛ فقد شارك في الاتجاه الأوّل بتأليفه: "**ملحة الإعراب**" ثم "**شرح ملحة الإعراب**"، كما شارك في الاتجاه الثّاني بتأليفه: "**درة الغواص في أوهام الخواص**".

ولما كان الحريري (516هـ) مسبوقا في التّأليف في هذا الغرض، تأتي مشروعيّة هذه التّساؤلات:

1- ما الجديد في عمل الحريري (516هـ) هذا؟

2- وهل تميز منهجه في كتابه هذا عن منهج من سبقوه؟

3- وهل ركز اهتمامه على مستوى واحد من المستويات اللّغويّة التي قصد إلى تصويبها أم كان متعدد الاهتمامات؟

4- وماهي مصادره في هذا التّصويب؟

ذلك ما سأحاول الإجابة عنه في هذه المقال.

وقد رأيت من المناسب تقسيم البحث إلى:

-**تمهيد** في شرح مفردات عنوان المقال.

-**المطلب الأوّل: العفويّة في التّأليف.**

-**المطلب الثّاني: الشّموليّة في التّصويب اللّغويّ.**

-**المطلب الثّالث: التّنوع في مصادر التّصويب اللّغويّ.**

-**خاتمة:** تضمّنت أهم نتائج البحث.

وهذا أوان الشّروع في المقصود، فأقول -وبالله التّوفيق-:

تمهيد: يُعتبر هذا التّمهيد مدخلا مفاهيميا للموضوع، وأريد من خلاله تفكيك عنوان المقال، من خـلال تعريف مفرداته، ملتزما الإيجاز ما استطعت، حتى لا يكون التّمهيد أطول من المقصود، وذلك على النّحو الآتي:

1-تعريف المنهج لغة واصطلاحا.

2-تعريف التّصويب اللّغويّ.

3-التّعريف بحياة الحريري الشّخصيّة والعلميّة.

4-التّعريف بـ: "درة الغواص في أوهام الخواص".

وقد خصّصت لكل منها فرعا لتبيانه، وذلك على النّحو الآتي:

الفرع الأوّل: تعريف المنهج لغة واصطلاحا: للمنهج معنى لغوي، وآخر اصطلاحي، وفيما يلي تبيان ذلك:

1-تعريف المنهج لغة: المنهج: مَفْعل من نهَج ينْهَجُ. قال في الصّحاح: النّهْجُ: الطّريق الواضح. وكذلك المَنْهَجُ والمِنْهاجُ. وأَنْهَجَ الطّريقُ، أي استبانَ وصار نَهْجاً واضحاً بَيِّناً... ونَهَجْتُ الطّريق، إذا أَبَنْتَهُ وأوْضحته. يقال: اعْمَلْ على ما نَهَجْتُهُ لك. ونَهَجْتُ الطّريق أيضاً: إذا سلكته[1]. (أبو نصر ، 1399هـ-1979م، صفحة 346).

فالمنهج والمنهاج لغةً هما: الطّريق الواضح البين المسلوك، حسيا كان أو معنويا.

2-تعريف المنهج اصطلاحا: للباحثين تعريفات كثيرة للمنهج، لعلَّ من أنسبها لسياقنا الذي نحن فيه تعريف عبد الرّحمن بدوي حيث يقول: "الطّريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامّة تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة."[2]. (بدوي، 1977م، صفحة 5).

وعليه؛ يكون المنهج في عنوان هذا المقال: "**الطّريق التي سكلها الحريري (516هـ) للكشف عن أخطاء الخواص من الكتاب والشّعراء، وتصحيحها**".

الفرع الثّاني: تعريف التّصويب اللّغويّ: "التّصويب اللّغويّ" مركب وصفي من كلمتين، والمركب يتوقف فهمه–حق الفهم–على فهم أجزائه، لذلك سأعرف كلاً منهما على حدة، وذلك على النّحو الآتي:

1–تعريف التّصويب: ليس لهذه الكلمة معنىً اصطلاحي، وتعريفها هنا هو تعريف لغوي. والتّصويب في اللّغة: تفعيل من الصّواب الذي هو السّداد والقصد وقد عرّفه الجوهري بضده فقال في كتابه الصّحاح: "...الصّواب: نقيض الخطأ. وصَوّبه، أي قال له أصبتَ. واستصوب فِعْلَهُ واستصاب فِعْلَه، بمعنىً."[3]. (أبو نصر ، 1399هـ–1979م، صفحة 165).

وعليه؛ يكون التّصويب–هنا–بمعنى التّصحيح والتّسديد، أو التّنبيه على الخطأ والغلط والوهم لاجتنابه. وهي تشمل كل تصحيح وتسديد، وتشمل كل تنبيه على خطإ وغلط ووهم في كل شؤون الإنسان.

2–تعريف اللّغة: يختلف تعريف اللّغة لغة عن تعريفها اصطلاحا، لذلك كان لابد من الفصل بين الأمرين، وهو ما سأقوم به، وذلك على النّحو الآتي:

أ–تعريف اللّغة لغةً: اللّغة: فُعَة من لَغَوتُ أَلْغو لَغْوا، أومن لَغِيت ألغى لَغْياً إذا نطقتُ بكلام غير مفهوم، أو غير مقصود، أو بباطل، أو بما لا فائدة فيه أو بإثم. وجمعها لُغَىً، ولغاتٌ، ولُغون، والنّسبة إليها لُغَوي[4]. (الفيض، 1422هـ–2001م، الصفحات 462–470).

ب–تعريف اللّغة اصطلاحا: للعلماء تعاريف متقاربة للغة اصطلاحا، من أشهرها:

1–**تعريف أبي الفتح ابن جني**(392هـ): "أصواتٌ يُعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهِم"[5]. (الطيار، 1432هـ، صفحة 34).

2–**تعريف أبي محمد ابن حزم الظّاهري**(456هـ): "ألفاظٌ يُعبَّرُ بها عن المُسَمَّيَاتِ، وعن المعاني، المرادِ إفهامُها"[6]. (القرطبي الظاهري، صفحة 46).

3-**تعريف ابن الحاجب**(646هـ): "حدُّ اللّغة، كلُّ لفظٍ وُضِعَ لمعنى" [7]. (السبكي، 1419هـ-1999م، صفحة 349).

4-**تعريف الإسنوي**(772هـ): "اللغاتُ: عبارةٌ عن الألفاظ الموضوعةِ للمعانِي" [8]. (الشافعيّ، 1420هـ- 1999م، صفحة 78).

5-**تعريف نقله الزّبيدي** (1205هـ) **ولم يسم قائله:** "هي الكلامُ المصطلحُ عليه بين كُلِّ قبيلٍ"[9]. (الفيض، 1422هـ-2001م، صفحة 462).

وقد استدرك بعضهم على هذه التّعاريف عنصرا رابعا؛ وهو: الأساليب! فاللّغة ألفاظ وأساليب، وليست ألفاظا فحسب، ومن الأساليب أسلوبا الإضمار والحذف وليسا ملفوظين.

وعليه فالتّعريف المختار للغة اصطلاحا أنّها: "**ألفاظ وأساليب تدل على معاني محدّدة، يتوصل المتكلّم بها إلى أغراضه**" [10].

ومنه أخلص إلى أنّ التّصويب اللّغويّ هو: "**تصحيح الألفاظ والأساليب حتى تدل على معانيها المحدّدة، فيتوصل بها المتكلم إلى أغراضه**".

الفرع الثّالث: التّعريف بحياة الحريري الشّخصيّة والعلميّة: حياة العلماء لها جانبان؛ أحدهما شخصي، وآخر علمي، فالتّعريف بهم يقتضي الفصل بين الجانبين، على أنّ هذا الفصل – مع أهميته – يبقى نظريا، ولذلك جاء هذا الفرع في نقطتين، وذلك على النّحو الآتي:

1-التّعريف بحياة الحريري الشّخصيّة: المراد بالجانب الشّخصي هو ما يشترك فيه جميع النّاس؛ من الاسم الكامل، والمولد تاريخا ومكانا، والأسرة، وخلقته وأخلاقه، وتاريخ وفاته وخاتمة حياته، وسأفصل ذلك في نقاط، وذلك على النّحو الآتي:

أ-**الاسم الكامل للحريري:** الحريري (516هـ) هو: "القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريري أبو محمد"[11]. و"الحريري: نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه." [12]. (القفطي، 1406 هـ - 1982م، صفحة 23).

ب–مولد الحريري تاريخا ومكانا: في تاريخ مولده يقول السّيوطي(911ه): "ولد فِي حُدُود سنة سِتّ وَأَرْبَعين وَأَرْبَعمِائَة"[13] (أبو العباس، صفحة 67). أمّا في مكان مولده، فيقول الذّهبي(748ه): "وُلِدَ: بقَرْيّة المَشَانِ، مِنْ عمل البَصْرَة." [14]. (عبد الرحمن ، و السيوطي، صفحة 257).

ج–أسرة الحريري: لم تذكر كتب التّراجم من أسرة الحريري (516ه) إلاّ آباءه في عمود نسبه، وإلاّ ولديه عبد الله وعبيد الله، ففي وفيات الأعيان: " قال أبو منصور الجواليقي(540ه): أجازني المقامات نجم الدّين عبد الله وقاضي قضاة البصرة ضياء الإسلام عبيد الله عن أبيهما منشئها."[15]. (الذهبي، 1405 ه – 1985 م، صفحة 461).

د–خِلْقة الحريري وأخلاقه: ممّا حفظته لنا كتب التّراجم عن الحريري (516ه) أنّه كان دميم الخلقة، كما كان معيبا بنتف لحيته والعبث بها، حتى أمام الأمراء والوزراء، وكان لا يستعير من ذلك، ولا يبالي بقول النّاس فيه[16]. (أبو العباس، صفحة 67) (الأنصاري و الأنباري، 1405 ه – 1985 م، صفحة 281) وذكروا أنّه: "كَانَ غنِيّاً لَهُ ثَمَانِيّة عشرَ أَلفَ نَخلَةٍ."[17] (الذهبي، 1405 ه – 1985 م، صفحة 465)، إلاّ أنّه: " كَانَ عفشاً زَرِيَّ اللِّباس فِيْهِ بخل"[18] (الذهبي، 1405 ه – 1985 م، صفحة 465).

ه–تاريخ وفاة الحريري وخاتمة حياته: أمّا وفاته، فإنّه: " توفي سنة ست عشرة، وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة، في سكة بني حَرامٍ وخلَّف ولدين،... وبنو حَرامٍ: قبيلة من العرب سكنوا في هذه السّكة فنسبت إليهم..." [19] (الذهبي، 1405 ه – 1985 م، صفحة 67).

2–التّعريف بحياة الحريري العلميّة: للتعريف بالحياة العلميّة لا بد من ذكر: شيوخه، وتلاميذه، ومؤلّفاته، ومذهبه في النّحو والفقه، ومنزلته عند العلماء. وسأفصل القول في نقاط، وذلك على النّحو الآتي:

أ-شيوخ الحريري:

1-أَبو إِسْحَاقَ الشّيرَازِي الشّافعي(476هـ)، تفقَّه عليه.

2-أبو حكيم عَبْدُ اللهِ بنُ إِبْرَاهِيْمَ الخُبري(476هـ)، أخذ عنه الفرائض.

3-أبو نصر ابْنِ الصّبَّاغ عَبْدُ السّيِّدِ بنُ مُحَمَّدٍ البَغْدَادِيُّ(477هـ)، تفقَّه عليه

4 -أَبو القَاسِمِ الفَضْلِ بن محمد القصَبَانِي، وَتَخَرَّجَ بِهِ فِي الأَدب، ونقل عنه في أربعة مواضع في هذا الكتاب.

5-أَبو تَمَام مُحَمَّدِ بنِ الحَسَنِ بنِ مُوْسَى.

6-أبو الحسن عَلِيِّ بنِ فَضَال المُجَاشِعِيّ(479هـ)[20] (الذهبي، 1405 هـ - 1985 م، صفحة 461).

ب-تلاميذ الحريري:

1-2-ابناه أبو القاسم نجم الدّين عبد الله وقاضي قضاة البصرة ضياء الإسلام عبيد الله.

3-الوَزِيْرُ أبو القاسم عَلِيّ بن طِرَاد الزّينبي(538هـ).

4 -الوزير أبو القاسم قِوَامُ الدّين عَلِيُّ بن صَدَقَةَ(552هـ).

5-الحَافِظُ ابْنُ نَاصر.

6-أَبُو العَبَّاسِ أحمد بن بختيار المَنْدَائِيّ (552هـ). وآخرون[21] (الذهبي، 1405 هـ - 1985 م، صفحة 462).

ج-مؤلّفات الحريري:

1-المقامات.

2-ملحة الإعراب في صناعة الإعراب. وهي أرجوزة في النّحو.

3-شرح ملحة الإعراب.

4-درة الغواص في أوهام الخواص.

5-ديوان رسائل.

6-ديوان شعر[22] (عبد الرحمن ، و السيوطي، صفحة 259). وغيرها[23] (الزركلي الدمشقي، 2002م، صفحة 177).

د-مذهب الحريري في النّحو والفقه: كان الحريري (516هـ) -بحكم إقامته بالبصرة-بصريا في النّحو، لذلك نجده يستعمل مصطلحات أهل البصرة؛ مثل الجر بدل الخفض. كما كانت له آراؤهم من مثل قولهم: " الشّيء لا يضاف إلى ذاته"[24] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 23).

وفي الفقه – بحكم تتلمذه على أبي إسحاق الشّيرازي(476هـ)، وأبي نصر ابن الصّباغ الشّافعيين(476هـ) -يُرجح أنّه كان شافعيّ المذهب، ولذلك ترجم له من ألّف في طبقات الشّافعيّة[25] (تقي الدين، 1992م، صفحة 662).

هـ-منزلة الحريري عند العلماء: أجمعوا على أنّ الحريري (516هـ) "كَانَ غَايَة فِي الذّكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة، وتصانيفه تشهد بفضله، وتقر بنبله. وَكَفاهُ شَاهدا المقامات التي أبر بهَا على الْأَوَائِل، وأعجز الْأَوَاخِر."[26] (عبد الرحمن ، و السيوطي، صفحة 257).

أمّا في النّحو فقد قال البغدادي: "وهُوَ عِنْد الْعلمَاء يُعد ضَعِيفا في النّحو"[27] (البغدادي، 1418 هـ - 1997 م، صفحة 463).

الفرع الرّابع: التّعريف بـ "درة الغواص في أوهام الخواص": التّعريف بأي كتاب يكون بالتّعريف بجانبه الشّكلي الخارجي، وبجانبه المضموني الدّاخلي وهذا الثّاني سيأتي مبثوثا في تضاعيف المطالب الآتيّة، لذلك سأكتفي -هنا-بالجانب الأوّل، وذلك على شكل نقاط، على النّحو الآتي:

1-توثيق نسبة الكتاب إلى الحريري: اتفقت كل كتب التّراجم على نسبة الكتاب للحريري، فلا مجال للشك في ذلك أبدا.

2-ضبط عنوان الكتاب: نصّ الحريري (516هـ) في مقدّمة كتابه على عنوانه فقال: "...وسميته درة الغواص في أوهام الخواص..."[28] (الحريري، 1423هـ-

2003م، صفحة 11). لذلك لا نجد اختلافا يذكر في كتب التّراجم حول هذا العنوان.

3-حجم الكتاب: عدد صفحات الكتاب التي من كلام الحريري (516هـ): 160 صفحة، وهو حجم متوسّط؛ لا إلى الطّول، ولا إلى القصر.

4-تاريخ تأليف الحريري لـ "درة الغواص في أوهام الخواص": لم أظفر في كتب التّراجم بتحديد دقيق لتاريخ تأليف الحريري (516هـ) لدرة الغواص في أوهام الخواص.

5-قيمة الكتاب العلميّة: تُعرف قيمة الكتاب العلميّة من خلال اعتناء العلماء به شرحا، وتحشيّة، وتكملة، وترتيبا وتهذيبا. وكلّها توفرت لهذا الكتاب، فدلّت على قيمته عندهم.

أ-شروح الكتاب وحواشيه: قال البغدادي: "وَله أَيْضا شروحٌ كَثِيرَة، قد اجْتمع مِنْهَا عِنْدِي خَمْسَة شُرُوح."[29] (البغدادي، 1418 هـ - 1997 م، صفحة 463). والمعروف من هذه الخمسة هو شرح شهاب الدّين الخفاجي.

أمّا الحواشي، فقد وضع كل من ابن بري، وابن ظفر حاشيته عليه، وجاء من بعدهما فجعلهما في مؤلّف واحد.

ب-ترتيب الكتاب وتهذيبه وتكملته: لأبي منصور الجواليقي كتابٌ أسماه التّكملة والذيل على درة الغواص، كما قام ابن منظور الإفريقي بتهذيبه وترتيبه ورتبه بعض المتأخرين ترتيبًا لغويًا على حروف المعجم[30] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 5).

وختاما، فإنّ عنوان المقال يعني: "**مجموعة القواعد التي سار عليها الحريري (516هـ) في تصحيحه لأخطاء الكتاب والشّعراء اللّغويّة في كتابه درة الغواص في أوهام الخواص**".

المطلب الأوّل: العفويّة في التّأليف: المتصفّح لكتاب درة الغواص في أوهام الخواص يُلاحظ أنّ الكتاب يتسم بقدر كبير من العفويّة، التي تذكرنا بعصر

بدايات التّأليف العربي، ومن مظاهر هذه العفويّة الأمور الآتيّة، التي أخصّص لكل منها فرعا، وذلك على النّحو الآتي:

-**الفرع الأوّل: مقدّمة الكتاب:** لا تحظى المقدمة في بدايات عصر التّأليف بكثير اهتمام؛ فتكون مقتضبة أو غير موجودة أصلا. وقد جاءت مقدّمة درة الغواص على هذا النّحو، مقتضبة في نحو نصف صفحة. ذكر فيها السّبب الذي دعاه إلى تأليف الكتاب، وهو مضاهاة الخواص للعوام في أخطائهم وأغلاطهم في كلامهم وكتاباتهم، كما ذكر فيها عنوان الكتاب، وأنّه وشّاه بالنّوادر والنّكت.

فالمقدّمة تفتقد لكثير من عناصر التّأليف المعروفة في عصر نضج التّأليف منها ذكره لمنهجه في تأليفه، وطريقته فيه، وهو ما يجعل القارئ يدبر أمره في اكتشاف ذلك والوصول إليه.

-**الفرع الثّاني: عدم التّبويب:** جاء الكتاب من أوّله إلى آخره سردا، دون ذكر كلمة فصل أو كلمة باب، ونحو ذلك من العبارات التي يستعملها المؤلّفون. ولا يعرف القارئ أنّه انتقل من مسألة أو وهم إلى التي تليها إلاّ بذكر رقم جديد. وهذا التّرقيم للمسائل لا يُدرى هل هو من وضع الحريري (516هـ) نفسه أم من وضع النّساخ أو المحقّقين؟

-**الفرع الثّالث: عدم التّرتيب:** جاء الكتاب غير مرتب المسائل، فلا وجود لجامع أو مناسبة بين المسألة والتي تليها، وهو ما يدل على أنّ ذكرها كان عفو الخاطر.

وعدد الأوهام التي صحّحها: 220 وَهْمًا، يبتدئ الكلام فيها بقوله: يقولون يعني بذلك الشّعراء والكتاب، وهم الخواص الذين عناهم، ونادرا ما يبتدئ كلامه بقوله: من أوهامهم. وأحيانًا يستشنع الوهم فيصفه بالفاضح أو المستهجن.

-**الفرع الرّابع: الاستطراد:** ولوع الحريري (516هـ) بالنّوادر والنّكت والأخبار جعله يورد منها ما هو بعيد المناسبة أحيانا عن الموضوع الذي هو فيه. وفي ذلك يقول: "وها أنا قد أودعته من النّخب كل لباب، ومن النّكت ما لا يوجد

منتظماً في الكتاب، هذا إلى ما لمعته به من النّوادر اللائقة بمواضعها، والحكايات الواقعة في مواقعها..."[31] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 11).

كما إنّ هناك سببًا آخر جعله يقع في ذلك، وهو ما عبر عنه بقوله: "وقد اشتملت هذه الأبيات على ما يقتضي الكشف عنه لئلا يحتضن هذا الكتاب ما يلتبس شيء منه"[32] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 12). فهو يشرح كل لفظ غريب في شواهده الشّعريّة، وإن كان لا يتوقف فهم وجه استشهاده به على فهمه.

المطلب الثّاني: الشّموليّة في التّصويب اللّغويّ: تعدّدت مستويات التّصويب اللّغويّ في درة الغواص، الصّوتي، والصّرفي، والدّلالي، والتّركيبي أو النّحوي، ولم يقتصر الحريري (516هـ) على ذلك، بل تعداه إلى التّصويب في مجال الرّسم أو الخط والكتابة، وسأخصّص لكل منها فرعا للتمثيل له، وذلك على النّحو الآتي:

-**الفرع الأوّل: التّصويب على المستوى الصّوتي:** وهو أقل المستويات ذكرا في الكتاب، ومن أمثلته:

1-"ويقولون للخبيث الدّخلة: ذاعر بالذّال المعجمة -فيحرفون المعنى فيه؛ لأنّ الذّاعر هو المفزع لاشتقاقه من الذّعر. فأمّا الخبيث الدّخلة فهو الدّاعر بالدّال المهملة لاشتقاقه من الدّعارة وهي الخبث..."[33] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 34).

2-"ويقولون: ثقل في عينه، بثاء معجمة بثلاث فيصحفون فيه؛ لأنّ المنقول عن العرب تفل، بإعجام اثنتين من فوق، وحكى الفراء عن الكسائي أنّ العرب تقول تفل في عينه ونفث، فالتّفل ما صحبه شيء من الرّيق، والنّفث النّفخ بلا ريق..."[34] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 59).

3-"ويقولون لهذا النّوع من الخضراوات المأكولة: ثلجم، وبعضهم يقول: شلجم بالشّين المعجمة، وكلاهما غلط على ما حكاه أبو عمر الزّاهد عن ثعلب ونصّ

على أنّ الصّواب فيه أن يقال سلجم بالسّين المغفلة..." [35] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 80).

-**الفرع الثّاني: التّصويب على المستوى الصّرفي:** من أمثلته:

1-"ويقولون في جمع حاجة: حوائج، فيوهمون فيه... والصّواب أن يجمع في أقل العدد على حاجات... وأن يجمع في أكثر العدد، على حاج مثل هامّة وهام..."[36] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 50).

2-"ويقولون في تصغير عقرب: عُقيربة -فيوهمون فيه وهم من لم يستقر كلام العرب ولا عشا إلى جذوة الأدب -لأنّ العرب تُصغرها على عقيرب، كما تُصغر زينب على زيينب، وذاك أنّ الهاء إنّما ألحقت في تصغير الثّلاثي نحو: قدر وقديرة، وشمس وشميسة. فأمّا الرّباعي فإنّه لما ثقل بكثرة حروفه، نزل الحرف الأخير منزلة هاء التّأنيث..."[37] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 62).

3-"ومن أوهامهم أيضاً في تغيير صيغة المفاعيل: وهو من مفاضح اللحن الشّنيع – قولهم: قلب متعوب، وعمل مفسود، ورجل مبغوض. ووجه القول إن يقال: قلب مُتعَب، وعمل مُفسَد، ورجل مُبغَض، لأنّ أصول أفعالها أفعال رباعيّة ومفعول الرّباعي يبنى على مفعل..."[38](الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 37).

الفرع الثّالث: التّصويب على المستوى الدّلالي: وهذا المستوى أكثر المستويات ذكرا في الكتاب، ومن أمثلته:

1-"فمن أوهامهم الفاضحة وأغلاطهم الواضحة؛ أنّهم يقولون: قدم سائر الحاج واستوفى سائر الخراج، فيستعملون سائراً بمعنى الجميع، وهو في كلام العرب بمعنى الباقي، ومنه قيل لما يبقى في الإناء: سؤر..."[39] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 11).

2-"ويقولون: أزف وقت الصّلاة، إشارة إلى تضايقه، ومشارفة تصرمه - فيحرّفونه عن موضعه، ويعكسون حقيقة المعنى في وضعه، لأنّ العرب تقول: أزف الشّيء، بمعنى دنا واقترب لا بمعنى حضر ووقع. يدل على ذلك أنّ الله سبحانه

وتعالى سمى السّاعة آزفة وهي منتظرة لا حاضرة..."[40] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 15).

3-"ويقولون: ما آليت جهداً في حاجتك -فيخطئون فيه، لأنّ معنى: ما آليت ما حلفت، وتصحيح الكلام فيه أن يقال: ما ألوت؛ أي ما قصّرت، لأنّ العرب تقول: ألاّ الرّجل يألو، إذا قصر وفتر..."[41] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 63).

الفرع الرّابع: التّصويب على المستوى التّركيبي: من أمثلته:

1-"ويقولون: ذهبت إلى عنده. فيخطئون فيه، لأنّ عند لا يدخل عليه من أدوات الجر إلا من وحدها، ولا يقع في تصاريف الكلام مجروراً إلاّ بها، كما قال سبحانه:﴿ قل كل من عند الله ﴾..."[42] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 27).

2-"ويقولون: ابدأ به أوّلًا -والصّواب أن يقال ابدأ به أوّل بالضّم كما قال معن بن أوس:

لعمرك ما أدري وإنّي لأوجلُ *** على أينا تعدو المنيّة أوّلُ

وإنّما بُني أوّل هنا، لأنّ الإضافة مرادة فيه؛ إذ تقدير الكلام: أبدأ به أوّل النّاس. فلمّا اقتُطع عن الإضافة، بنى كأسماء الغايات التي هي قبل وبعد ونظائرهما..."[43] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 105).

3-"ويقولون: الحمد لله الذي كان كذا وكذا. فيحذفون الضّمير العائد إلى اسم الله تعالى الذي به يتم الكلام، وتنعقد الجملة، وتنتظم الفائدة. والصّواب أن يقال: الحمد لله إذ كان كذا وكذا منه، أو يقال: الحمد لله الذي كان كذا وكذا بلطفه أو بعونه أو من فضله وما أشبه ذلك، ممّا يتم الكلام المنثور، ويربط الصّلة بالموصول..."[44] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 134).

-**الفرع الخامس: التّصويب في الرّسم:** خصّص الحريري (516هـ) في آخر كتابه سبع مسائل لتصويب أوهام الخط والكتابة، وهو ما أسماه بـ: "أوهامهم في الهجاء"، من ذلك قوله:

1-"من ذلك أنّهم يكتبون: بسم الله، بحذف الألف أينما وقع، وحيثما اعترض فيوهمون فيه؛ لأنّ الألف إنّما حذفت منه، إذا كتب في فواتح السّرور، وأوائل الكتب، لكثرة استعماله في كل ما يبدأ به، ويشرع فيه. وتقدير الكلام في البسملة المصدرة: أبدأ بسم الله، وأفتتح باسم الله، فترك إظهار هذا الفعل لدلالة الحال عليه، فإنّ أبرز وجب إثبات الألف كما أثبتت في قولك: اقرأ باسم ربك..."[45] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 164).

2-"ومن ذلك: أنّهم يحذفون الألف من ابن في كل موضع يقع بعد اسم أو كنيّة أو لقب، وليس ذلك مطردا على ما توهموه، ولا يوجب حذف الألف ما تخيلوه؛ لأنّه إنّما تحذف الألف من ابن إذا وقع صفة بين علمين من أعلام الأسماء أو الكنى أو الألقاب، ليؤذن تنزله مع الاسم قبله منزلة الاسم الواحد لشدّة اتصال الصّفة بالموصوف وحلوله محل الجزء منه..."[46] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 164).

3-"ومن أوهامهم في الهجاء: أنّهم يخبطون خبط العشواء، فيما يكتب بالأسماء المقصورة بالألف وفيما يكتب بالباء -والحكم فيه أن نعتبر الألف التي في الاسم المقصور الثّلاثي، فإن كانت منقلبة عن واو كتب ذلك الاسم بالألف وإن كانت من ذوات الياء كتبت بالياء، وهذا الحكم أصل لا ينكسر قياسه، ولا يهي أساسه. والمُعتبر فيه بالتّثنيّة والجمع ويتصرف الفعل المأخوذ منه..."[47] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 168).

وختاما يتأكد لدى النّاظر فيما سبق أنّ الحريري (516هـ) كان شموليا في تصويبه اللّغويّ.

المطلب الثّالث: التّنوع في مصادر التّصويب اللّغويّ: تنوّعت مصادر الحريري (516هـ) التي اعتمد عليها في تصويبه اللّغويّ، فمنها القرآن الكريم، والحديث النّبوي، وآثار الصّحابة، وكلام العرب شعرا وأمثالا، على أنّه يكتفي بمصدر واحد أحيانًا في التّصويب الواحد، وأحيانًا يعدد، وسأخصّص لكل منها فرعا، للتمثيل له، وذلك على النّحو الآتي:

-**الفرع الأوّل: القرآن الكريم:** عدد الآيات الواردة في الكتاب 190 آية، ومن أمثلة التّصويب به:

1-"ويقولون: لما يتخذ لتقديم الطّعام عليه مائدة، والصّحيح أن يقال له: خوان إلى أن يحضر الطّعام، فيسمى حينئذٍ مائدة. يدل على ذلك أنّ الحواريين حين تحدوا عيسى عليه السّلام أن يستنزل لهم طعاماً من السّماء **فقالوا:** ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة:112] ثم بينوا معنى المائدة بقولهم: ﴿نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة:113]."[48] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 22).

2-"ويقولون: بعثت إليه بغلام وأرسلت إليه هديّة -فيخطئون فيهما؛ لأنّ العرب تقول فيما يتصرّف بنفسه: بعثته وأرسلته كما **قال تعالى:** ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [المؤمنون:44]، وتقول فيما يحمل: بعثت به وأرسلت به، كما **قال سبحانه** إخبارا عن بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾ [النّمل:35] "[49] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 25).

3-"ويقولون: فلان أشر من فلان -والصّواب أن يقال: فلان شر من فلان بغير ألف كما **قال تعالى:** ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾ [الأنفال:22]..."[50] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 38).

-**الفرع الثّاني: الحديث النّبوي:** عدد الأحاديث الواردة في الكتاب 30 حديثا ومن أمثلة التّصويب به:

1-"ويقولون: شوشت الأمر وهو مشوش -والصّواب أن يقال فيه: هوشت وهو مهوش؛ لأنّه من الهوَش، وهو اختلاط الشّر، ومنه **الحديث:** إياكم وهوشات الأسواق ..."[51] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 36).

2-"ويقولون: فعلته مجراك -فيحيلونه في بنيته، ويحرفونه عن صيغته لأنّ كلام العرب: فعلته من جرّاك. وفي **الحديث:** أنّ امرأة دخلت النّار من جرّا هرة؛ ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض..."[52] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 143).

3-"ويقولون: في التّحذير إياك الأسد إياك الحسد -ووجه الكلام إدخال الواو على الأسد والحسد، كما قال **النّبي صلّى الله عليه وسلّم:** إياك ومصاحبة الكذاب فإنّه يقرب عليك البعيد ويبعد عنك القريب..."[53] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 25).

-**الفرع الثّالث: الآثار عن الصّحابة:** وهي قليلة مقارنة بما سبق ويأتي، ومن أمثلة التّصويب بها:

1-"ويقولون لمن بدأ في إثارة شر أو فساد أمر: قد نشب فيه -ووجه الكلام أن يقال: نشم بالميم لاشتقاقه من قولك: نشم اللحم، إذا بدأ التّغير والإرواح فيه. وعلى هذا جاء في **حديث** مقتل عثمان -رضي الله عنه-: فلما نشَّم النّاس بالأمر. أي: ابتدأوا في التّوثب على عثمان، والنّيل منه."[54] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 96).

2-" ويقولون: قرأت الحواميم والطّواسين. ووجه الكلام فيهما أن يقال: قرأت آل حم وآل طس. كما قال **ابن مسعود** رحمه الله: آل حم ديباج القرآن، وكما **رُوي** عنه أنّه قال: إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات أتأنق فيهن..."[55] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 20).

3-" ويقولون للمتتابع: متواتر، فيوهمون فيه؛ لأنّ العرب تقول: جاءت الخيل متتابعة، إذا جاء بعضها في إثر بعض بلا فصلٍ، وجاءت متواترة، إذا تلاحقت

وبينها فصل، ومنه قولهم: فعله تاراتٍ، أي تارًا حالاً بعد حال، وشيئاً بعد شيء. وجاء في **الأثر** أن الصّحابة لما اختلفوا في الموؤودة قال لهم علي رضي الله عنه: إنَّها لا تكون موؤودة حتى تأتي عليها التّارات السّبع، فقال له عمر رضي الله عنه صدقت أطال الله بقاءك..."[56] (الحريري، 1423هـ-2003م، الصفحات 13-14).

-**الفرع الرّابع: كلام العرب:** من مصادر الحريري (516هـ) في التّصويب اللّغويّ، كلام العرب شعرا وأمثالا، وسأمثل لذلك، على النّحو الآتي:

أ-**الشّعر:** ورد في الكتاب227 بيتا من الشّعر، ومن أمثلة التّصويب به:

1-"ويقولون: دخلت الشّأم - وهو غلط قبيح، وخطأ صريح؛ لأنّ اسم البلد الشّأم، ولفظه مذكر. والدّليل على هذين الأمرين قول الشّاعر:

يقولون إنّ الشّأم يقتل أهله...فمن لي إن لم آته بخلود..."[57] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 122).

2-" ويقولون: لمن يأخذ الشّيء بقوة وغلظة، قد تغشرم وهو متغشرم. والصّواب أن يقال فيه: تغشمر، وهو متغشمر. بتقديم الميم على الرّاء، كما قال الرّاجز:

إنَّ لها لسائقا عشنزرا ... إذا ونين ساعة تغشمرا..."[58] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 16).

3-"ويقولون: المَشْورة مباركة. فينونها على مَفعلة. والصّواب أن يقال فيها: مَشُورة. على وزن مَثُوبة ومَعُونة، كما قال بشار:

إذا بلغ الرّأي المَشُورة فاستعن ... برأي لبيب أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشّورى عليك غضاضة ... فإنّ الخوافي رافدات القوادم..."[59] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 25).

ب-الأمثال: ورد في الكتاب 16 مثلا، ومن أمثلة التّصويب به:

1-"يقولون: كلمتُ فلانا فاختلط - أي اختل رأيه، وثار غضبه، فيحرفون فيه؛ لأنّ وجه القول: فاحتلط بالحاء المغفلة، لاشتقاقه من الاحتلاط، وهو الغضب.

ومنه **المثل المضروب:** أوّل العي الاحتلاط، وأسوأ القول الإفراط."[60] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 138).

2-"ويقولون: جاء القوم بأجمعهم. لتوهمهم أنّه أجمع الذي يؤكّد به في مثل قولهم: هو لك أجمع. والاختيار أن يُقال: جاء القوم أجمُعهم. بضم الميم لأنّه مجموع جَمْع، فكان على أفعُل، كما يقال فرخ وأفرخ وعبد وأعبد. ويدل على ذلك أيضًا إضافته إلى الضّمير، وإدخال حرف الجار عليه. وأجمع الموضوع للتوكيد لا يضاف ولا يدخل عليه الجار بحال. ونظير أجمع قولهم في **المثل المضروب** لمن كان في خصب ثم صار إلى أمرع منه: وقع الرّبيع على أربع، يعني بأربُع جمع ربيع."[61] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 138).

3-" ويقولون لما خرج من الكرش: الفرث، فيوهمون فيه؛ لأنّه يُسمّى فرثا ما دام في الكرش، بدليل قوله تعالى: ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ [النّحل:66]. فإذا لُفظ منها، سُمى السّرجين. **وفي أمثال العرب** فيمن يحفظ الحقير ويضيع الجليل: فلان يحفظ الفرث ويفسد الحرث."[62] (الحريري، 1423هـ-2003م، صفحة 138).

II- الخلاصة والنّتائج: من خلال ما سبق، أخلص إلى النّتائج الآتيّة:

1-لم يكن الكتاب تكرارا للكتب السّابقة له، بل كانت فيه جدة من حيث الأوهام والأغلاط، ومن حيث طريقته في التّصويب.

2-الحريري (516هـ) كان ابن زمانه، مطلعا على كتاباتهم وكلامهم، وأوهامهم وأغلاطهم.

3-المنهج والمنهاج لغة الطّريق حسيا كان أو معنويًّا.

4-المنهج اصطلاحا: الطّريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم عن طريق جملة من القواعد التي تهيمن على سير العقل.

5-التّصويب هو التّصحيح، مشتق من الصّواب.

6-اللّغة لغة: كل كلام لاغ، لكونه هذيا أو باطلا أو إثمًا.

7-اللّغة اصطلاحا: ألفاظ وأساليب تدل على معاني محدّدة، يتوصل المتكلّم بها إلى أغراضه.

8-التّصويب اللّغويّ: تصحيح الألفاظ والأساليب حتى تدل على معانيها المحدّدة، فيتوصل بها المتكلّم إلى أغراضه.

9-الحريري (516هـ) اية في الذّكاء والفطنة والتّبحر في اللّغة، فيه ضعف في النّحو، عاش ميسور الحال، لكنّه ذميم الخلقة، فيه بخل.

10-كتاب درة الغواص في أوهام الخواص كتاب صحّح فيه الحريري (516هـ) أخطاء الكتاب والشّعراء، وحظي باهتمام العلماء شرحا وتهذيبا وتكملة وترتيبا.

11-الكتاب جاء على طريقة الأوائل في التّأليف؛ إذ اتسم بالعفويّة والاسترسال، والاستطراد، وعدم التّبويب، والتّرتيب.

12-الكتاب تنوّعت فيه مستويات التّصويب اللّغويّ، بل أضاف عليها بالتّصويب الكتابي.

13-الكتاب تنوعت فيه مصادر التّصويب اللّغويّ تنوعًا لافتا، من قرآن وحديث، وآثار، ومن كلام العرب شعرا وأمثالا.

14-كتب التّصويب اللّغويّ مكملة لكتب النّحو، وقد نجد في الأولى من المسائل والتّوضيحات والتّعليلات ما لا نجده في الثّانيّة.

II-<u>التّوصيات</u>: من خلال دراستي لهذا الموضوع ألخص توصياتي في النّقاط الآتيّة:

1-ضرورة الاعتناء بكتب التّصويب اللّغويّ لما فيها من ثراء لغوي، ومن متعة أدبيّة.

2-ضرورة استمراريّة التّصويب اللّغويّ، ولا سيما في عصرنا هذا الذي كثر فيه اللحن والعاميّة والعجمة.

3-ضرورة الاهتمام بكتب الحريري عامّة وبكتاب درة الغواص خاصّة، ففيها زاد لغوي قيم.

قائمة المراجع:

شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان أبو العباس. (بلا تاريخ). (المتوفى: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان (الإصدار 4). (إحسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادر.

أبو محمد القاسم بن علي الحريري. (1423هـ-2003م). (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص (المجلد 1). (محمد أبي الفضل إبراهيم المحرر) صيدا ، بيروت: المكتبة العصريّة.

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظّاهري. (بلا تاريخ). (المتوفى: 456هـ)، الإحكام في أصول الأحكام (الإصدار 1). بيروت: دار الآفاق الجديدة.

الحسيني، محمّد بن محمّد بن عبد الرّزّاق أبو الفيض. (1422هـ-2001م). الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس (الإصدار 39 المجلد 1). الكويت: مؤسسة الكويت.

بن أبي بكر عبد الرّحمن ، ، و جلال الدّين السّيوطي. (بلا تاريخ). (المتوفى: 911هـ) بغيّة الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة (الإصدار 2). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) لبنان : المكتبة العصريّة .

بن حماد الجوهري الفرابي إسماعيل أبو نصر . (1399هـ-1979م). (المتوفى: 393هـ) الصّحاح في اللّغة (الإصدار 1، المجلد 2). (أحمد عبد الغفور عطار، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.

تاج الدّين عبد الوهاب بن تقي الدّين السّبكي. (1419هـ-1999م). (المتوفى: 771هـ) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، (الإصدار 1 المجلد 1). (علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، المحرر) بيروت: عالم الكتب.

جمال الدّين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي. (1406 هـ - 1982م). (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق (الإصدار 3، المجلد 1). (محمد أبي الفضل إبراهيم، المحرر) القاهرة /بيروت: دار الفكر العربي / ومؤسسة الكتب الثّقافيّة.

خير الدّين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزّركلي الدّمشقي. (2002م). (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام (الإصدار 5، المجلد 15). دار العلم للملايين.

شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي. (1405 هـ - 1985 م). (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النّبلاء (الإصدار 19، المجلد 3). (الشّيخ شعيب الأرناؤوط، المحرر) مؤسسة الرّسالة.

عبد الرّحمن بدوي. (1977م). مناهج البحث العلمي (المجلد 3). الكويت: وكالة المطبوعات.

عبد الرّحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، و أبو البركات، كمال الدّين الأنباري. (1405 هـ - 1985 م). (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (المجلد 3). (إبراهيم السّامرائي، المحرر) الزّرقاء ، الأردن: مكتبة المنار.

عبد الرّحيم بن الحسن بن علي الإسنوي ، أبو محمد جمال الدّين الشّافعيّ. (1420هـ-1999م). (المتوفى: 772هـ)، نهاية السّول شرح منهاج الوصول (المجلد 1). بيروت: دار الكتب العلميّة.

عبد القادر بن عمر البغدادي. (1418 هـ - 1997 م). (المتوفى: 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (الإصدار 6، المجلد 4). (عبد السّلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

عثمان بن عبد الرّحمن، أبو عمرو، تقي الدّين. (1992م). (المتوفى: 643هـ)، طبقات الفقهاء الشّافعيّة (الإصدار 2، المجلد 1). (محيي الدّين علي نجيب، المحرر) بيروت: دار البشائر الإسلاميّة.

مساعد بن سليمان بن ناصر الطّيار. (1432هـ). التّفسير اللّغويّ للقرآن الكريم (المجلد 1). الرّياض: دار ابن الجوزي.

الهوامش:

[1]) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي (المتوفى: 393هـ)، الصّحاح في اللّغة تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1399هـ-1979م، ج1 ص346.

[2]) عبد الرّحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1977م ص5.

[3]) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفرابي (المتوفى: 393هـ)، الصّحاح في اللّغة (م.س)، ج1، ص165.

[4]) ينظر: محمّد بن محمّد بن عبد الرّزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، مؤسسة الكويت، الكويت، ط1 1422هـ-2001م، ج39، ص462-470.

[5]) ينظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطّيار، التّفسير اللّغويّ للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الرّياض، ط1، 1432هـ، ص34.

[6]) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظّاهري (المتوفى: 456هـ) الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.س)، ج1، ص46.

[7]) تاج الدّين عبد الوهاب بن تقي الدّين السّبكي (المتوفى: 771هـ)، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب بيروت، ط1، 1419هـ-1999، ج1، ص349.

[8]) عبد الرّحيم بن الحسن بن علي الإسنوي الشّافعيّ، أبو محمد، جمال الدّين (المتوفى: 772هـ)، نهاية السّول شرح منهاج الوصول، (د.ت)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1 1420هـ-1999م، ص78.

[9]) محمّد بن محمّد بن عبد الرّزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، ص462.

[10]) ويكون الفرق بين المعنيين اللّغويّ والاصطلاحي هو أن اللّغة لغةً تطلق على الأصوات غير المفهومة أو غير المقصودة أو التي تتضمن باطلا وإثما، بينما اللّغة اصطلاحًا تعم ذلك وغيره؛ من الأصوات المفهومة والمقصودة والتي تتضمّن حقا وصوابا؛ فالعلاقة بينهما علاقة

عموم وخصوص، وهذا على عكس المعهود من كون المعاني اللّغويّة أعم من المعاني الاصطلاحيّة، والله–تعالى–أعلم.

[11]) جمال الدّين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرّواة على أنباه النّحاة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي –القاهرة، ومؤسسة الكتب الثّقافيّة – بيروت، ط1، 1406 هـ –1982م، ج3، ص23.

[12]) أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (المتوفى: 681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.س)، ج4 ص67.

[13]) عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي (المتوفى: 911هـ)، بغيّة الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة – لبنان / صيدا (د.ط)، (د.س)، ج2، ص257.

[14]) شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي (المتوفى: 748هـ) سير أعلام النّبلاء، مجموعة من المحققين: بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة ط3، 1405 هـ – 1985 م، ج19، ص461.

[15]) أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (المتوفى: 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، (م.س)، ج4، ص67.

[16]) ينظر: عبد الرّحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدّين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السّامرائي، مكتبة المنار الزّرقاء – الأردن، ط3، 1405 هـ – 1985 م، ص281.

والذي يدل على عدم مبالاته ما جاء فيه في الصّفحة نفسها: "يحكى أن رجلاً قصده ليقرأ عليه، فاستدل على مسجده الذي يقرأ فيه، فلمّا أراد الدّخول، رأى شخصاً دميم الخلق فاحتقره وقال: لعله ليس هو هذا، فرجع. ثم قال في نفسه: لعله يكون هذا، ثم استبعد أن يكون هو والشّيخ يلحظه، فلما تكرر ذلك منه، تفرس الشّيخ منه ذلك، فلمّا كان في المرة الأخيرة قال له: ادخل، فأنا من تطلب، أكثر من قرد محنك.". أمّا عبثه بلحيته، وعدم مبالاته بذلك حتى أمام الأمراء، فجاء ذلك في الصّفحة نفسها، مانصه: "يحكى أنّه كان مولعاً بالعبث بلحيته بحيث يتشوه بذلك، فنهاه الأمير وتوعده على ذلك، وكان كثير المجالسّة له، فبقي كالمقيد لا يتجاسر أن يعبث بها! فتكلم في بعض الأيام عند الأمير بكلام استحسنه منه، فقال له الأمير: سلني ما شئت حتى أعطيك، فقال له: أقطعني لحيتي، فقال له: قد فعلت.".

[17]) شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي (المتوفى: 748هـ) سير أعلام النّبلاء، (م.س)، ج19، ص465.

[18]) شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي (المتوفى: 748هـ) سير أعلام النّبلاء، (م.س)، ج19، ص465.

[19]) أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، (م.س)، ج4، ص67.

[20]) ينظر: شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النّبلاء، (م.س)، ج19، ص461.

[21]) ينظر: شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذّهبي (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النّبلاء، (م.س)، ج19، ص462.

[22]) ينظر: عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي (المتوفى: 911هـ)، بغيّة الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، (م.س)، ج2، ص259.

[23]) ينظر: خير الدّين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزّركلي الدّمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2002م، ج5، ص177.

[24]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا بيروت، ط1، 1423هـ-2003م، ص23.

[25]) ينظر: عثمان بن عبد الرّحمن، أبو عمرو، تقي الدّين المعروف بابن الصّلاح (المتوفى: 643هـ)، طبقات الفقهاء الشّافعيّة، تح: محيي الدّين علي نجيب، دار البشائر الإسلاميّة بيروت، ط1، 1992م، ج2، ص662.

[26]) عبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي (المتوفى: 911هـ)، بغيّة الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، (م.س)، ج2، ص257.

[27]) عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق وشرح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997 م، ج6، ص463.

[28]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.س)، ص11.

[29]) عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (م.س)، ج6، ص463.

[30]) ينظر: مقدمة تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم على درة الغواص في أوهام الخواص ص5.

[31]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، ص11.

[32]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص12.

[33]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص34.

[34]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص59.

[35]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص80.

[36]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص50.

[37]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص62.

[38]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص37.

[39]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص11

[40]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص15.

[41]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص63.

[42]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص27.

[43]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص105.

[44]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص134.

[45]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص164.

[46]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص164.

[47]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص168.

[48]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص22.

[49]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص25.

[50]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص38.

[51]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص36.

[52]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص143.

[53]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص25.

[54]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص96.

[55]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص20.

[56]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص13-14.

[57]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص122.

[58]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص16.

[59]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص25.

[60]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص138.

[61]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص138.

[62]) أبو محمد القاسم بن علي الحريري (516هـ) (المتوفى: 516هـ)، درة الغواص في أوهام الخواص، (م.ن)، ص134.

هِجْرة مُصطلحَات الحَديث نحو مصطلحَات علوم اللّغة في المعجمَات المُتخَصّصَة

the migration of Hadith terminologies towards liguistics terminologies in the specialized lexicon

أ. الويفي فريد♥

أ. بن عليّة سميرة♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-026-067-005 DOI

تاريخ الاستلام: 07-03-2024 تاريخ القبــول: 28-07-2024

ملخّص: يهدف هذا البحث إلى محاولة استقصاء جوانب التّأثير والتّأثر بين مصطلحات المحدّثين ومصطلحات علوم اللّغة، واستقراء المصطلح الحديثي في البيئة اللّغويّة؛ لأنّ هناك بعض المسائل والقضايا التي بدأها المحدّثون وتأثر بها اللّغويّون بعد ذلك، وكيف أنّ المحدثين فكروا في مباحث ومسائل هي ليست من صميم علوم الحديث، كما تسعى هذه الدّراسة إلى تحديد مدى فاعليّة تلك المصطلحات التي هاجرت وشاعت وهي أصول في غير الدّرس اللّغويّ كما يقوم بإبراز القيمة العلميّة التي أسهم بها كل منهما في التّأثير على الأخر في المصطلح والمفهوم.

♥جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر2، الجزائر، البريد الإلكتروني: farid.louifi@univ-alger2.dz(المؤلّف المرسل).

♥جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر2، الجزائر، البريد الإلكتروني: samira.benalia@univ-alger2.dz.

فلا شكّ إذا أنّ نتيجة البحث ستقدّم صورة مصغّرة عن تلاقي هذين العلمين وتلاقحهما، ممّا أدى إلى تشكيل مجال بيني بينهما، فالكثير من المصطلحات المهاجرة احتفظت بتسميتها لكن طرأت عليها تحوّلات على مستوى المفهوم.

كلمات مفتاحيّة: المصطلح؛ المفهوم؛ علم اللّغة؛ علم الحديث؛ الهجرة المصطلحيّة.

Abstract: This research paper aims to investigate the effect and the affection aspects between the hadith-scholars and the linguistics terminologies and to extrapolate the hadith-terminologyina lingual environment because there are some topics and issues that the hadith-scholarinitiatedand were influenced by the linguists after that, and how the hadith-scholars thought about topics and issues that were not the core of the hadith-science as this study aims to determine the effectiveness of those terms that have migrated and spread and also are the origins in matters other than the lingual lesson, it also highlights the scientific value that contributed with each other in the terminology and in the concept.

So. There is no doubt that the research result will introduce a small picture of the convergence of these sciences which will lead to the form of an interstitial space between them, many migrated terms kept their own form but a concept level transformation had occurred.

Keywords: terminology; concept; linguistics; hadith science; the terminological migration.

1. مقدّمة: يدرس هذا المقال مجموعة من المصطلحات التي تكون مجالا بينيا والذي ينتمي إلى هُويتين فأكثر، ممّا يسمح بمتابعة هجرة المصطلح والتّغيرات التي طرأت عليه جراء هذا الانتقال في المصطلح والمفهوم.

–ترى إلى أي مدى بلغ عمق التّفاعل الحاصل بين مصطلحات الحديث ومصطلحات علوم اللّغة؟

–قد يكون هذا التّفاعل والتّداخل ناتجًا عن الاشتراك في المعنى اللّغويّ؛

–قد يصل هذا التّداخل إلى الاشتراك في المعنى اللّغويّ والاصطلاحي.

وقد بنينا هذا المقال على مقدّمة وأربع مسائل، فالمقدّمة لها؛ كالتّوطئة والتّمهيد والفروع المشتملة على لباب المقصود، ولما كانت المعجمات المتخصّصة أنجع وسيلة لحفظ اصطلاحات العلوم والتي تسعى إلى تقديم التّحديد المفهومي الدّقيق للمصطلحات، معتمدين في ذلك على المنهج المقارن ممّا يسمح لنا بالوقوف على أهم السّمات المفهوميّة الثّابتة والمتحوّلة للمصطلح، ولقد اعتمدنا في هذه الدّراسة على معجم متخصّص ألّفه مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة من طرف ثلة من الباحثين على رأسهم الدّكتور شوقي ضيف، وقد قمنا بدراسة بعض المصطلحات والتي هي من نوع خاصّ تنتمي إلى هُويتين فأكثر.

2. مفاهيم أوليّة: مفهوم المصطلح:

1.2 تعريف المصطلح لغة: المصطلح في اللّغة مأخوذ من مادة صلح، فقد أورد أحمد بن فارس في المقاييس "الصّاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد" (معجم مقاييس اللّغة، 1399هـ –1979م)، ويقال: "تصالح القوم بينهم والصّلح السّلم، وقد اصطلحوا وصالحوا واصّلحوا وتصالحوا واصّالحوا"(لسان العرب، 1414 هـ).

وهذه المادة في اللّغة العربيّة مصدر ميمي للفعل اصطلح، واصْطلحَ الْقَوْم زَالَ مَا بَينهم من خلاف وعَلى الْأَمر تعارفوا عَلَيْهِ وَاتَّفَقُوا، وَيُقَال صَالحه على الشّيْء سلك مَعَه مَسْلَك المسالمة فِي الِاتِّفَاق (المعجم الوسيط).

2.2 تعريف المصطلح اصطلاحا: ذكر الجرجاني في كتابه التّعريفات عدة تعريفات لهذا المصطلح فقال:

– هو عبارة عن اتفاق قوم على تسميّة الشّيء باسم ما ينقل من موضعه الأوّل، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينهما؛

– وقيل هو اتفاق طائفة بوضع اللفظ بإزاء المعنى؛

– وقيل الاصطلاح إخراج الشّيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لتبيان المراد؛

– وقيل الاصطلاح لفظ معين بين قوم معيّنين(التّعريفات، 1405هـ).

نلاحظ من خلال ما سبق أنّ التّعريفين الأوّل والثّاني يعتمدان على مبدأ الاتفاق الذي يقوم به أهل الاختصاص، أمّا التّعريفان الثّالث والرّابع فيركزان على انتقال اللفظ من موضعه الأوّل وهو المعنى اللّغويّ العام إلى موضع آخر وهو المعنى الجديد الخاص المعبر عنه بالمعنى الاصطلاحي لمناسبة بينهما؛ لأنّ التّعريف الاصطلاحي لابد له أن يتشرب من أحد المعاني اللّغويّة.

3.2 تعريف علم مصطلح الحديث: "هو علم يعرف به أحوال الرّاوي المروي من حيث القبول والرّد، لا من حيث الدّلالة على الأحكام، فأهل المصطلح ليس لهم دخل في البحث عن دلالات الأحكام، أو الاستنباط من الحديث"(شرح نزهة النّظر، 2002م).

فالحديث هنا يطلق على معنيين: علم الحديث دراية، وعلم الحديث رواية والأوّل هو المقصود هنا، ويُسمَّى علم مصطلح الحديث، وعلم مصطلح الأثر وهو علم يبحث فيه عن كيفيّة اتصال الأحاديث برسول الله –صلّى الله عليه وسلّم –من حيث أحوالُ نقلتِها ضبطاً وعدالة، ومن حيث كيفيّة السّند اتصالاً وانقطاعاً (إسعاف ذوي الوَطَر، 1993م).

3. نماذج تطبيقيّة على بعض المصطلحات المهاجرة.

أوّلا: مصطلح الغريب:

لغة: وهو لغة صفة مشبهة بمعنى المنفرد أو البعيد عن أقاربه.

أ-**الغريب عند المحدثين:** قال ابن الصّلاح: الغريب هو الذي يتفرد به بعض الرّواة، وسواء انفرد بالحديث كلّه، أم بشيء منه، أم في سنده، وإنّما سمي غريباً لبعده عن مرتبة الشّهرة فضلًا عن التّواتر(إسعاف ذوي الوَطَر 1993م).

قال أبو الفتح اليعمري: "الغريب على أقسام: غريب سنداً ومتناً، ومتناً لا سنداً، وسنداً لا متناً، وغريب بعض السّند فقط، وغريب بعض المتن فقط" (إسعاف ذوي الوَطَر، 1993م).

فمن أمثلة الغريب في بعض غريب المتن ما ذكره أَبُو سليمان فِي حَدِيثِ النّبِي صَلّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "**خَمْسٌ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ الْفَأْرَةُ وَالْعَقْرَبُ وَالْحِدَأَةُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ والكلب العقور**"(الخطابي 1402هـ/1982م).

فلفظة الفسق في هذا الحديث من الغريب؛ لذلك ذكرها ابن قتيبة الدّينوري في كتابه غريب الحديث بصيغة الاستفهام في قوله: لماذا سمي الغراب فاسقًا وهو غير مكلف ولا مأمور، وذكرها السّيوطي في المزهر تحت الألفاظ الإسلاميّة.

قال ابن الأعرابي: لم يُسمع قط في كلام الجاهليّة ولا في شعرهم فاسق؛ لأنّها من الكلمات الإسلاميّة، فالعرب لم يعرفوا في الفِسْق إلاّ قولهم: فَسَقَتِ الرّطَبة إذا خرجت من قِشْرها وجاء الشّرع بأنّ الفِسْق الإفحاشُ في الخروج عن طاعة الله تعالى (المزهر، 1998م).

وسبب تسميّة هذه الخمس بالفواسق "قِيلَ لِخُرُوجِهَا عَنْ حُكْمِ غَيْرِهَا بِالْإِيذَاءِ وَالْإِفْسَادِ وَعَدَمِ الِانْتِفَاعِ"(إسعاف ذوي الوَطَر، 1993م).

وَذكر في سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ "أَنَّهُ قِيلَ لِلرَّاوِي لِمَ قِيلَ لَهَا أَيْ الْفَأْرَةِ الْفُوَيْسِقَةُ؟ فَقَالَ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – اسْتَيْقَظَ لَهَا وَقَدْ أَخَذَتْ الْفَتِيلَةَ لِتُحْرِقَ بِهَا الْبَيْتَ"(التّثريب في شرح التّقريب).

ب-الغريب عند اللّغويّين: هناك فرق بين الغرابة في اللّغة والغرابة في البلاغة فالغرابة في اللّغة هي شيء أخر فالغريب من الكلام كما ذكره أبو سليمان الخطابي: وهو الغامض البعيد من الفهم ويأتي على وجهين:

أوّلا: أن يراد به بعيد المعنى غامضه لا يتناوله الفهم إلاّ عن بعد ومعاناة فكر.

ثانيًا: أن يراد به كلام من بعدت به الدّار، ونأى به المحل من شواذِّ قبائلِ العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنّما هي كلام القوم وبيانهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم وقال له قائل: أسألك عن حرف من الغريب، فقال: **هو كلام القوم، إنّما الغريب أنت وأمثالك من الدّخلاء فيه**(الخطابي،1402هـ/1982م)، وهذا ما صنعه الفيروزآبادي في مقدّمة القاموس حيث خاطب النّاس في مقدّمته بهذا المستوى أي الغريب؛ لأنّه أراد أن يبين للناس أنّه وإن ناءت به جزيرة العرب فلن ينآى به اللسان فلعله يكون أشد فصاحة من كثير من أهل الجزيرة.

ج: الغرابة عند البلاغيين: فالغرابة عند البلاغيين يراد به الكلام الحوشي المستكره أصواتا ودلالة على ما هو مذكور في كتب البلاغيين، فالغريب في اللّغة أصبح من القضايا الشّائكة، فالكثير من النّاس ينادي بهجر الغريب واستعمال السّهل القريب، فعدم أنسنا به أو استعمالنّا له لا يخرجه عن دائرة كلام العرب، كما أنّ الاستعمال ليس دليلًا على الحسن كما ذكر ذلك ضياء الدّين بن الأثير.

ثانيا: مصطلح المسلسل:

المسلسل لغة: "اسم مفعول من السّلسلة وهي اتصال الشّيء بالشّيء ومنه سلسلة الحديد"(معجم مصطلح الحديث النّبوي، 1322هـ/2002م).

أ-**المسلسل عند المحدثين** "هو تتابع رواة الحديث، أو روايته على وصف واحد، وهو أعم من أن يكون قوليا أو فعليا أو هما معا" (معجم مصطلح الحديث النّبوي، 1322هـ/2002م).

ومثال التّسلسل بأحوال الرّواة القوليّة: قال أَخْبَرَنَا الْقَاضِي أَبُو الْعَلاَءِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْوَاسِطِيُّ، قَال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الْمُزَنِيُّ الْحَافِظُ، وَحدثَنا أَبُو طَالِبِ يَحْيَى بْنُ عَلِيِّ بْنِ الطَّيِّبِ الدّسْكَرِيُّ بِحُلْوَانَ لَفْظًا قَال: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُقْرِئِ بِأَصْبَهَانَ قَال: أَخْبَرَنَا، وَفِي حَدِيثِ أَبِي الْعَلاَءِ: حَدَّثَنَا أَبُو يَعْلَى أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْمُثَنَّى الْمَوْصِلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ أَبُو زَكَرِيَّا، قَالَ: حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – قَالَ أَبُو يَعْلَى لَمْ أَفْهَمْ أَبَا هُرَيْرَةَ كَمَا أُرِيدُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ أَقَالَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** " (الكفاية، 1432هـ).

هذا حديث مسلسل رواه جماعة من الجزائريّين بغير هذا الطّريق، وصحّحه جماعة منهم كابن دقيق والبوصيري والألباني.

ب-**المسلسل عند اللّغويّين:** المسلسل في اللّغة هو مُداخلة الكلام للمعاني المختلفة، ويطلق عليه بعض اللّغويّون بالمشجر، وبعضهم يسميه بالمسلسل متابعة لأهل الحديث، وقد ألّف في هذا النّوع جماعةٌ من أئمّة اللّغة كُتباً سمَّوْها (شجر الدّر) منها شجر الدّر لأبي الطّيب اللّغويّ. فيجعلون لكلّ شجرة فروعا فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمةٌ واحدة(المزهر، 1998م).

يقول السّيوطي في المزهر: السّحاب: "اسم عِمامة كانت للنبي صلّى الله عليه وسلم، **والنّبي:** التّل العالي، والتّل مصدر التّليل وهو المصروع على وجه **والتّليل:** صفح العُنُق، و**العنق:** الرّجْل من الجراد، و**الرّجل:** العهد، و**العهد:** المطر **المعاود:** المريض الذي يَعُودك في مَرض وتعوده في مرضه **والمريض:** الشّاك، وفي التّنزيل {في قلوبهم مَرض} أي شك، و**الشّاك:** الطّاعن يقال شكه

إذا طَعَنه **والطّاعِن:** الدّاخل في السّن و**السّنّ:** قرن من كلأ أي قِطْعة منه **والقَرْن:** الأمة من النّاس **والأُمّة: الحِينُ** من الدّهر، **والحِينْ:** حَلْب النّاقة من الوقت إلى الوقت و**الحلب:** ماء السّماء، و**السّماء:** سقف البيت، **والبَيْت:** زوج الرّجل، و**الزّوج:** النّمط من فرش الدّيباج، وهلم جرا"(المزهر، 1998م).

وفي الكتب المؤلفة في هذا النّوع أمثلة كثيرة، ثم قال السّيوطي فهذا النّوع يناظره من الحديث نوع المسلسل.

ثالثًا: مصطلح الضّعيف:

أ-في اصطلاح المحدثين: "هو الحديث الذي فقد شرطا أو أكثر من شروط القبول في الحديث الصّحيح، ويتنوّع أنواعا كثيرة بحسب نوع ضعفه أو الشّرط المفقود فيه، فمنه المنقطع والمعضل، والمرسل والشّاذ"(معجم مصطلح الحديث النّبوي، 1322هـ/2002م) وغيرها، مثال ذلك: مارواه أبو داود عن أُبيِّ بن عُمارة -أنَّه قال: **يا رسولَ الله، أمسَحُ على الخُفَّين؟ قال: "نعم" قال: يوماً؟ قال: "يوماً" قال: ويومَينِ؟ قال: "ويومَينِ" قال: وثلاثةً؟ قال: "نعم، وما شِئتَ** رواه أبو داود وقال ليس بالقوي (بلوغ المرام من أدلّة الأحكام).

هذا الحديث اختلف فيه على أحد رواته وهو يحيى بن أيوب اختلافاً كثيراً.

ب-الضّعيف عند اللّغويّين: هو ما انحط عن درجة الفصيح، ومنه **المُنْكَر** وهو أَضعفُ منه وأقلُّ استعمالا، بحيثُ أنكرَه بعضُ أَئمّة اللّغة ولم يعرفه، مثال ذلك ما ذكره أبو زيد في نوادره: كان الأصمعي ينكر (هي زوجتي)، وقرىء عليه هذا الشّعر لعبدة بن الطّبيب: **(فبكى بناتي شجوهنَّ وزوجتي)** فلم ينكره (المزهر، 1998م).

وقال القالي: "قال الأصمعي: لا تكادُ العربُ تقول زوجته، وقال يعقوب: يقال زوجته وهي قليلة قال الفرزدق":**(وإنَّ الذي يَسْعَى ليُفْسِد زوجتي)** (المزهر 1998م).

وكذلك المتروك: "ما كان قديما من اللّغات ثم تُرِك واسْتُعْمِل غيرُه وأمثلةُ ذلك كثيرة في كتب اللّغة، منها في ديوان الأدب للفارابي: اللَّهَجَة لغة في اللَّهْجة وهي ضعيفة".

(المزهر، 1998م).

رابعًا: مصطلح الشّاهد:

أ-**في اصطلاح المحدثين:** هو الحديث الذي يشبه حديثا آخر كان يظن أنّه فرد في لفظه ومعناه أو في معناه فقط (معجم مصطلح الحديث النّبوي 1322هـ/2002م). مثال ذلك ما رواه أبو أمامة الْبَاهِلِيِّ -رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ - صلّى الله عليه وسلّم: «"**إِنَّ الْمَاءَ لَا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ, إِلَّا مَا غَلَبَ عَلَى رِيحِهِ وَطَعْمِهِ, وَلَوْنِهِ**"»(بلوغ المرام) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ وَضَعَّفَهُ أَبُو حَاتِمٍ.

وَلِلْبَيْهَقِيِّ: «**الْمَاءُ طَاهِرٌ إِلَّا إِنْ تَغَيَّرَ رِيحُهُ أَوْ طَعْمُهُ أَوْ لَوْنُهُ بِنَجَاسَةٍ تَحْدُثُ فِيهِ**» (بلوغ المرام).

فالحديث الشّاهد يتعلق بالحديث الضّعيف؛ لأنّه يتقوى بالشّواهد والمتابعات.

ب-**الشّاهد عند النّحويّين:** هي تلك الشّواهد التي يؤتى بها لغرض تبيان القاعدة أو جعلها أساسا لقياس في نحو أو صرف أو لغة، لذا اقتصرت هذه الشّواهد على عصور الاحتجاج؛ لأنّها نصوص فصيحة لم تتأثّر بمظاهر اللحن، فشعر المولدين لم يستشهد به في النّحو، وإنّما كان يؤتى به لغرض التّمثيل بعد بناء القاعدة على الآية القرآنيّة أو الكلام العربي الموثوق بفصاحته فالشّواهد النّحويّة مخصوصة بعصور الاحتجاج فقط (المعجميّة العربيّة 2018).

ج-**الشّاهد عند المعجميّين:** أمّا الشّواهد المعجميّة فلا يشترط فيها عصر الاحتجاج ذلك لأنّها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم؛

إذ هو أمر راجع إلى العقل ولذلك قيل من أهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري وأبي تمام وأبي الطّيب وهلم جرا (المعجميّة العربيّة، 2018).

خامسًا: مصطلح المتّفق والمفترّق: هذان المصطلحان يتفق فيهما المحدثون واللّغويّون على السّواء في المصطلح والمفهوم.

لغة: "إسم فاعل من اتفق، يقال: اتفق مع فلان وافقه، واتفقا تقاربا واتحدا والمفترق ضده" (معجم مصطلح الحديث النّبوي، 1322هـ/2002م).

اصطلاحا عند المحدثين واللّغويّين: أن تتفق أسماء الرّواة وأنسابهم وتختلف أشخاصهم وله صور مختلفة.

أ–أن يتّفق اثنان أو أكثر في أسمائهم أو أسماء آبائهم ومن أمثلته:

الخليل بن أحمد يتّفق فيه خمسة رجال أوّلهم: "أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي النّحوي البصري المتوفّى (175هـ).

–أبو بشر الخليل بن أحمد المزني البصري المتوفى (173هـ)؛

–أبو سعيد الخليل بن أحمد السّجزي الفقيه الحنفي المتوفى (488هـ)؛

–أبو سعيد الخليل بن أحمد البستي الفقيه القاضي المتوفى (455هـ)؛

–أبو سعيد الخليل بن أحمد البستي الفقيه الشّافعي المتوفى (503هـ)"(معجم مصطلح الحديث النّبوي، 1322هـ/2002م).

لكن العلماء رحمهم الله في كتبهم ومصنفاتهم إذا أطلقوا الخليل بن أحمد فإنّما يقصدون الخليل ابن أحمد الفراهيدي شيخ سيبويه وذلك لسببين هما:

أوّلا: لأوّليّة هذا الإسم، فإنّه لا يوجد أحد سمي بأحمد بعد النّبي صلّى الله عليه وسلّم سوى والدّ الخليل كما ذكر ذلك المبرد وأبو بكر بن أبي خيثمة"(المتفق والمفترق،1417هـ/ 1997م).

ثانيا: لشهرته، فإنّ الخليل بن أحمد هو "أوحد العصر وقريع الدّهر وجهبذ الأمّة وأستاذ أهل الفطنة لم ير نظيره ولا عرف في الدّنيا عديله"(العين).

ب-: أن يتفق اثنان أو أكثر في أسمائهم وأسماء آبائهم وأجدادهم مثال ذلك:

أحمد بن جعفر بن حمدان يتفق فيه أربعة رجال: القطيعي والبصري الدّينوري والطّرسوسي (معجم مصطلح الحديث النّبوي، 1322هـ/2002م).

فالاتفاق والافتراق هو فن صعب يكثر فيه الاشتباه حتى في زمن المتأخّرين؛ لأنّ تعيين المراد يحتاج إلى بحث دقيق في معرفة الشّخص بعينه ووصفه تماما.

سدسا: مصطلح الخبر:

الخبر لغة: الخَبَرُ: "مَا أَتاك مِنْ نَبإٍ عَمَّنْ تَسْتَخْبِرُ"(لسان العرب، 1414هـ).

أ-الخبر في اصطلاح المحدثين: "هو ما أضيف إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم من قول أو فعل أو تقري" (معجم مصطلح الحديث النّبوي 1322هـ/2002م).

فمن الأحاديث الجامعة مثلا بين القول والفعل قوله عليه السّلام: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: **جَاءَ أَعْرَابِي فَبَالَ فِي طَائِفَة اَلْمَسجد فَزَجَرَهُ النّاسُ فَنَهَاهُمْ النّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم فَلَمَّا قَضَى بَوْلَهُ أَمَرَ النّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم بِذَنُوبٍ مِنْ مَاءٍ فَأُهْرِيقَ عَلَيْهِ** (بلوغ المرام)، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ب-الخبر عند النّحاة: هو الرّكن الثّاني الذي تتشكّل منه الجملة الخبريّة الإسميّة، هو الاسم المجرّد عن العوامل اللفظيّة للإسناد ولا يكون إلاّ مرفوعا ويطلق عليه البصريون اسم المسند (الدّرة البهيّة،2006م) وهو الذي تتم به مع المبتدأ الفائدة كما قال بن مالك (ألفيّة ابن مالك، 2009م).

والخبر الجزء المتمم الفائدة.....كالله بر والأيادي شاهدة.

5. خاتمة: من خلال هذا العرض المستقرئ لظاهرة الهجرة المصطلحيّة من علوم الحديث إلى علوم اللّغة يمكن تلخيص النّتائج المتوصّل إليها في العناصر التّاليّة:

-هجرة مصطلحات الحديث إلى علوم اللّغة كانت هجرة شاملة لكل المصطلحات الحديثيّة تقريبا؛

-علوم الشّريعة وعلوم اللّغة هي علوم يخرج بعضها من رحم بعض؛

-اشتقاق علم من علم موضوع عريق الأرومة وعميق الجذور في التّراث العربي الإسلامي؛

-تجربة الإمام السّيوطي في كتابه المزهر تعد فتحا للباحثين والدّارسيين للاستفادة من العلمين؛

-اعتراف اللّغويّين بقوة منهج المحدثين ودقتهم في تلقي الأخبار والتّمييز بينها؛

-في هذه التّجربة نلاحظ أنّ هناك علم آخذ وهي علوم اللّغة وعلم مأخوذ منه وهو علم مصطلح الحديث لحاجة الأوّل وافتقاره إلى معونة الثّاني؛

-من بين العوامل المؤثّرة في انتقال مصطلحات المحدثين إلى البيئة اللّغويّة واستثمارها هو العامل الزّمني وأسبقيّة علم الحديث لعلوم اللّغة ممّا أدى إلى تأثر العلماء به ونقله ودراسته؛

-إحاطة بعض أئمّة الحديث بعلوم اللّغة جعلهم ينقلون شيئًا وكثيرًا من مصطلحات الحديث ودراستها وفق ما تقتضيه الصّناعة اللّغويّة.

6. قائمة المراجع:

1. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ت: محمد حامد الفقي، (مصر: المطبعة السّلفيّة، د ت ن، دط).
2. ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرّازي، معجم مقاييس اللّغة، ت: عبد السّلام محمد هارون، (د ب ن: دار الفكر، دط، 1399هـ 1979-م).
3. ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدّين الأنصاري الرّويفعى الإفريقى، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط03، 1414هـ).
4. أبي عبد الله يحي بن محمد بن القاسم الدّيلمي، الدّرة البهيّة في أهم التّعريفات النّحويّة (د م ن).
5. الإتيوبي، البحر المحيط الثّجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (د ب ن: دار ابن الجوزي، ط01، 1436/1426هـ).
6. البغدادي، الكفاية في معرفة أصول علم الرّواية، باب بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ سَمِعَ حَدِيثًا فَخَفِيَ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ السّمَاعِ حَرْفٌ مِنْهُ لإدغام الْمُحَدِّثِ إِيَّاهُ مَا حُكْمُهُ، ت: ماهر ياسين الفحل (الدّمام: دار ابن الجوزي، ط1432،01هـ).
7. الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي، التّعريفات، ت: إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط01، 1405هـ).
8. الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي غريب الحديث، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، (دمشق: دار الفكر، 1402هـ/ 1982م).
9. الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المتفق والمفترق، ت: الدّكتور محمد صادق آيدن الحامدي، (دمشق: دار القادري للطباعة والنّشر والتّوزيع-ط01 1417هـ/ 1997م).
10. الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرّحمن بن عمرو بن تميم البصري، العين، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي، (د ب ن: دار ومكتبة الهلال، د ت ط).
11. العراقي أبو الفضل زين الدّين عبد الرّحيم بن الحسين، التّثريب في شرح التّقريب،(د م ط).
12. علي القاسمي، المعجميّة العربيّة في فكر الدّكتور علي القاسمي، (عمان: مركز الكتاب الأكاديمي، ط01 ،2018)،(76).
13. مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، (د ب ن دار الدّعوة، د م ن).

14. محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الأثيوبي الولوي، إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدّرَر في علم الأثر، (المملكة العربيّة السّعوديّة المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثريّة ط1414،01هـ -1993م).

15. محمد بن صالح العثيمين، شرح نزهة النّظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: صبحي محمد رمضان، محمد بن عبد الله الطّالبي، (القاهرة: مكتبة السّنة ط 01، 2002م).

16. معجم مصطلح الحديث النّبوي، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، (د ب ن: د د ن 1322هـ/2002م).

17. يحيى عطيّة عبابنة، تطور المصطلح النّحوي البصري من سيبويه حتى الزّمخشري (الأردن: عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2006).

8. هوامش:

1- ابن فارس أبو الحسين أحمد بن زكرياء القزويني الرّازي، معجم مقاييس اللّغة، ت: عبد السّلام محمد هارون، (د ب ن: دار الفكر، د ط، 1399هـ - 1979م.)، (303/03).

2-ابن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدّين الأنصاري الرّويفعى الإفريقي لسان العرب، (بيروت: دار صادر، ط03، 1414 هـ)، (517/02).

3-ينظر، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، المعجم الوسيط، (د ب ن: دار الدّعوة، د ت ن دط)،(520/01).

4-الجرجاني أبو الحسن علي بن عبد العزير القاضي، التّعريفات، ت: إبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتاب العربي، ط01، 1405هـ)، (44).

5-محمد بن صالح العثيمين، شرح نزهة النّظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني، ت: صبحي محمد رمضان، محمد بن عبد الله الطّالبي، (القاهرة، مكتبة السّنة ط 01، 2002م)، (15).

6-محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الأثيوبي الولوي، إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدّرَر في علم الأثر، (المدينة المنورة المملكة العربيّة السّعوديّة، مكتبة الغرباء الأثريّة، ط1414،01 هـ -1993م)، (10/01).

7-النّحارير جمع نحرير وهو الحاذق الماهر العاقل المجرب المتقن الفطن البصير بكل شيء.

8-جلال الدّين السّيوطي عبد الرّحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ت: فؤاد علي منصور،(بيروت: دار الكتب العلميّة -ط01، 1418هـ/1998م)، (107/1).

9-المرجع نفسه، (107/1).

10-المرجع السّابق، (107/1).

11-حماد الرّاويّة حماد ابن سابور الكوفي، واشتهر بحماد الرّاويّة لسعة حفظه، كان لصا في بداية أمره، اقتحم على بيت فوجد صندوقا فأخذه يظن أنه مالا فوجد فيه شعر الأنصار حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك، فحفظ هذه الأبيات ثم تاب من اللصوصيّة واتجه إلى الشّعر، وكان اية من آيات الحفظ.

12-ينظر: المرجع نفسه، (383/1).

13-الأثيوبي محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الولوي، شرح أَلْفِيّة السّيوطي في الحديث المسمى «إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدّرَر في علم الأثر»، (المدينة المنورة المملكة العربيّة السّعوديّة، مكتبة الغرباء الأثريّة، ط01، 1414هـ -1993م)، (298/1).

14-ينظر: المزهر، (109/1).

15-المرجع السّابق، (109/01).

16-الأثيوبي محمد ابن العلامة علي بن آدم ابن موسى الولوي، شرح أَلْفِيّة السّيوطي في الحديث المسمى «إسعاف ذوي الوَطَر بشرح نظم الدّرَر في علم الأثر»، (المدينة المنورة المملكة العربيّة السّعوديّة: مكتبة الغرباء الأثريّة، ط01، 1414هـ -1993م) (209/1).

17-المرجع نفسه، (208/1).

18-الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، غريب الحديث، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، (دمشق: دار الفكر، دط، 1402هـ / 1982م) (602/1).

19-جلال الدّين السّيوطي عبد الرّحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ت: فؤاد علي منصور،(بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01، 1418هـ/1998م) (235/1-240).

20-الإتيوبي، البحر المحيط الثّجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج (د ب ن: دار ابن الجوزي، ط01، 1436/1426 هـ)، (295/22).

21-العراقي أبو الفضل زين الدّين عبد الرّحيم بن الحسين، التّثريب في شرح التّقريب (د م ن)، (72/5).

22-الخطابي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، غريب الحديث، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، (دمشق: دار الفكر، دط، 1402هـ/1982م) (71/1).

23-معجم مصطلح الحديث النّبوي، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، (د د ط، د ب ط - 1322هـ/2002م)، (70).

24-المرجع نفسه: (70).

25-البغدادي، الكفاية في معرفة أصول علم الرّواية، باب بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ سَمِعَ حَدِيثًا فَخَفِيَ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ السّمَاعِ حَرْفٌ مِنْهُ لإدغام الْمُحَدِّثِ إِيَّاهُ مَا حُكْمُهُ، ت: ماهر ياسين الفحل (الدّمام: دار ابن الجوزي، ط1432،01 هـ)، (211/1).

26-السّيوطي جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ت: فؤاد علي منصور، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01، 1418هـ/ 1998م)،(355/1)

27-نفس المرجع، (454-455).

28-معجم مصطلح الحديث النّبوي، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، (د ب ن: د د ن دط 1322هـ/2002م)، (50).

29-ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، ت: محمد حامد الفقي، (مصر: المطبعة السّلفيّة، د ت ن)، (26).

30-انظر: جلال الدّين السّيوطي عبد الرّحمن بن أبي بكر، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، ت: فؤاد علي منصور،(بيروت: دار الكتب العلميّة -، ط01، 1418هـ/1998م) (173/1).

31-المرجع نفسه: (173/1).

32-المرجع السّابق، المزهر، (173/1).

33-مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، معجم مصطلح الحديث النّبوي، (د د ط، د ب ط - 1322هـ/2002م)، (42).

34-علي القاسمي، المعجميّة العربيّة في فكر الدّكتور علي القاسمي، (مركز الكتاب الأكاديمي، عمان: ط01 ،2018)،(76).

35-نفس المرجع، (76).

36-معجم مصطلح الحديث النّبوي، مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، (د ب ن: د د ن دط،1322هـ/2002م)، (59).

37-المرجع نفسه: (60).

38-ينظر: الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، المتفق والمفترق، ت: الدّكتور محمد صادق آيدن الحامدي، (دمشق: دار القادري للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط01 1417هـ/ 1997م)، (868/2)

39-ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرّحمن بن عمرو بن تميم البصري العين، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السّامرائي، (د ب ن: دار ومكتبة الهلال، د ت ن دط)، (25/1)

40-المرجع السّابق: معجم مصطلح الحديث النّبوي، (60).

41-ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدّين الأنصاري الإفريقى لسان العرب،(بيروت: دار صادر، ط3، 1414 هـ)، (227/4).

42-المرجع السّابق، معجم مصطلح الحديث النّبوي، (23).

43-ابن حجر، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، (26).

44-أبي عبد الله يحي بن محمد بن القاسم الدّيلمي، الدّرة البهيّة في أهم التّعريفات النّحويّة، د م ن، (9/1).

يحيى عطيّة عبابنة، تطور المصطلح النّحوي البصري من سيبويه حتى الزّمخشري (الأردن: عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2006)، (72).

45-ابن مالك، ألفيّة ابن مالك، (د م ن) (18/1).

ملامح من الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم؛ (دراسة تحليليّة)

Manifestations of Rhetorical Inimitability of the Holy Qur'an; a Descriptive Analytical Study

د. محمد جبر السّيد عبد الله جميل♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-006

تاريخ الاستلام: 23-08-2023 تاريخ القبــول: 31-07-2024

ملخّص: استهدفت الدّراسة الحاليّة تجليّة نماذج من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم تفنيدا للزعم القائل بأنّ القرآن الكريم كلام البشر، وليس كلام الله تعالى. واستندت الدّراسة إلى المنهج الوصفي. واعتمدت في إطار ذلك على الأسلوب التّحليلي. وتمثّلت أداة الدّراسة في مسح الأدبيات المتعلّقة بموضوع الدّراسة. وأسفرت الدّراسة عن أنّ القرآن الكريم يزخر بأوجه الإعجاز البياني ومنها: التّقديم والتّأخير، وتنويع صيغ الأفعال والمصادر المشتقّة من أصل واحد، والتّكرار البلاغي. وأوصت الدّراسة بضرورة تخصيص مقرّر دراسي يتناول الإعجاز البياني في القرآن الكريم على أن يتم تدريسه في جميع السّنوات والمراحل الدّراسيّة.

الكلمات المفتاحيّة: القرآن الكريم؛ الإعجاز البلاغي.

♥أستاذ بكليّة العلوم الإسلاميّة، جامعة المدينة العالميّة، فرع القاهرة، البريد الإلكتروني: muhammad.gameel22@gmail.com (المؤلّف المرسل).

Abstract: The study aimed at investigating examples of rhetorical inimitability of the Holy Qur'an to repudiate the fallacy that the Holy Qur'an is not the speech of Allah exalted be He, but created by human beings. The study administered the descriptive analytical approach. A review of literature was conducted. The study came to the finding that the Holy Qur'an is abundant with manifestations of rhetorical inimitability such as using anastrophe, applying variations of the same stem with different meaning and employing rhetorical repetition. The study made the recommendation that a school subject on rhetorical inimitability of the Holy Qur'an ought to be taught in every school year and every educational stage.

Keywords: The Holy Qur'an, Rhetorical Inimitability.

مقدّمة: إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنّا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبدُه، ورسولُه.

﴿يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاَّ وأَنْتُم مُسْلِمُون﴾ [1].

﴿يا أيُّها النّاس اتَّقُوا ربَّكُم الذي خَلَقَكُم مِن نَفْسٍ وَاحِدة وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبثَّ مِنْهُما رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء، وَاتَّقُوا الله الذي تَسَاءَلُون بِهِ وَالأَرْحَام، إنَّ الله كانَ عَلَيْكُم رَقِيبَا﴾ [2].

﴿ يَا أيُّها الذين آمنُوا اتَّقُوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالَكم ويغفر لكم ذنوبَكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾[3].

أمّا بعد [4]**:**

فإنّ القرآن الكريم هو الآية الأولى للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والدّليل الأعظم على نبوته، وهو رسالتّه للعالمين. وهو يحمل الدّليل من ذاته على أنّه كلام الله تعالى، أوحاه لنبيه صلّى الله عليه وسلّم. وإنّ القرآن الكريم تحدى

الكافرين، وطالَبَهم أن يأتوا من بيانهم، وكلامهم بمِثْلِه، ولكنّهم لم يَقْدِروا على ذلك، وبذلك عجزوا عن معارضته، فصار معجزا لهم.

فإعجاز القرآن الكريم حقيقة قاطعة، وبَدْهيّة مُقَرَّرة. وقد أجمع الباحثون على القول بالإعجاز البياني، وأنّ القرآن معجِزٌ ببلاغته، وأسلوبه، وبيانه، وتعبيره"[5]، وهذا الإعجاز البياني يدل دلالة صريحة وقاطعة على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى.

فلقد "أسمَعَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الكافرين آيات القرآن الكريم وأخبرهم أنّ الله تعالى هو الذي بعثه للنّاس نبيا ورسولا، وانزل عليه القرآن، وهذا القرآن الذي يسمعونه منه، ليس كلامه، ولا كلام مخلوق آخر، إنّما هو كلام الله تعالى، أوحى به إليه، وطلب منهم أن يؤمنوا به أنّه رسول الله، وأن يؤمنوا أنّ القرآن كلام الله. ولكن الكافرين كَذَّبوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وزعموا أنّه ليس رسول الله، وأنّ القرآن الذي معه ليس كلام الله، وإنّما هو كلام بشر آخر. وارتقوا في زعمهم درجة أخرى أخبث، حيث زعموا القدرة على معارضة القرآن. هنا تحداهم الله تعالى، وطلب منهم أن يؤلّفوا مثله، وأن يأتوا بحديث مثله، أو بعشر سور، أو حتى بسورة من مِثْلِهِ ولكنّهم لم يستطيعوا ذلك، ولم يقدروا عليه، وقصَّروا عن الإتيان بالمطلوب، وعجزوا عن معارضة القرآن الكريم. وهذا معناه أنّ القرآن صار مُعْجزا لهم. وإعجاز القرآن الكريم للمنكرين له يدل دلالة قاطعة على أنّه كلام الله تعالى، وليس كلام مخلوق"[6]: أي: أنّ الإعجاز البياني لكتاب الله تعالى دليل دامغ على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كلام المخلوق.

ومع ذلك، خرج المنكرون المعاصرون، والمشككون الجدد يكررون زعم أسلافهم بأنّ القرآن الكريم ليس كلام الله تعالى، وإنّما كلام البشر. من هنا سعت الدّراسة الحاليّة للرد على هذا الزّعم، وتفنيده، وذلك بتجليّة نماذج من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم استنادا إلى أنّ الإعجاز البلاغي لكتاب الله

تعالى يشكل الدّليل القاطع على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كلام البشر.

مشكلة الدّراسة: تنصب الدّراسة الحاليّة على مسألة الإعجاز البلاغي لكتاب الله تعالى. ويمكن تلخيص مشكلة الدّراسة في التّساؤل الآتي: ما أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم التي تدلل على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كلام البشر؟

هدف الدّراسة: بناءً على التّساؤل السّابق، فإنّ هدف الدّراسة يتحدّد في تجليّة نماذج من الإعجاز البياني للقرآن الكريم. التي تبرهن على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كلام المخلوق.

أهمّيّة الدّراسة: تتمثّل أهميّة الدّراسة في جانبين هما:

الجانب الأوّل: الأهميّة النّظريّة: تتجلّي الأهميّة النّظريّة للدراسة في أنّها تحاول استكمال الجهود العلميّة التي انصبت على مجال الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم. وذلك في محاولة لإثراء ما كتب في هذا الخصوص.

الجانب الثّاني: الأهميّة التّطبيقيّة: تتجلي الأهميّة التّطبيقيّة للدراسة في أنّها تسهم في تسليط الضّوء على أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم لتفنيد الزّعم القائل بأنّ القرآن الكريم كلام المخلوق وليس كلام الله تعالى.

منهج الدّراسة: استندت الدّراسة إلى المنهج الوصفي. واستندت في إطار ذلك إلى الأسلوب والتّحليلي؛ إذ تم إبراز نماذج من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم. وذلك في ضوء الأدبيات التي تناولتها بالعرض والدّراسة.

مصطلح الدّراسة:

إعجاز القرآن البلاغي: يقصد بإعجاز القرآن البلاغي: "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمِثْلِهِ، رغم توفُّر مَلَكَاتِهِم البيانيّة وقيام الدّاعي على ذلك، وهو استمرار تحدِّيهم، وتقرير عَجْزِهِم عن ذلك"[7]: أي: أنَّ إعجاز القرآن "صفة للدلالة على أنّ القرآن كلام الله سبحانه أنزله

بعلمه بلسان عربي مبين، فنزل به جبريل عليه السّلام على قلب محمد صلّى الله عليه وسلّم ليكون معجزته التي توجب على من سمعها أن يشهد له بأنّه رسول أرسله الله إلى النّاس كافّة إنسهم وجِنهمَّ، على اختلاف السّنتهم وألوانهم" (8). وغآية ذلك: "إثبات عجز الإنس والجن على قدرتهم بالتّحدي على الإتيان بمِثْل القرآن في بيان تشريعه – عبادة ومعاملة – قصد إظهار صدق الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – في دعواه" (9).

خطّة الدّراسة: تتألّف الدّراسة من مقدّمة، ومطالب أربعة، وخاتمة، وفهرس كالآتي:

المقدّمة: تتناول مشكلة الدّراسة، وأهدافها، وأهميّتها، ومنهجها، ومصطلحها وخطّة الدّراسة.

المطلب الأوّل: يستعرض **التّقديم** والتّأخير في القرآن الكريم.

المطلب الثّاني: ينصب على تنوّع صيغ الأفعال المشتقة من أصل واحد في البيان القرآني.

المطلب الثّالث: ينصب على تنوّع صيغ المشتقات ذات الأصل اللغويّ الواحد في التّعبير القرآنيّ.

المطلب الرّابع: يتطرّق للتكرار الحكيم الهادف في التّعبير القرآنيّ.

الخاتمة: تتناول نتائج الدّراسة، وتوصياتها.

الفهرس: يتضمّن قائمة بالمراجع التي استندت إليها الدّراسة.

ويجري تفصيل ذلك كالآتي:

1. التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم: إنَّ من أوجه الإعجاز البياني في كتاب الله تعالى التّقديم والتّأخير. فصور التّقديم والتّأخير جليّة في البيان القرآني. ومن هذا المنطلق يكثف المطلب الحالي الضّوء على مفهوم التّقديم والتّأخير، وأقسامه، وأسبابه في البيان القرآني، ونماذجه. ويتم استعراض ذلك – بشيء من التّفصيل –في فرعين على النّحو الآتي:

1.1. مفهوم التّقديم والتّأخير وأقسامه وأسبابه في القرآن الكريم:

أوّلا-: مفهوم التّقديم والتّأخير: التّقديم والتّأخير هو: "جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصليّة أو بعدها لعارض اختصاص، أو أهميّة، أو ضرورة" [10]. وبعبارة أخرى: تقديم اللفظ الذي حقّه التّأخير أو تأخير ما حقّه التّقديم لإفادة الاختصاص أو الاهتمام [11].

و"من المعلوم في صياغة الجملة في اللغة العربيّة أنَّ كل كلمة فيها لها ترتيب خاص فيها بحسب وضعها. المبتدأ مقدَّم على الخبر، والفعل مقدّم على الفاعل، والفاعل مقدم على المفعول به، وفعل الشّرط مقدّم على جواب الشّرط والعُمْدة في الجملة مُقَدَّمة على الفَضْلَة المُتَمِّمة لها، والفَضْلة هي الكلمات التّحسينيّة مثل: الظّرْف، والجار والمجرور، والحال، والتّمييز، وغيرها، هذه تكون بعد العُمْدة، وهي الفعل والفاعل. هذا هو الأصل في صياغة الجملة في اللغة العربيّة. وقد تدعو بعض الأسباب والمقتضيات إلى العدول عن هذا الأصل، ونقل بعض الكلمات عن مواضعها الأصليّة في الجملة إلى مواضع أخرى، بتقديمها أو تأخيرها، وذلك لتحقيق غرض بلاغي، والتّركيز على معنى بياني ملحوظ. واستخدم القرآن أسلوب التّقديم والتّأخير على أرفع صورة بيانيّة وبدقّة عجيبة مُعْجِزة، ورَصَفَ الألفاظ في الجملة بجَنْب بعض، بطريقة متناسقة رائعة" [12].

ثانيًا-: أقسام التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم:

"التّقديم والتّأخير في البيان القرآنيّ قسمان:

الأوّل: تقديم اللّفظ على عامله: كتقديم المفعول به على الفعل، وتقديم الظّرف على الفعل، أوتقديم الجار والمجرور على الفعل، أو تقديم الخبر على المبتدأ.

الثّاني: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل: حيث يُقَدَّم اللفظ في آية، ويؤخّر اللفظ نفسه في آية أخرى مشابهة" [13].

ثالثًا-: أسباب التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم: "إذا قَدَّم القرآن لفظًا في موضع قَدَّمه لحكمة، وإذا أخَّر اللفظ نفسه في موضع آخر أخَّرَه لحكمة أيضًا والتّوازن الدّقيق هو الذي يحكم هذا التّقديم والتّأخير، ويحقِّق الإعجاز البياني الرّفيع، ويقرّر المعنى القرآني المراد. ومن أسباب التّقديم والتّأخير في البيان القرآني:

1- **التّقديم للاختصاص:** كأن يقدّم القرآن لفظا لاختصاصه بأمر معيّن فيقدم الخبر على المبتدأ، أو المفعول به على الفعل، ليخصَّ ذلك اللفظ بذلك الأمر.

2- **التّقديم للتفضيل:** كأن يقدِّم الفاضل على المفضول.

3- **التّقديم للأهميّة:** كأن يقدّم الأهم على ما دونه.

4- **التّقديم للأوليّة الزّمانيّة:** كأن يقدّم الأسبق في الوجود والزّمان.

5- **التّقديم للترتيب:** كأن يقدّم ما يدعو إلى فعله قبل غيره.

6- **التّقديم للكثرة أو القلة:** كأن يقدّم الأكثر على الأقل أو بالعكس" [14].

2.1. نماذج التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم:

نماذج التّقديم والتّأخير كثيرة في القرآن الكريم. من هذه النّماذج الآتي:

أوّلا-: تقديم المفعول به في قوله تعالى: ﴿إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين﴾:

في قوله تعالى: ﴿إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعينُ﴾[15]: قدَّم القرآن الكريم الضّمير (إيَّاكَ) على فعله (نعبد) في الشّطر الأوّل من الآية، وفعله (نستعين) في الشّطر الثّاني من الآية. فالضّمير (إيَّاكَ) ضمير منفصل مبني في محل نصب مفعول به، مقدّم على فعله، وذلك في الفعلين: نعبد ونستعين، والأصل: نعبدك ونستعينك. وسبب التّقديم والتّأخير في قوله تعالى: ﴿إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعينُ﴾ [16]هو الاختصاص لأنّ موضوع الآية هو عبادة الله تعالى والاستعانة به. وهذا موضوع من موضوعات الإيمان والعقيدة؛ لأنّ العبادة لا تكون إلاّ لله تعالى والاستعانة لا تكون إلاّ بالله تعالى. ومن عبد غير الله تعالى أو استعان بغير

الله تعالى فقد كفر وأشرك بالله تعالى. فالتّقديم في الآية للاختصاص والقصر وكأنّ المؤمنين يقولون: يا ربّنا لا نعبد إلاّ أنت، ولا نستعين إلاّ بك [17].

ثانيا-: تأخير (فيه) في قوله تعالى: ﴿ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه﴾: أَخَّر القرآن الكريم شبه الجملة في قوله تعالى: ﴿ألم* ذلكَ الكِتَابُ لا رَيْبَ فيه هُدًى للمتقين﴾ [18]؛ للإخبار عن القرآن الكريم بأنّه لا ريب فيه ولا شكّ فيه، وتكذيب للمشركين الذين زعموا أنّ في القرآن ريب. ولو قدَّم شبه الجملة وقال: (لا فيه ريب) لدل على الاختصاص والتّفضيل، وكان المراد اختصاص القرآن بعدم الرّيب فيه دون الكتب السّماويّة السّابقة. ومعنى القول: (لا فيه ريب) – لو قاله – شهادة للقرآن بنفي الرّيب عنه، وإدانة للكتب السّماويّة السّابقة كالتّوراة والإنجيل بأنّ فيها ريبًا وشكا وتحريفا [19]. وهذه الكتب السّماويّة نزلت خاليّة من كل ريب مثلها في ذلك مثل القرآن الكريم لأنّها من لدن حكيم عليم. ومع أنّ هذه الكتب قد حُرِّفت فيما بعد، إلاّ أنّها نزلت سالمة من كل تحريف.

ثالثًا-: تقديم السّجود على الرّكوع: من المعلوم أنّ "الرّكوع يسبق السّجود في الصّلاة، ومعظم آيات القرآن تقدم الرّكوع على السّجود، وهذا هو الأصل في الأداء والوجود، والأصل في الصّياغة النّحويّة؛ حيث تُرتَّب الكلمتان – الرّكوع والسّجود – في الجملة القرآنيّة على أساس ترتيبهما في الفعل والوقوع. من ذلك قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين ءَامنوا اركعوا واسجدُوا واعبدوا رَبَّكُم وافعلوا الخَيْرَ لعلَّكُم تُفْلحون﴾[20]... ولكنّ القرآن قدَّم السّجود على الرّكوع في آية واحدة فقط، وذلك أثناء حديثه عن قصّة مريم – عليها السّلام – في سورة آل عمران. قال تعالى: ﴿وإذ قالتّ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطَهَّرَكِ واصطفاكِ على نساءِ العالمينَ * يا مريمُ اقنُتي لرَبِّكِ واسجدي واركعي مع الرّاكعين﴾[21]. تخبر الملائكة مريم عليها السّلام أنّ الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وتطالبها بشكر الله على هذه النّعمة بأن تقنت لله وتسجد له وأن

تركع مع الرّاكعين. فما حكمة تقديم السّجود على الرّكوع في هذه الآية الوحيدة في القرآن؟" [22].

يبين ابن القيم الحكمة من ذلك بقوله: "هذا ممّا قُدِّم بالفضل، لأنّ السّجود أفضل، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. فإن قيل: فالرّكوع قبله بالطّبع والزّمان والعادة، لأنّه انتقال من عُلُوّ إلى انخفاض، والعلو بالطّبع قبل الانخفاض، فهَلَّا قَدَّم الرّكوع؟ الجواب أن يقال: انتبه لمعنى الآية، من قوله: (اركعي مع الرّاكعين)، ولم يقل: اسجدي مع السّاجدين، فإنّما عَبَّر بالسّجود عن الصّلاة، وأراد صلاتها في بيتها، لأنّ صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها مع قومها. ثم قال لها: (اركعي مع الرّاكعين)؛ أي: صَلِّي مع المُصَلِّين في بيت المَقْدِس، ولم يَرِدْ أيضًا الرّكوع وحده، دون أجزاء الصّلاة، ولكنّه عَبَّر بالرّكوع عن الصّلاة، كما تقول: ركعت ركعتين وأربع ركعات، تريد الصّلاة لا الرّكوع بمجرده. فصارت الآية متضمنة لصلاتين: صلاتها وحدها، عَبَّرَ عنها بالسّجود، لأنّ السّجود أفضل حالات العبد. وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها ثم صلاتها في المسجد عَبَّرَ عنها بالرّكوع، لأنّه في الفضل دون السّجود. وكذلك صلاتها مع المصلّين، دون صلاتها في بيتها وحدها في محرابها" [23].

رابعًا-: تقديم القتل على الموت وعكسه: "من روائع التّقديم والتّأخير في البيان القرآني المُعْجِز ورود آيتين متتابعتين، قُدِّم اللفظ في الأولى منهما، وأُخِّرَ اللفظ نفسه في الآية الثّانيّة. قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُم في سبيل الله أو مُتُّمْ لَمَغْفِرةٌ مِن الله ورَحْمةٌ خَيْرٌ ممّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُتُّمْ أو قُتِلْتُمْ لإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾ [24]. قُدِّم القتل على الموت في الآية الأولى، وعُكِسَت الحالة في الآية الثّانيّة فقُدِّمَ الموت على القتل، وقُيِّد القتل في الآية الأولى بأنّه في سبيل الله، بينما بَقَى القتل مطلقا لم يُقَيَّد بشيء في الآية الثّانيّة، وخُتِمَت الآية الأولى بالتّبشير بالمغفرة والرّحمة من الله، وختِمت الآية الثّانيّة بالتّذكير بالحَشْر إلى الله. موضوع الآية الأولى هو الذي دعا إلى تقديم القتل على الموت قوله

تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُم في سبيل الله أو مُتُّمْ لَمَغْفِرةٌ مِن الله ورَحْمةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾. تتحدّث الآية عن الجهاد في سبيل الله، لأنّها نازلة في غزوة أُحُد التي أصاب المسلمين فيها ما أصابهم، وتُخبرهم أنّهم إن قتلوا في سبيل الله ونالوا بذلك الشّهادة، فإنّ هذا خير لهم لأنّهم ينالون بذلك مغفرة الله ورحمته التي أعدّها للشهداء في سبيله. والدّليل على أنَّ حديث الآية عن الجهاد والاستشهاد تقييد القتل في سبيل الله فيها: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُم في سبيل الل﴾). وحكمة تقديم القتل على الموت فيها أنَّ القتل في سبيل الله هو المناسب للجهاد في سبيل الله، والجهاد مَظِنَّة القتل، فعندما يخرج المجاهد للجهاد، ويدخل المعركة مع الأعداء، يُعَرِّض نفسه للقتل، وإذا قُتِل في سبيل الله نال الشّهادة الغاليّة. وحكمة أخرى لتقديم القتل على الموت فيها، لأنّ القتل في سبيل الله أفضل من الموت العادي فالمقاتل في سبيل الله أعظم أجرا من الذي يموت على فراشه. ولذلك بَشَّرَت الآية القتلى الشّهداء بمغفرة الله ورحمته في قوله تعالى: ﴿لَمَغْفِرةٌ مِن الله ورَحْمةٌ خَيْرٌ ممّا يَجْمَعُونَ﴾. وهذا المعنى غير مراد في الآية الثّانيّة. ولذلك جاءت صياغتها وفق الأصل، وقُدِّم فيها الموت على القتل في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن مُتُّمْ أو قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾. وقُدِّم فيها الموت على القتل لأنّه هو السّبب الأكثر لحلول الآجال وانتهاء الأعمار. فمعظم النّاس يموتون موتا طبيعيا، ولذلك لم يُقَيَّد القتل فيها بأنّه في سبيل الله، وبَقَى على إطلاقه"[25].

2. تنوع صيغ الأفعال المشتقة من أصل واحد في البيان القرآني: من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم تنوع صيغ الأفعال المشتقة من أصل لغوي واحد. وتنوّع صيغ الأفعال المشتقة من أصل لغوي واحد معناه أنّ القرآن الكريم يُنَوِّع الصّيغ الفعليّة المشتقة من الجِذْر الثّلاثي، فيأتي بصيغتين فعليتين أو أكثر. فيورد صيغة فعليّة في آية، ثم يورد صيغة فعليّة أخرى في آية أخرى[26]. فمع أنّ الصّيغتين جذرهما اللغوي الأساسي واحد، إلاّ أنَّ بينهما فروقا

دقيقة. وهناك حكمة من اختصاص كل آية بالصّيغة الفعليّة التي ذكرتها. إذ أنّ من المعلوم أنّه لا ترادف بين الصّيغ الفعليّة المشتقة. ولمعرفة الفروق الدّقيقة بين تلك الصّيغ، وحكمة ورود الصّيغة في آيتها وسياقها، يتوجّب معرفة معنى الجذر الثّلاثي للكلمة، وموضوع السّياق الذي وردت فيه.

والقرآن الكريم يُنَوِّع الصّيغ الفعليّة من الجذر الثّلاثي لهدف بياني، وتقرير معنى مقصود، وإيحاء مراد، ودلالة قَيّمة[27]. وفيما يلي استعراض لبعض الأمثلة على ذلك:

أوّلا-: "يبْدأ" و"يُبْدِيء" في القرآن الكريم: استعمل القرآن الكريم فعلين مضارعين من أصل ثلاثي واحد هما: "يبْدأ" و"يُبْدِيء". والفعلان من أصل ثلاثي واحد هو: "بَدَءَ". تقول: بَدَأَ، يَبْدَأُ، بَدْءًا. وتقول في الرّبَاعي: أَبْدَأ، يُبْدِيءُ إِبْدَاء. ورد الفعلان المضارعان: "يبْدأ" و"يُبْدِيء" في القرآن الكريم. وقد يظن البعض أنّ الفعلين بمعنى واحد، وهذا غير صحيح. فالفعل: "يَبْدَأ" مضارع من الفعل الثّلاثي: "بَدَأ". والفعل "يُبْدِيء" مضارع من الرّباعي: "أَبْدَأ".

وقد ورد الفعل: "يَبْدَأ" في القرآن الكريم ست مرات، كلّها في الحديث عن بدء الخلق، وإعادته، وعن نفي هذا عن غير الله تعالى، وقصره بالله تعالى وحده. قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[28]. فالحديث في الآية الكريمة عن بدء خلق المخلوقات عند خلق الكون والسّياق الذي وردت فيه الآية يتحدث عن بدآية خلق الكون، حيث قال الله تعالى قبلها: ﴿إِنَّ رَبَّكُم الذي خَلَقَ السّمواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيامٍ ثُمَّ استوى على العَرْش﴾[29]. وهكذا المواطن الخمسة التي ورد فيها فعل: "يَبْدَأ"، كلّها تتحدّث عن الخلق الأوّل أوّل مرة، وكلّها تقرن بدء الخلق بإعادته مثلما في قوله تعالى: (يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ).

أمّا فعل: "يُبْدِيء" الرّباعي فقد ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم، والحديث فيها عن إعادة الخلق واستئنافه. قال الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ

الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه إِنَّ ذَلِكَ على اللهِ يَسِيرٌ﴾[30]. تقول: أَبْدَأَ اللهُ الخَلْقَ، فهو يُبْدِىءُ الخَلْق. ومعنى الآية: أو لم يروا كيف يستأنف الله خَلْقَ الأشياء ومنها الإنسان حيث يخلقه طفلا صغيرا، ثم غلاما يافعا، ثم رَجُلا مجتمِعا، ثم كهلا.

إذن فالبيان القرآني المُعْجِز يُفَرِّق بين الفعلين: يَبْدَأ ويُبْدىء. يَبْدَأُ الخَلْقَ: يَرِدْ في سياق الخَلْق الأوّل، ويُبْدِىء الخَلْقَ: يَرِد في سياق الخلق المستأنَف[31].

ثانيا-: "جَرَحَ" و"اجْتَرَح" في القرآن الكريم: الفعلان "جَرَح" و"اجْتَرَح" فعلان ماضيان من مادة واحدة هي: "الجَرْح"، والفعلان بمعنى الكَسْب. وكل منهما ورد في القرآن الكريم مرة واحدة. ورد الفعل "جَرَح" في قوله تعالى: (وَهُوَ الذي يَتَوَفَّاكُم باللّيْلِ ويَعْلَمُ ما جَرَحْتُم بالنّهارِ ثُمَّ يَبعَثُكُم فيه لِيُقضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى) [32]. والمعنى أنّ الله تعالى يتوفى النّاس كلهم في الليل، ويبعثهم في النّهار، إلى حين انتهاء آجالهم، وهو تعالى يعلم كل ما جَرَحُوه؛ أي: كَسَبُوه وعملوه في النّهار من خير أو شر.

وورد الفعل: "اجْتَرَحَ" في قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الذين اجْتَرَحُوا السّيئاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كالذين ءَامنوا وعَمِلُوا الصّالحات سواءً مَحْيَاهُم ومَمَاتُهُم﴾[33]. والمعنى: أنَّ الذين اجترحوا السّيئات؛ أي: اكتسبوها وارتكبوها وهم الكافرون والفاسقون لا يجعلهم الله تعالى متساوين مع المؤمنين الصّالحين الذين عملوا الصّالحات [34].

فالقرآن الكريم فَرَّق بين الفعلين "جَرَحَ"، و"اجترَحَ"، فجعل الفعل "جَرَحَ" عامًا يشمل كل أنواع الجَرْح؛ سواء كان خيرا أم شرا، وجعل الفعل: "اجْتَرَح" خاصًّا في اجتراح واكتساب الشّر والسّوء والمُحَرَّم؛ أي: أنَّ الجَرْح في القرآن الكريم عام يشمل اكتساب الخير والشّر، والاجتراح في القرآن الكريم خاصّ في اكتساب الحرام والشّر[35].

ثالثًا-: الفعلان "يَطْهُرْنَ" و"تَطَهَّرْنَ" في البيان القرآني: ورد الفعلان "يَطْهُرْنَ" و"تَطَهَّرْنَ" في آية واحدة من سورة البقرة تخبر عن حكم إتيان المرأة

الحائض. قال الله تعالى: ﴿ويَسْأَلُونَكَ عن المَحِيضِ قُلْ هو أذًى فاعتزلوا النّساءَ في المَحِيضِ ولا تَقْرَبُوهنَّ حتى يَطْهُرْنَ فإذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُم اللهُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ التّوّابين ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِينَ﴾ (36).

الفعل "يَطْهُرْنَ" فعل مضارع من الماضي الثّلاثي: "طَهُرَ". تقول: طَهُرَ يَطْهُر، طَهَارةً. والفعل: ""تَطَهَّرْنَ" فعل ماضي خماسي، مَزِيدٌ بالتّاء والهاء. تقول: طَهُرَ، تَطَهَّرَ، يَتَطَهَّرُ، تَطَهُّرًا، وتطهيرًا. وقد نَوَّعَ القرآن الكريم بين الفعلين: "يَطْهُرْنَ" و"تَطَهَّرْنَ" مع أنّهما مشتقّان من أصل واحد هو "طَهُرَ". وذلك لأنّهما يفترقان في المعنى. فالفعل "يَطْهُرْنَ" بمعنى: ينقطع عنهن دم الحيض بينما الفعل "تَطَهَّرْنَ" بمعنى: يغتسلن. والمعنى: لا تقربوا النّساء في حال حيضهن حتى يطهرن؛ أي: حتى ينقطع عنهن دم الحيض، فإذا تطهرن؛ أي: اغتسلن، فإنّه يحل لكم أن تجامعونهن.

فالفعل "يَطْهُرن" يشير إلى "الجانب اللاإرادي عند النّساء. فالمرأة لا إرادة لها ولا خيار في مجيء الدّورة الشّهريّة، ولا في ذهابها، لأنّ الله جَبَلَها على ذلك فيأتيها دم الحيض بأمر الله لا بأمرها، ويذهب عنها بأمر الله لا بأمرها، وعندما ينقطع عنها دم الحيض تَطْهَر، فطُهْرُها بانقطاع دم الحيض، ولا إرادة ولا خيار ولا كسب ولا فعل لها في ذلك، ولذلك جاء الفعل ثلاثيا "يَطْهُرْنَ" دالا على ذلك.

أمّا الفعل الخماسي "تَطَهَّرْن" فإنّه يدل على الجانب الإرادي الكسبي الفعل عند النّساء، ومعلوم أنّ زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. عندما تَطْهُر المرأة بانقطاع دم الحيض عنها، يجب عليها أن تتطهّر وتغتسل، لترفع الحدث الأكبر عنها، وبعدما تتطهّر وتغتسل وتتطيب يجامعها زوجها، ويأتيها من حيث أمره الله" (37).

3. تنوّع صيغ المشتقّات ذات الأصل اللّغويّ الواحد في التّعبير القرآني:

من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم أيضًا تنوّع صيغ المشتقّات من أصل لغوي واحد. وتنوع صيغ المشتقّات من أصل لغوي واحد معناه أنّ القرآن

الكريم يُنَوِّع المشتقّات من الجِذْر الثّلاثي، وهو أصل كل الصّيغ المشتقّة منه فيأتي بصيغتين مشتقّتين أو أكثر من جذر واحد، فيورد صيغة مشتقة في آية ثم يورد صيغة أخرى مشتقّة من ذات الجذر في آية أخرى. فمع أنّ الصّيغتين جذرهما اللغوي الأساسي واحد، إلاّ أنَّ بينهما فروقا دقيقة.

"وهذا التّنوّع مقصود، ولم يأت مصادفة، وإنّما جاء لحكمة بيانيّة، ومعنويّة. فقد يَعْدِل التّعبير القرآني عن مصدر إلى مصدر آخر أنسب مع السّياق، وقد يعدل عن صيغة اسم فاعل إلى صيغة اسم فاعل آخر، وقد يعدل عن مفرد إلى جمع، وعن صيغة جمع إلى صيغة جمع آخر"[38]. و"الذي يحكم ذلك هو الآية التي وردت فيها الصّيغة المشتقّة، والسّياق الذي وردت فيه الآية، فالقرآن يختار الصّيغة الأنسب في حروفها ومعناها ودلالتّها، الأنسب للجملة، وللآية وللسياق، ولا يمكن أن تحل صيغة محل صيغة أخرى، لأنّ القرآن اختار الصّيغة المناسبة لموضعها بتوازن دقيق"[39]. وهناك نماذج عديدة لذلك منها الآتي:

أوّلا-: الإثم والآثام والتّأثيم في التّعبير القرآني: وردت مادة "الإثْم" في القرآن الكريم مرات عديدة ولها صيغ عديدة مثل: إثْم، وآثِم، وأثيم، وآثمين وأثَام وتأثيم. ولهذه المادة مصادر ثلاثة هي: إثم، وأثام، وتأثيم.

والمصدر الأوّل: إثْم"، ورد في القرآن الكريم خمسا وثلاثين مرة، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن تُعَجَّلَ في يومين فلا إثْمَ عَلَيْهِ ومَن تأخرَ فلا إثْمَ عَلَيْهِ لِمَن اتَّقى﴾[40]. والمصدر الثّاني: "أثَام" ورد مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ومَن يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أَثَامًا﴾ [41]. والمصدر الثّالث: "تأثيم" ورد مرتين: في قوله تعالى: ﴿يتنازعون فيها كأسًا لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيمٌ﴾[42]. وفي قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لَغْوًا ولا تأثيمًا * إلا قِيلًا سَلامًا سَلامًا﴾[43].

وتفترق هذه المصادر الثّلاثة عن بعضها البعض، وقد نَوَّعَ القرآن الكريم بينها. فالإثْم وهو المصدر الثّلاثي، تقول: أَثِمَ، يَأْثَمُ، إثْمًا، هو كل قول أو فعل

حَرَّمَه الله تعالى. قال الرّاغب الأصفهاني–رحمه الله–في معنى الإثم: "الإثم: اسم للأفعال المُبَطِّئة عن الثّواب، وجمعه آثام"[44]. "فالمادة تقوم على معنى الإبطاء والتّأخير. وتطلق على كل فعل وقول حَرَّمه الله، فإذا صدر عن الإنسان عَرَّضه للعقاب، وأخَّره عن الثّواب. وهذا المعنى يقرره المصدر الثّلاثي: "إثْم" الذي ورد خمسا وثلاثين مرة.

أمّا المصدر الثّاني "أثَام" فهو يحمل معنى الإثم المضاعف، الذي يقود إلى تشديد العذاب والعقاب. وقد ورد في سياق الإخبار عن صفات عباد الرّحمن في سورة الفُرْقان، واجتنابهم الكبائر التي توجب العذاب. قال تعالى: ﴿والذين لا يَدْعُونَ مع اللهِ إلَهًا ءَاخرَ ولا يقتلون النّفْسَ التي حَرَّمَ اللهُ إلاّ بالحقِّ ولا يَزْنُونَ ومَن يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أَثَامًا*يُضَاعَفْ له العذابُ يومَ القيامةِ ويَخْلُدْ فيه مُهَانًا﴾[45]. وسياق الآيات يوحي بمعنى الأثام: (يُضَاعَفْ له العذابُ يومَ القيامةِ ويَخْلُدْ فيه مُهَانًا). فالجملة التّاليّة للكلمة "أثاما" فسَّرَت معناها، بأنّه مضاعفة العذاب للذي يرتكب الكبائر من الزّنا والقتل. وممّا يدل على هذا المعنى أنَّ "أَثَام" مكونة من أربعة أحرف، و"إثم" مكونة من ثلاثة أحرف، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى –وفق القاعدة المعروفة –فالألف في "أثام" توحي بأنّ الكلمة تدل على الإثم المضاعف.

والمصدر الثّالث هو "تأثيم" هو مصدر الفعل الرّباعي: "أَثَّمَ"، تقول: أَثَّمَ يُؤَثِّمُ، تأثيمًا. وورد "تأثيم" مرتين في القرآن في سياق الحديث عن نعيم الجنة. قال تعالى: (يتنازعون فيها كأسًا لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيمٌ)[46]. الكلام في الآية عن الخمر التي يشربها المؤمنون في الجنة، ويخبر الله أنّهم يشربون الخمر من كأس، وهذه الخمر التي يشربونها ليس فيها لغو وتأثيم. واللغو هو الكلام التّافه السّاقط، والتّأثيم هو الكلام المُحَرَّم الذي يوقع في الإثم، ويقود إلى العذاب. واللغو والتّأثيم ملازمان لخمر الدّنيا ... وخمر الجنة مُنزَّهة عن هذا، فإنها لا توقع شاربيها المؤمنين في لغو وإثم. فمعنى المصدر "تأثيم" في الآية: ما يسبب

الإثم ويقود إليه، لأنّ خمر الجنة لا تسبب للمؤمنين الإثم. وقال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لَغْوًا ولا تأثيمًا * إلاّ قِيلًا سَلامًا سَلامًا﴾[47]. أهل اليمين الفائزون يتنعمون في الجنّة، ولا يسمعون فيها لغوا من الكلام، كما أنّهم لا يسمعون فيها كلامًا مُحَرَّما يقود إلى الحرام، ويسبب الإثم. فمعنى المصدر هنا أيضًا "تأثيم": ما يُسبِّب الإثم ويقود إليه" [48].

ممّا سبق يتضح أنّ "المصادر الثّلاثة: الإثم، والأثام، والتّأثيم ليست بمعنى واحد: الإثم: وصف يطلق على كل قول أو فعل حَرَّمه الله، إذا صدر عن الإنسان عرَّضه للعقاب، وأبطأ به عن الثّواب. والأثام: الإثم المُضاعف، وهو وصف يطلق على الكبائر من المُحَرّمات، كالزّنا والقتل، فإنَّ فاعلها ليس مستحقا للإثم فقط، وإنّما هو مستحق للأثام. والتّأثيم: هو الأقوال والأفعال المُحَرَّمة، التي تُسَبِّب الإثم وتقود إليه [49]، وكأنّ هذه المصادر متدرجة، فالأوّل هو التّأثيم، وهو المحرمات التي تسبب الإثم، والثّاني هو الإثم وهو أثر التّأثيم على الإنسان، والثّالث هو الأثام وهو ارتكاب الكبائر من المحرمات والذّنوب العظيمة التي يُضاعَف الإثم والعذاب على مرتكبها" [50].

ثانيا-: الرّهْب، والرّهَب، والرّهْبَة في التّعبير القرآني: "نوَّع القرآن بين هذه الصّيغ المصدريّة الثّلاثة، المشتقة من أصل لغوي واحد، وهي: الرّهْب والرّهَب والرّهْبَة. والرّهْب –بالسّكون –ورد مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ في جَيْبِك تَخْرُج بيضاء مِن غير سُوءٍ واضمُمْ إليك جَنَاحَكَ مِن الرّهْبِ فذانِكَ بُرْهَانانِ مِن رَبِّكَ إلى فِرْعَوْنَ وملأهِ إنَّهُم كانوا قَوْمًا فاسقينَ﴾[51]. والرّهَب – بفتح الهاء – ورد مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿إنَّهُم كانوا يُسارعونَ في الخَيْرات ويدْعُوننا رَغَبًا ورَهَبًا وكانوا لنا خاشعين﴾[52]. والرّهْبة وردت مرة واحدة، في قوله تعالى: ﴿لَأَنتُم أَشَدُّ رَهْبَةً في صُدُورهِم من اللهِ ذلك بأنَّهُم قومٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[53]. وهذه الصّيغ الثّلاث مصادر، وكل مصدر فيها يتناسق مع الآية التي ورد فيها وينسجم مع كلمات الآية، بحيث لا يصلح مكانه مصدر آخر"[54].

والمصدر الأوّل: الرّهْب، وهو الخوف والفزع. وقد ورد في سياق إخبار القرآن الكريم عن مناجاة الله تعالى لنبي الله موسي عليه السّلام، عند توجهه إلى مصر عائدا من مَدْيَن، فلما أمره الله تعالى بإلقاء عصاه، ورآها تهتز كأنّها جان، خاف خوفا شديدا، وولَّى مُدبِرًا ولم يُعَقِّب، فطمأنه الله تعالى بالأمان وأرشده إلى تصرف مضمون يقوم به كلما شعر بالخوف والفزع، وذلك بأن يضم يده إلى صدره، ويضعها على فؤاده: (واضمُمْ إليك جَنَاحَكَ مِن الرّهْبِ)؛ أي: كلّما أصبت بالرّهب وهو الخوف والفزع والاضطراب، ضع يدك على فؤادك وسيزول عنك الرّهب والفزع.

والمصدر الثّاني: الرّهَب، وهو بمعنى الخوف أيضًا. وقد ورد في سياق الإخبار عن الأنبياء والرّسل والصّالحين، والثّناء عليهم، وتبيان شمائلهم ومنها تضرعهم إلى الله تعالى بالدّعاء: ﴿ويدْعُوننا رَغَبًا ورَهَبًا﴾؛ أي: يدعوننا راغبين في رحمتنا ونعيمنا، وراهبين؛ أي خائفين من عذابنا وعقابنا.

والمصدر الثّالث: الرّهْبَة، وهو بمعنى الخوف والرّعب. وقد ورد في سياق الإخبار عن جُبْن المنافقين واليهود، وأنّهم لا يصمدون أمام المسلمين في القتال، وإنّما ينهزمون أمامهم لأنّهم أشد رهبة في صدورهم من الله. قال الله تعالى: ﴿لَأَنتُم أَشَدُّ رَهْبَةً في صُدُورِهِم من اللهِ ذلك بأنّهم قومٌ لا يَفْقَهُونَ﴾[55]؛ فالله تعالى يذم الكفار والمنافقين لأنّهم جبناء يخافون من المسلمين البشر أكثر من خوفهم ورهبتهم من الله تعالى.

ومع أنّ المصادر الثّلاثة: الرّهْب، والرّهَب، والرّهْبَة مشتقة من أصل لغوي واحد وهو مادة رَهَب؛ أي: خاف، إلاّ أن تفترق فيما بينها في التّعبير القرآني. فالرّهب: خوف طبيعي عرضي سريع مر به نبي الله موسى عليه السّلاّم سرعان ما زال عنه. والرّهَب: خوف ممدوح مقابل الرّعْب، يعيشهما الأنبياء والصّالحون. والرّهْبة: خوف ورعب وجُبْن مذموم يملأ صدور الكافرين والمنافقين[56].

4. التّكرار الحكيم الهادف في التّعبير القرآني: "التّكرار هو إعادة الكلام أو الموضوع مرة أخرى. وقد يكون في هذه الإعادة إضافة جديدة في الألفاظ أو المعاني. وقد يقصد صاحب التّكرار من تكراره تحقيق غرض أو تأكيد معنى فيكون تكراره لحكمة مقصودة." [57].

وعند النّظر في التّعبير القرآني، يلاحظ أسلوب التّكرار البلاغي متحقّقا فيه على أرفع مستوى، ممّا جعله مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم. فالتّكرار " ظاهرة بارزة في البيان القرآني المُعْجِز، ومظهر من مظاهر إعجاز القرآن، وهو إعادة عرض بعض الألفاظ أو الجمل أو الآيات أو المعاني أو الموضوعات، ولكن هذا التّكرار حكيم ومقصود ومُضِيف، فعندما يُكرِّر القرآن ذلك يكرره لحكمة، يريد منها تحقيق هدف بلاغي أو ديني، كما أنّه مُضِيف، يضيف القرآن في كل مرة لفظا أو معنى أو معلومة أو فكرة [58].

ويقع التّكرار الحكيم في القرآن على وجوه [59]:

1- فقد يكون المُكَرَّر لفظا يؤدي معنى في الجملة، ويكون لحكمة مقصودة.

2- وقد يكون المُكَرَّر قصّة، تُذْكَر في عدة مواضع، مع إضافة في كل موضع، متناسقة مع السّياق الذي وردت فيه.

3- وقد يكون المُكَرَّر آية تتكرّر في السّورة لحكمة مقصودة.

4- وقد يكون المُكَرَّر أمرا أو نهيًا أو إرشادًا أو نُصْحًا، أو حَثًّا على فضيلة، أو ترغيبًا في خير، أو تنفيرًا من شر.

وفيما يلي استعراض لبعض نماذج التّكرار الحكيم في البيان القرآني:

أوّلا-: التّكرار الحكيم لبعض ألفاظ القرآن الكريم: لقد كرَّرَ القرآن الكريم بعض الألفاظ في آية واحدة. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وإنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولُهُم أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أولئِكَ الذين كفروا بِرَبِّهِم وأولئكَ الأغلالُ في أعناقِهِم وأولئكَ أصحابُ النّارِ هم فيها خالدّون﴾[60]. فالحديث في الآية الكريمة

عن التّعجب من إنكار الكفار للبعث مثلما في قولهم: ﴿أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، وهذا الإنكار يدعو للعجب حقيقة. وبعدما تطرقت الآية الكريمة للتعجب من إنكارهم للبعث أخبرت عنهم ثلاثة أخبار هي أنّهم كفروا بربهم، وأنَّ الأغلال في أعناقهم، وأنّهم أصحاب النّار هم فيها خالدّون.

والشّاهد في الآية هو تكرار اسم الإشارة "أولئك" ثلاث مرات، حيث ورد مع كل جملة قَدَّمت خبرا من الأخبار الثّلاثة. يقول الله تعالى في المنكرين للبعث: ﴿أولئِكَ الذين كفروا بِرَبِّهِم وأولئكَ الأغلالُ في أعناقِهِم وأولئكَ أصحابُ النّارِ هم فيها خالدّون﴾. والحكمة من تكرار اسم الإشارة "أوائك" هي أنّه لولاه لكان التّعبير ركيكا ضعيفا، ولترتب على عدم تكراره لُبْس في المعنى والوقوع في أخطاء نحويّة. فالجملة الأولى وهي قوله تعالى: ﴿أولئِكَ الذين كفروا بِرَبِّهِم﴾ جملة اسميّة مكونة من مبتدأ وخبر، والتّقدير: منكرو البعث كفار بربهم. والجملة الثّانيّة وهي قوله تعالى: ﴿وأولئكَ الأغلالُ في أعناقِهِم﴾ توقع في اللبس عند حذف اسم الإشارة؛ حيث قد تفهم الواو فيها على أنّها واو الحال، فتكون الجملة حاليّة. ويكون المعنى: منكرو البعث كفار حال كون الأغلال في أعناقهم، وليس هذا المعنى مقصود الآية، بل هذا المعنى خطأ. والجملة الثّالثة وهي قوله تعالى: ﴿وأولئكَ أصحابُ النّارِ هم فيها خالدّون﴾ تكون ركيكة الصّياغة عند حذف اسم الإشارة، فتكون الواو فيها حرف عطف، عَطَفَت قوله تعالى: ﴿أصحابُ النّارِ هم فيها خالدّون﴾ على قوله تعالى: ﴿أولئِكَ الذين كفروا بِرَبِّهِم﴾، وليس العطف مقصود الآية.

"إنّ روعة التّعبير القرآني تقتضي تكرار "أولئك" في الآية، وهو تكرار حكيم مقصود، لتحقيق تناسق بلاغي وهدف معنوي. الواو في الجملتين واو استئنافيّة وليست واو الحال أو واو العطف، والذي حدد ذلك ذِكْر "أولئك" في الجملتين فهذا الذّكر منع اللبس، وأوضح المعنى، وقَوَّى الصّياغة، وأصبحت كل جملة من الجمل الثّلاث تحمل خبرًا مستقلا مرتبطا مع ما قبله:

-(أولئِكَ الذين كفروا بِرَبِّهِم) خبر عنهم بأنّهم كفار، وهو مرتبط مع ما قبله فبما أنّهم أنكروا البعث فهم كفار، لأنّ كل من أنكر البعث فهو كافر بربه؛

-وجملة (وأولئكَ الأغلالُ في أعناقِهِم) جملة اسميّة جديدة، تحمل خبرًا جديدًا، مرتبطًا مع ما قبله، فالله جعل الأعلال في أعناقهم، بسبب كفرهم بالله، والأغلال تكون في أعناقهم عندما يبعثون يوم القيامة، ذلك اليوم الذي أنكروا قدومه؛

-وجملة (وأولئكَ أصحابُ النّارِ هم فيها خالدّون) جملة اسميّة جديدة تحمل خبرا ثالثًا مرتبطا مع ما قبله أيضًا، فالله حكم عليهم بالعذاب الأبدي في نار جهنم، وجعلهم مُخَلَّدين فيها، بسبب كفرهم بالله وإنكارهم البعث.

وكل جملة من الجمل الثّلاث تُنَزَّل على مرحلة من مراحل حياة الكفار. لقد كفروا بربهم في الدّنيا بإنكارهم البعث. ويجعل الله الأغلال في أعناقهم عندما يبعثهم يوم القيامة، ويحاسبهم على كفرهم. وبعد ذلك يأمر بإدخالهم نار جهنّم مُعَذَّبين مُخَلَّدين فيها.

ونظرا للمعنى المستقل لكل خبر من الأخبار الثّلاثة، ولاستئنافيّة الكلام في كل جملة من الجمل الثّلاث، ولحديث كل جملة، عن مرحلة من مراحل حياتهم الثّلاث، حَسُنَ ذِكْر اسم الإشارة "أولئك" مع كل جملة، وتكراره ثلاث مرات"[61].

ثانيا-: تكرار الأمر باستقبال القِبْلة: "أمر الله رسوله محمدًا صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين باستقبال القبلة الجديدة، بعدما نَسَخَ القبلة السّابقة إلى بيت المقدس. وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات، في ثلاث آيات متقاربات في سورة البقرة، هي[62]:

1- **الآية الأولى:** قال الله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحَرَامِ وحَيْثَ ما كُنتم فَوَلُّوا وجُوهَكُم شَطْرَهُ﴾[63].

2- **الآية الثّانيّة:** قال الله تعالى: ﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ﴾ (64).

3- **الآية الثّالثة:** قال الله تعالى: ﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحَيْثُ ما كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (65).

وهذا التّكرار لحكمة مقصودة، وهدف مُرَاد، والأمر باستقبال القبلة أضاف في كل مرة معنى جديدا، ويمكن إدراك ذلك بالنّظر في السّياق العام لكل آية.

الأمر الأوّل باستقبال القبلة: جاء بعد الحديث في الآية عن رغبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بتحويل القبلة عن بيت المقدس، فكان الأمر بالتّوجه إلى القبلة الجديدة استجابة من الله لهذه الرّغبة، ممّا يدل على منزلة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم عند الله.

وبعد الأمر باستقبال القبلة الجديدة جاء الكلام في نفس الآية تقريرا لحقيقة قاطعة وهي علم أهل الكتاب اليقيني أنَّ ما عليه المسلمون هو الحق، وأنَّ قبلتهم الجديدة هي الحق. ولذلك جاءت الآية هكذا: ﴿قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ في السّمَاءِ فَلَنُوَلِيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحَرَامِ وحَيْثُ ما كُنتم فَوَلُّوا وجُوهَكُم شَطْرَهُ وإنَّ الذين أُوتوا الكتاب لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الحقُّ مِن رَبِّهِم﴾(66).

والأمر الثّاني باستقبال القبلة: ورد في سياق جديد لهدف جديد، جاء بعد أربع آيات من الآية التي ورد فيها الأمر الأوّل، كان الكلام في تلك الآيات عن معرفة أهل الكتاب للحق، وتركهم له عنادا، ومعرفتهم بأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم حق كما يعرفون أبناءهم، والكلام فيها حول تثبيت الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأمته على الحق، ودعوتهم إلى استباق الخيرات. ونصّت الآية التي فيها الأمر الثّاني على أنّ هذا الأمر هو الحق، وأنَّ القبلة الجديدة هي الحق من الله، وهذا الحق ثابت باق دائم، لن ينسخه الله. ولذلك جاءت الآية هكذا: ﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وإنَّهُ للحقُّ مِن رَبِّكَ وما اللهُ بغافلٍ عما تَعْمَلُونَ﴾ (67).

والأمر الثّالث باستقبال القبلة: ورد لهدف جديد هو تقويّة يقين الجماعة المسلمة أنّها على الحق، ولقطع حجّة أعدائها الكافرين، ودعوة المؤمنين إلى عدم خشيّة الأعداء، والثّبات على الحق، وشكر الله على هذه النّعم [68]. ولذلك جاءت الآية هكذا: ﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحَيْثُ ما كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يكونَ للناسِ عليكم حُجَّةٌ إلاّ الذين ظلموا منهم فلا تَخْشَوْهُمْ واخْشَوْني ولأُتِمَّ نِعْمَتي عليكم ولعلَّكُم تهتدون﴾ [69].

وبهذا تتبيّن الحكمة من تكرار الأمر باستقبال القبلة ثلاث مرات. ففي كل مرة أضاف القرآن الكريم معنى جديدا، وأكدَّ على هدف جديد.

الخاتمة: استهدفت الدّراسة الحاليّة تجليّة نماذج من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم استنادا إلى أنّ الإعجاز البلاغي لكتاب الله تعالى يشكل الدّليل الدّامغ على أنّ القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس كلام البشر كما يدَّعي المشكّكون الجدد. وأسفرت الدّراسة عن العديد من النّتائج تتحدّد في الآتي:

أوّلا-: إنَّ من أوجه الإعجاز البياني في كتاب الله تعالى التّقديم والتّأخير. فقد استخدم القرآن الكريم أسلوب التّقديم والتّأخير على أرفع صورة بيانيّة، وبدقّة عجيبة مُعْجِزة. وإذا قَدَّم القرآن لفظا في موضع قَدَّمه لحكمة، وإذا أخَّر اللفظ نفسه في موضع آخر أخَّرَه لحكمة أيضًا. ومن أسباب التّقديم والتّأخير في البيان القرآني: التّقديم للاختصاص: كأن يقدّم القرآن لفظا لاختصاصه بأمر معين، فيقدم الخبر على المبتدأ، أو المفعول به على الفعل ليخصَّ ذلك اللفظ بذلك الأمر، والتّقديم للتفضيل: كأن يقدِّم الفاضل على المفضول، والتّقديم للأهميّة: كأن يقدم الأهم على ما دونه. وللتقديم والتّأخير نماذج كثيرة في القرآن الكريم، منها الآتي:

1- تقديم المفعول به في قوله تعالى: ﴿إيَّاكَ نعبدُ وإيَّاكَ نستعين﴾. فالتّقديم في الآية للاختصاص والقصر، وكأنّ المؤمنين يقولون: يا ربنا لا نعبد إلاّ أنت ولا نستعين إلاّ بك.

2- تأخير (فيه) في قوله تعالى:﴿ذلك الكتابُ لا رَيْبَ فيه﴾، فالتّأخير في الآية للإخبار عن القرآن الكريم بأنّه لا ريب فيه ولا شك فيه، وتكذيب للمشركين الذين زعموا أنّ في القرآن ريب.

3- تقديم السّجود على الرّكوع: في قوله تعالى أثناء حديثه عن قصّة مريم – عليها السّلام – في سورة آل عمران: ﴿وإذ قالتّ الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطَهَّرَكِ واصطفاكِ على نساءِ العالمينَ * يا مريمُ اقنُتي لرَبِّكِ واسجدي واركعي مع الرّاكعين﴾. فقدَّم تعالى السّجود لأنّ السّجود أفضل، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد. فلآية متضمّنة لصلاتين: صلاة مريم عليها السّلام وحدها، عَبَّرَ عنها بالسّجود، لأنّ السّجود أفضل حالات العبد. وكذلك صلاة المرأة في بيتها أفضل لها ثم صلاتها في المسجد عَبَّرَ عنها بالرّكوع لأنّه في الفضل دون السّجود. وكذلك صلاتها مع المصلّين، دون صلاتها في بيتها وحدها في محرابها.

4- تقديم القتل على الموت وعكسه في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُم في سبيل الله أو مُتُّمْ لَمَغْفِرةٌ مِن الله ورَحْمةٌ خَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ * وَلَئِن مُتُّمْ أو قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللهِ تُحْشَرُونَ﴾. وحكمة تقديم القتل على الموت في الآية الأولى أنَّ القتل في سبيل الله هو المناسب للجهاد في سبيل الله، والجهاد مَظِنَّة القتل، فعندما يخرج المجاهد للجهاد، ويدخل المعركة مع الأعداء، يُعَرِّض نفسه للقتل، وإذا قُتِل في سبيل الله نال الشّهادة الغاليّة. وحكمة أخرى لتقديم القتل على الموت فيها، لأنّ القتل في سبيل الله أفضل من الموت العادي، فالمقاتل في سبيل الله أعظم أجرًا من الذي يموت على فراشه. ولذلك بَشَّرَت الآية القتلى الشّهداء بمغفرة الله ورحمته. والحكمة من تقديم الموت على القتل في الآية الثّانيّة لأنّه هو السّبب الأكثر لحلول الآجال وانتهاء الأعمار. فمعظم النّاس يموتون موتًا طبيعيًا ولذلك لم يُقَيَّد القتل فيها بأنّه في سبيل الله، وبَقَى على إطلاقه.

ثانيا-: من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم تنوع صيغ الأفعال المشتقّة من أصل لغوي واحد. إذ أنّه يأتي بصيغتين فعليتين أو أكثر. فيورد صيغة فعليّة في آية، ثم يورد صيغة فعليّة أخرى في آية أخرى. والقرآن الكريم يُنَوِّع الصّيغ الفعليّة لهدف بياني، وتقرير معنى مقصود، وإيحاء مراد، ودلالة قَيّمة. ومن أمثلة ذلك:

1- استعمال القرآن الكريم لفعلين مضارعين من أصل ثلاثي واحد هما: "يَبْدأ" و"يُبْدِيء". وقد نوَّعَ القرآن الكريم في استعمالهما. فاستعمل الفعل: "يبدأ" في سياق الخَلْق الأوّل، والفعل "يُبْدِىء" في سياق الخلق المستأنَف.

2- استعمال القرآن الكريم للفعلين "جَرَح" و"اجْتَرَح" وهما فعلان ماضيان من مادة واحدة هي: "الجَرْح"، والفعلان بمعنى الكَسْب. وقد نوَّع القرآن الكريم في استعمالهما. فجعل الفعل "جَرَحَ" عامًا يشمل كل أنواع الجَرْح؛ سواء كان خيرا أم شرا، وجعل الفعل: "اجْتَرَح" خاصًّا، في اجتراح واكتساب الشّر والسّوء والمُحَرَّم؛ أي: أنَّ الجَرْح في القرآن الكريم عام يشمل اكتساب الخير والشّر والاجتراح في القرآن الكريم خاصّ في اكتساب الحرام والشّر.

3- استعمال القرآن الكريم للفعلين "يَطْهُرْنَ" و"تَطَهَّرْنَ" كما في قوله تعالى: ﴿ويَسْأَلُونَكَ عن المَحِيضِ قُلْ هو أذًى فاعتزلوا النّساءَ في المَحِيضِ ولا تَقْرَبُوهنَّ حتى يَطْهُرْنَ فإذا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُم اللهُ إنَّ اللهَ يُحِبُّ التّوَّابين ويُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ﴾. فمع أنّ الفعلين من أصل لغوي واحد، إلاّ أنّ القرآن الكريم نوَّع في استعمالهما. فالفعل "يَطْهُرْنَ" بمعنى: ينقطع عنهن دم الحيض بينما الفعل ""تَطَهَّرْنَ" بمعنى: يغتسلن. والمعنى: لا تقربوا النّساء في حال حيضهن حتى يطهرن؛ أي: حتى ينقطع عنهن دم الحيض، فإذا تطهرن؛ أي: اغتسلن فإنّه يحل لكم أن تجامعونهن.

ثالثًا-: من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم تنوّع صيغ المشتقّات من أصل لغوي واحد. فيورد صيغة مشتقّة في آية ثم يورد صيغة أخرى مشتقّة

من ذات الجذر في آية أخرى. فمع أنّ الصّيغتين جذرهما اللّغوي الأساسي واحد، إلاّ أنَّه نوَّع في استعمالهما. ومن أمثلة ذلك:

1- استعمال المصادر "الإثم" و"الآثام" و"التّأثيم" في التّعبير القرآني. فمع أنّ هذه المصادر الثّلاثة مشتقّة من جذر لغوي واحد إلاّ أنّ القرآن الكريم نوَّع في استعمالها. فالإثم: وصف يطلق على كل قول أو فعل حَرَّمه الله، إذا صدر عن الإنسان عرَّضه للعقاب، وأبطأ به عن الثّواب. والأثام: الإثم المُضاعف وهو وصف يطلق على الكبائر من المُحَرّمات، كالزّنا والقتل، فإنَّ فاعلها ليس مستحقا للإثم فقط، وإنّما هو مستحق للأثام. والتّأثيم: هو الأقوال والأفعال المُحَرَّمة، التي تُسَبِّب الإثم وتقود إليه.

2- استعمال المصادر "الرّهْب"، و"الرّهَب"، و"الرّهْبَة" في التّعبير القرآني. فقد نوَّغ القرآن الكريم بين هذه الصّيغ المصدريّة الثّلاثة مع أنّها مشتقة من أصل لغوي واحد. فالرّهب: خوف طبيعي عرضي سريع. والرّهَب: خوف ممدوح مقابل الرّعْب، يعيشهما الأنبياء والصّالحون. والرّهْبة: خوف ورعب وجُبْن مذموم يملأ صدور الكافرين والمنافقين.

رابعًا-: من مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم استعمال أسلوب التّكرار البلاغي على أرفع مستوى. وذلك بإعادة عرض بعض الألفاظ أو الجمل أو الآيات أو المعاني أو الموضوعات، وهذا التّكرار حكيم ومقصود ومُضِيف، فعندما يُكرِّر القرآن ذلك يكرره لحكمة، يريد منها تحقيق هدف بلاغي أو ديني، كما أنّه مُضِيف، يضيف القرآن في كل مرة لفظا أو معنى أو معلومة أو فكرة. ومن أمثلة ذلك:

1- التّكرار الحكيم لبعض ألفاظ القرآن الكريم. فقد كرَّرَ القرآن الكريم لفظ "أولئك" ثلاث مرات في آية واحدة. وهي قوله تعالى: ﴿وإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قولُهُم أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أولئِكَ الذين كفروا بِرَبِّهِم وأولئكَ الأغلالُ في أعناقِهِم وأولئكَ أصحابُ النّارِ هم فيها خالدّون﴾. وكل جملة من الجمل الثّلاث

المذكورة في الآية الكريمة تُنَزَّل على مرحلة من مراحل حياة الكفار. لقد كفروا بربهم في الدّنيا بإنكارهم البعث. ويجعل الله تعالى الأغلال في أعناقهم عندما يبعثهم يوم القيامة، ويحاسبهم على كفرهم. وبعد ذلك يأمر بإدخالهم نار جهنّم مُعَذَّبين مُخَلَّدِين فيها. ونظرا للمعنى المستقل لكل خبر من الأخبار الثّلاثة ولاستئنافيّة الكلام في كل جملة من الجمل الثّلاث، ولحديث كل جملة، عن مرحلة من مراحل حياتهم الثّلاثة، حَسُنَ ذِكْر اسم الإشارة "أولئك" مع كل جملة وتكراره ثلاث مرات.

2- تكرار الأمر باستقبال القِبْلة. فقد أمر الله رسوله محمدًا صلّى الله عليه وسلّم والمسلمين باستقبال القبلة الجديدة، بعدما نَسَخَ القبلة السّابقة إلى بيت المقدس. وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات، في ثلاث آيات متقاربات في سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِدِ الحَرَامِ وحَيْثَ ما كُنتم فَوَلُّوا وجُوهَكُم شَطْرَهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمِن حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحَيْثُ ما كُنتُم فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾. هذا التّكرار لحكمة مقصودة، وهدف مُرَاد، والأمر باستقبال القبلة أضاف في كل مرة معنى جديدا، ويمكن إدراك ذلك بالنّظر في السّياق العام لكل آية. فالأمر الأوّل باستقبال القبلة جاء بعد الحديث في الآية عن رغبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بتحويل القبلة عن بيت المقدس، فكان الأمر بالتّوجه إلى القبلة الجديدة استجابة من الله لهذه الرّغبة. والأمر الثّاني باستقبال القبلة ورد في سياق جديد لهدف جديد، جاء بعد أربع آيات من الآية التي ورد فيها الأمر الأوّل، كان الكلام في تلك الآيات عن معرفة أهل الكتاب للحق، وتركهم له عنادا، ومعرفتهم بأنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم حق كما يعرفون أبناءهم، والكلام فيها حول تثبيت الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وأمته على الحق، ودعوتهم إلى استباق الخيرات. والأمر الثّالث باستقبال القبلة ورد لهدف جديد هو تقويّة يقين الجماعة المسلمة أنّها على

الحق، ولقطع حجّة أعدائها الكافرين، ودعوة المؤمنين إلى عدم خشيّة الأعداء والثّبات على الحق، وشكر الله على هذه النّعم.

وبناءً على ما أسفر عنه البحث من نتائج، توصي الدّراسة بالآتي:

أوّلا--: إفراد الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم بمقرّر خاصّ يتم تدريسه في جميع السّنوات والمراحل الدّراسيّة لوقوف الطّلاب على مفهوم الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وصوره، وأهميته، وتبصيرهم بالشّبه التي يروجها المنكرون الجدد حول القرآن الكريم، وكيفيّة التّعامل معها، والرّد عليها، وتحذيرهم من مغبة الانخداع بها.

ثانيا-: رفع مستوى الوعي بأوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم عبر الوسائط التّربويّة المختلفة كالمدارس، والجامعات، والمؤسّسات الدّعويّة، وأجهزة الثّقافة الجماهيريّة، ووسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمرئيّة والمكتوبة.

ثالثًا-: تنظيم المحاضرات، واللقاءات، والنّدوات الدّوريّة للتعريف بإعجاز القرآن البلاغي، وضرورته للرد على المشككين المعاصرين في مصدر القرآن الكريم، وتفنيد دعاواهم ومزاعمهم بشأن ذلك.

مراجع الدّراسة:

-الألباني، محمد ناصر الدّين، المتوفي سنة (1420هـ). (1421هـ-2000م). صحيح التّرغيب والتّرهيب، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعلمها أصحابه ط1، الرّياض، مكتبة المعارف.

-بوكو، جمال، (2018). ثنائيّة المُقَدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم؛ من تفسير معاني القرآن للفَرَّاء، عرضا، ودراسة، مجلّة الحكمة للدراسات الإسلاميّة، مركز الحكمة، دولة الجزائر المجلد (5)، العدد (2)، ص 23-36.

-الخالدّي، صلاح عبد الفتاح، (1421هـ -2000م). إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1، الأردن، عَمَّان، دار عَمَّار.

-الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المتوفي سنة (502هـ) (1412هـ). المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوت عدنان الدّاودي ط1، دمشق – بيروت، دار القلم – الدّار الشّاميّة.

-ساسي، عمار، (2003). الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ دراسة نظريّة للإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ط1، البليدة، الجزائر، دار المعارف.

-شاكر، محمود محمد، (2001). مداخل إعجاز القرآن، د. ط.، القاهرة، مطبعة المدني.

-الصّرصري، سليمان بن عبد القوي، (د. ت.). الإكسير في علم التّفسير، تحقيق: عبد القادر حسين، د. ط.، القاهرة، مكتبة الآداب.

-عباس، فضل، (1991). إعجاز القرآن الكريم، د. ط.، عَمَّان، الأردن د. ن.

-القيسي، عودة الله، (1996). سر الإعجاز في القرآن، د. ط.، عَمَّان الأردن، دار البشير.

-ابن القَيِّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدّين ابن قَيِّم الجَوْزِيّة، المتوفي سنة (751هـ). (1410هـ -1990م). تفسير القرآن الكريم تحقيق: مركز الدّراسات والبحوث العربيّة والإسلاميّة بإشراف الشّيخ: إبراهيم رمضان، ط1، بيروت، دار ومكتبة دار الهلال.

-المطعني، عبد العظيم، (1992). خصائص التّعبير القرآني، د. ط. القاهرة، مكتبة وهبة.

الهوامش:

1) سورة آل عمران، الآية: 102.

2) سورة النّساء، الآية: 1.

3) سورة الأحزاب، الآية: 70.

4) الألباني، صحيح التّرغيب، والتّرهيب، خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يعلمها أصحابه، ط1، ص3.

5) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص5.6.

6) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص15.16.

7) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1، ص17.

8) محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، د. ط.، ص15–16.

9) عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ دراسة نظريّة للإعجاز البياني في الآيات المحكمات، ط1، ج1، ص77.

10) الصّرصري، الإكسير في علم التّفسير، د. ط.، ص 189.

11) جمال بوكو، ثنائيّة المُقَدَّم والمؤخَّر في القرآن الكريم؛ من تفسير معاني القرآن للفَرَّاء عرضا، ودراسة، مجلة الحكمة للدراسات الإسلاميّة، المجلد (5)، العدد (2)، ص 26 – 27.

12) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص261.

13) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص261 – 262.

14) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص262.

15) سورة الفاتحة، الآية 5.

16) سورة الفاتحة، الآية 5.

17) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص262 – 263.

18) سورة البقرة، الآيتان 1 – 2.
19) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص266.
20) سورة الحج، الآية 77.
21) سورة آل عمران، الآيتان 42 – 43.
22) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص267.
23) ابن القيِّم، تفسير القرآن الكريم، ط1، ص216.
24) سورة آل عِمران، الآيتان 157 – 158.
25) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص268–269.
26) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص281.
27) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص281–282.
28) سورة يونس، الآية 4.
29) سورة يونس، الآية3.
30) سورة العنكبوت، الآية 19.
31) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص282–283.
32) سورة الأنعام، الآية 60.
33) سورة الجاثيّة، الآية 21.
34) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص283–285.
35) القيسي، سر الإعجاز في القرآن، د. ط.، ص52 – 53.
36) سورة البقرة، الآية 222.
37) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص288–289.

38) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص291.

39) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص291.

40) سورة البقرة، الآية 203.

41) سورة الفرقان، الآية 68.

42) سورة الطّور، الآية 23.

43) سورة الواقعة، الآيتان 25 – 26.

44) الرّاغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ط1، ص63.

45) سورة الفرقان، الآيتان 68 – 69.

46) سورة الطّور، الآية 23.

47) سورة الواقعة، الآيتان 25 – 26.

48) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص301 – 302.

49) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص302.

50) القيسي، سر الإعجاز في القرآن، د. ط.، ص 197 – 198.

51) سورة القصص، الآية 32.

52) سورة الأنبياء، الآية 90.

53) سورة الحشر، الآية 13.

54) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص303.

55) سورة الحشر، الآية 13.

56) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص304-305.

57) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص310.

58) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص311.

59) عبد العظيم المطعني، خصائص التّعبير القرآني، د. ط.، ج1، ص321 – 322.

60) سورة الرّعْد، الآية 5.

61) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص312-313.

62) صلاح عبد الفتاح الخالدّي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1 ص317.

63) سورة البقرة، الآية 144.

64) سورة البقرة، الآية 149.

65) سورة البقرة، الآية 150.

66) سورة البقرة، الآية 144.

67) سورة البقرة، الآية 149.

68) فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، د. ط.، ص 235 – 237.

69) سورة البقرة، الآية 150.

النّصيّة ومصطلحا السّبك المعجميّ والحبك الدّلالي
بين المعاصرة والتّراث العربيّ

Textuality and terms of lexical cohesion and semantic coherence
Between contemporary and Arab heritage

أ. غنيّة عيسو♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-026-067-007 DOI

تاريخ الاستلام: 26-09-2023 تاريخ القبـول: 08-07-2024

ملخّص: يهدف البحث إلى توثيق أسس تماسك النّص المتمثّلة في: السّبك المعجميّ الذي يتضمّن، التّكرار، والمصاحبات المعجميّة. والحبك الدّلالي الذي ينطوي على العلاقات الدّلاليّة والمنطقيّة بين الجمل والسّياق، والبنيّة الكبرى وقد سعينا من خلال هذه الأسس إلى المزاوجة بين الإسهامات اللّسانيّة الحديثة والمنجزات التّراثيّة العربيّة، لمحاولة الكشف عن آلياتي السّبك والحبك ودورهما في فكّ شفرات النّص وسبر أغواره.

ولئن كانت غالبًا هذه الآليات النّصيّة مكونا ديناميكيا، متنامي الدّلالة، تعمل على استمراريّة النّص، وتجسّد أطره الجماليّة وخصائصه الفنيّة، راميّة بذلك إلى تحقيق وحدة النّص اللّغويّة، التّواصليّة، تتميّز بالاستمراريّة الدّلاليّة، فالنّص ليس مجرّد متوالية لسانيّة أو ركام من الكلمات بدون ترتيب، بل هو بناء لساني محكم ومتوافق الأجزاء يقتضي تحقّق شروط ليستحق لقب "نص".

♥معهد التّرجمة، جامعة الجزائر(2) أبو القاسم سعد الله بوزريعة، الجزائر، البريد الإلكتروني: ghania.aissou@univ-alger2.dz (المؤلّف المرسل).

كلمات مفتاحيّة: سبك معجميّ؛ حبك دلالي؛ نصيّة؛ تماسك نصّي؛ لسانيّات حديثة؛ منجزات تراثيّة.

Abstract: This study aims to document the foundations of text coherence represented in: lexical Cohesion, which includes repetition, lexical accompaniments, and semantic coherence, which involves the semantic and logical relationships between sentences, context, and grand structure. Through these foundations, we have sought to combine modern linguistic contributions with Arab heritage achievements, to try to reveal the mechanisms of cohesion and coherence and their role in deciphering the text and the course of its depths .

And while these textual mechanisms are often a dynamic component of growing significance that works on the continuity of the text, it embodies its aesthetic frameworks and technical characteristics, it aims to achieve what is called the unity of the linguistic, communicative text, characterized by semantic continuity, the text is not just a linguistic sequence or a heap of words without order, but rather a tight and compatible linguistic structure that requires the fulfillment of conditions or characteristics to deserve the title of a text.

Keywords: lexical Cohesion; semantic coherence; textuality; textual coherence; modern linguistics; heritage achievements.

1.مقدّمة: يكشف البحث عن نظام اللّغة في جانبيها التّركيبي، والدّلالي وتسعى الدّراسة إلى المزاوجة بين التّراث اللّغويّ العربي والنّظريات اللسانيّة الحديثة وقد تمخض عن تلك الدّراسات علم لغة النّص الذي عرف ما يسمّى بمعايير النّصّيّة أسهمت في تكوين النّص وهي بذلك مكونات تحرص على أن يكون النّص كتلة واحدة، متماسكة، متلاحمة الأجزاء، تعمل على تحقيق سمة

النّصيّة والأساليب التي تحقّق التّناسق النّصّي هي السّبك (cohesion) والحبك (coherence)، وقد وقع اختيارنا على دراسة السّبك المعجمي والحبك الدّلالي باعتبارهما ثنائيّة مفهوميّة، متخذين من مفهومهما ومرادفاتهما في الموروث العربي القديم آليّة لإيضاح المفاهيم والآراء اللّغويّة.

فقد وقف الباحثون القدماء منهم والمحدثون على ظاهرتي السّبك والحبك اللّغويّتين وبرهنوا على مكانة معياري السّبك والحبك حيث أثبتوا أنّ معيار الكلام المتميز هو ذلك الكلام المسبوك والمحبوك.

وبما أنّ الدّراسة انصبّت على آليات التّرابط النّصّي، تتمثّل في معياري السّبك المعجمي، والحبك الدّلالي، فالإشكاليّة التي تولدت عنها هي: إلى أي مدى يمكن لمعياري السّبك المعجمي والحبك الدّلالي الإسهام في تماسك النّص؟ وكيف يمكن لهذين المعيارين أن يحقّقا وحدة النّص اللّغويّة والتّواصليّة؟

1.1-أهميّة الدّراسة: تكمن أهميّة الدّراسة في التّركيز على الجانب النّظري الذي أثار النّظريات اللسانيّة الحديثة والدّراسات التّراثيّة القديمة التي كانت سباقة إلى الكشف عن مضامين وسائل الرّبط النّصي وخصائص النّصيّة التي تميّز النّص.

كما تتجلّى قيمة الدّراسة أيضًا في دور علم لغة النّص وكيف فتح للبحث اللّساني منافذ كان لها أكبر الأثر في دراسة اللّغة وتبيان وظائفها، وحدّد الكيفيات التي ينسجم بها الخطاب باعتباره مرجعًا هامًّا لتماسك الأبنيّة اللّغويّة.

2.1-أهداف الدّراسة: تهدف الدّراسة إلى التّعرف على النّظريات النّصيّة وإحياء هذا النّوع من التّراث اللّغويّ المتمثّل في المعايير التي تصنع النّص وتمنحه روحه وذلك بالعمل على تماسكه شكليا ودلاليًا.

3.1-الدّراسات السّابقة: تتخلّل الدّراسات السّابقة بعض الاتجاهات نذكر منها:

–دراسات ركزت على المستوى النّظري منها دراسات "فان دايك" من خلال كتاب (بعض مظاهر نحو النّص)، وكتاب (النّص والسّياق)، وكتاب (علم النّص، مدخل متداخل الاختصاصات)؛

–دراسات الباحث هاليداي المتمثلة في كتاب (الانسجام في الإنكليزيّة) وفيه تناول قضايا الانسجام بإسهاب وأسس التّماسك مع بيان علاقته بعلم اللّغة وبناء الخطاب؛

–عناصر الاتساق، والانسجام النّصي، يحي عبابنة، وآمنة صالح الزّعبي مجلة جامعة دمشق، المجلّد 29، العدد 1، 2، 2013م؛

–دراسات محمد خطابي، لسانيات النّص، تناول الكتاب معنى التّماسك النّصي وتداخل التّسميات.

أمّا الدّراسات التي وردت على المستوى التّطبيقي ويغلب عليها الطّابع التّطبيقي هي تلك التي وردت في إحدى سور القرآن الكريم، وفي الشّعر العربي منها:

–علم اللّغة النّصي، دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة، صبحي ابراهيم الفقي، القاهرة، ط1، 2000م؛

–المناسبة وأثرها في القرآن الكريم، عبد الله الخطيب، جامعة الشّارقة للعلوم الشّرعيّة والإنسانيّة، الإمارات العربيّة المتحدة، المجلّد2، 2005م؛

–السّبك النّصي في سورة الملك للباحث هيثم حماد الثّوابيّة، جامعة عين شمس، عدد 2، مجلّد 18، 2012م؛

–التّرابط النّصي من خلال إحدى وسائل السّبك أو بعضها، التّكرار في التّماسك النّصي، مقاربة معجميّة في ضوء مقالات خالدّ المنيف، الباحثة نوال بنت إبراهيم الحلوة، مجلّة جامعة القرى، السّعوديّة، العدد الثّامن، ماي 2012م.

أمّا ما يجعل الدّراسة متميزة عن الدّراسات السّابقة فنحصرها في قضايا ثلاث:

أوّلا: لم أعثر فيما اطلعت على دراسة تناولت ظاهرتي السّبك المعجمي والحبك الدّلالي وأثرهما في النّص، فجل الدّراسات تناولت المعايير النّصيّة ودورها في التّماسك النّصي أو وظيفتها داخل النّص.

ثانيًا: ورود آراء تضمنتها بعض الدّراسات تناولت التّماسك النّصي من جوانب فقط في حين أهملت جوانب أخرى.

ثالثا: تفتقد الدّراسات السّابقة إلى عنصر المقارنة وتحديد أوجه الاتفاق والاختلاف بين مصطلحي السّبك المعجمي والحبك الدّلالي وبقيّة المعايير الأخرى التي تسهم في تماسك النّص، نظرا للتداخل الكبير بين المعايير النّصيّة.

رابعًا: علاقة آليتي السّبك المعجمي والحبك الدّلالي ببقيّة الوسائل النّصيّة الأخرى ومدى فعاليتها.

2. النّص من منظور لساني:

2.1مفهوم النّص في اللّغة: يقال في اللّغة نصّ الشّيء رفعه وأظهره ونصّ فلان مسالتّه بمعنى استقصاها عن الشّيء حتى استخرج ما عنده، ونصّ الحديث ينصه نصا إذا رفعه، ونصّ كل شيء منتهاه (ابن منظور، 1994)[1].

والنّص مصدر وأصله أقصى الشّيء الدّال على غايته أو الرّفع والظّهور والجمع نصوص، "ونص المتاع، جعل بعضه فوق بعض"(رضا، 1960)[2] وهو صيغة الكلام الأصليّة التي وردت من المؤلف.

وقد لقي هذا المصطلح اهتمامًا كبيرًا عند الأصوليين باعتباره طرفا أو جهة من جهات معادلة (علاقة اللفظ بالمعنى) والتي أخذت حيزًا كبيرًا عندهم، فقد أطلقوا على بعض الألفاظ مصطلحات عدة تبعا لدرجات ظهور المعنى فيها وضموره، أمّا الذي يرتبط بوضوح المعنى، فهو الظّاهر، والنّص والمفسّر والمحكم، وأمّا الذي يرتبط بغموض المعنى فذلك هو المضمر، والمشكل والمجمل، والمتشابه (عبد الغفار، 1984)[3].

وبما أنّ مفهوم "النّص" جزء لا يتجزأ من بحثنا فسنفرد له مساحة نورد فيها مجموعة من التّعريفات اللّغويّة، منها ما يفيد الإظهار والبيان والرّفع مثلما سبق توثيقه "النّص القرآني" و"نصّ السّنة النّبويّة" (السّعدني، 1994) [4]أي ما دلّ ظاهر لفظها عليه من الأحكام، فيغدو بذلك اللفظ الدّال على معنى لا يحتمل غيره، فالنّص بذلك "ما ازداد وضوحًا على الظّاهر، لمعنى في المتكلّم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى ... والنّص ما لا يحتمل إلاّ معنى واحدًا، وقيل ما لا يحتمل التّأويل" (الجرجاني، 1991)[5].

وقد ورد تعريف مصطلح النّص في موضع آخر "هو ما دلّ على معنى سيق الكلام لأجله دلالة تحتمل التّأويل أو التّخصيص أو النّسخ" (محمود 2009)[6] بحسب ما تقتضيه القرائن والمساقات.

وبناءً على ما سبق نخلص إلى أنّ النّص قسمان:

أحدهما يقبل التّأويل وهو نوع من النّص مرادف للظاهر، أمّا الثّاني فهو ذلك الذي لا يقبل التّأويل وهو النّص الصّريح" (عبد الغفار، 1998)[7].

وهذا يجرنا إلى القول أنّ كلاً من النّص عند اللّغويّين والنّص عند الأصوليين يتمحور حول محاور هي:

1-الرّفع.

2-الإظهار.

3-ضم الشّيء.

4-أقصى الشّيء ومنتهاه (عبد الغفار، 1998) [8].

وما يمكن ملاحظته عن المحاور السّابقة أنّ الرّفع والإظهار يتعلّقان بالمنشئ أو الكاتب الذي يتولى رفع نصّه وإظهار مضامينه حتى يفهمه المتلقي، أمّا ضم الشّيء إلى الشّيء فهو يرمز إلى الاتساق، والتّرابط الذي يقع أو ينشأ بين الجمل، والمتداول المعروف، أنّ النّص هو عبارة عن الجمل

المنضمة بعضها إلى بعض بواسطة الكثير من وسائل الرّبط تسعى لتحقق الاتساق النّصّي.

أمّا كون النّص أقصى الشّيء ومنتهاه، فذلك أنّه يمثّل أكبر وحدة لغويّة يمكن الوصول إليها.

2.2 النّصّ في التّعريفات الاصطلاحيّة:

ـ <u>النّص في الاصطلاح اللساني</u>: تعدّدت مفاهيم النّص الاصطلاحيّة بتعدد التّوجهات المعرفيّة والنّظريّة والمنهجيّة المختلفة، وهذا يعني أنّ الاختلاف حول ماهيّة النّص يكون أساسًا في اختلاف التّصور، والغاية من دراسته. فمفهوم النّص، ونظريته يتبلور وفق منطلقات جديدة ذلك أنّ النّص في الاصطلاح اللّساني لم يحظ بما حظي به النّص عند الأصوليين فقد تعدّدت تعريفاته بتعدد وجهات النّظر واختلافها، حيث لم يكن مصطلح نصّ أوفر حظًّا من مصطلح "جملة" فلم نعثر على تعريف يقر به عدد من الباحثين في حقل لسانيات النّص التي اعتبرت فرعًا علميا متداخل الاختصاصات من زاويّة، وعلمًا يركز على النّصوص، وعلى أشكالها وقواعدها، ووظائفها المتباينة من زاويّة أخرى.

وما تم استنباطه من مضمون التّعريفات الاصطلاحيّة السّابقة أنّها تعريفات تفضي جلّها إلى خلق الانسجام، والتّشاكل، والتّماثل بين مختلف المستويات اللّغويّة، الصّرفيّة، الصّوتيّة والدّلاليّة للنص (ثامر، 1994)[9].

وقد حاول الباحثون تعريفه، وتمييزه عن غيره معتمدين على المكوّنات والعناصر التي يتألّف منها، وذلك من خلال تراكيبه، ووسائل ترابطه.

حيث ذهب "برنكر" (Brinker) إلى اعتبار النّص تتابع مترابط من الجمل ليستنتج من ذلك التّعريف أنّ الجملة عبارة عن جزء صغير ترمز إلى النّص ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو تعجب ويمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة نسبيًّا" (برينكر، 1985)[10].

ونجد في مقابل هذا التّعريف تعليق "شبلنر" (Chepilnner) في قوله إنّ التّعريف السّابق يوضح النّص بالجملة، والجملة من خلال النّص، فهو تعريف غير منهجي من النّاحيّة العلميّة لغموض الرّموز والعلاقات التي ينطوي عليها واتساع الوصف، ومن ثم لا يمكن تطبيقه (شبلنر، 1996)[11].

وتأسيسًا على ما ورد عند(برنكر)، وما علّق عليه شبلنر أنّ النّص في نهاية المطاف لا يعدو إلاّ أن يكون تتابعًا، وأنّ الجملة جزء منه، لأنّ النّص بنيّة معقّدة ومتشابكة، والعلاقة هنا هي علاقة الجزء بالكل، الجزء (الجملة) والكل (النّص).

والحديث عن علاقة الجملة بالنّص يحيلنا على جانب مهم لا بدّ من عرضه يتمثّل في أنّ النّص وحدة دلاليّة يختلف عن الجملة في النّوع، ووحدة النّص لا يمكن اعتبارها شكلا، لأنّها معنى، فالنّص الممثّل بالعبارة أو الجملة يتصل بالإدراك (الفهم) وليس بالحجم مثلما هو معروف لدى البعض (1976 Hessan)[12].

وهذا يعني أنّ النّص يمكن أن يكون كلمة واحدة، كما يمكن أن يكون جملة واحدة أو امتدادًا من الجمل، فهو بذلك كتلة متتاليّة من الجمل تربطها علاقات تتم بين عنصر وآخر. وهو على هذا الأساس لا يخضع لدرجات الطّول أو قياسات الحجم، فقد يكون كلمة، كما قد يكون تركيبًا مصغرًا أو مجموعة تراكيب تشكل عملاً(عبد الجليل، 2001)[13].

وهذا يجسّد المقابلة بين الجملة والنّصّ الذي خاض في دراستها "بوجراند" (Robert DeBeaugrande) مستنتجا أنّ النّص ليس الجملة إنّه أغنى عناصر منها (بوقراند، 2007)[14].

ونستنتج من التّعريفات السّابقة أنّها تعريفات ركزت على الاتساق وضرورته وراعت أطراف النّص (المرسل) و(المرسل إليه) والسّياق بالإضافة إلى مراعاتها الجوانب الشّكليّة والدّلاليّة للرسالة.

3. النّصيّة في التّعريفات الاصطلاحيّة:

1.3 مفهوم النّصيّة: يقوم مفهوم النّصيّة عند مفكري لسانيات النّص على أنّه مفهوم النّص بمختلف زواياه، فهي سمة تطلق عليه باعتباره نصًّا، يتميز عما ليس نصًا.

ويعدّ مصطلح النّصيّة أهم مبحث في ميدان لسانيات النّص، أُفردت له الدّراسات اللسانيّة فضاءً واسعًا، تميز ببنيته تولد عنها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ "نص" ويكون بذلك رصد للعناصر القارة في جميع النّصوص المنجزة بغض النّظر عن مقاماتها، وتاريخها، ومضامينها (الزّناد، 1993)[15].

ولتحقيق نصّيّة كل نص يجب أن تتوافر مجموعة من الخصائص اللّغويّة التي تنشئ النّصيّة، بحيث تسهم في تشكيل وحدته، وقد تنتفي النّصيّة إذا انعدمت تلك المعايير من المقطع اللّغويّ (الزّناد، 1993)[16].

وقد فضّلنا توضيح كلامنا بالخطاطة الآتيّة المقترحة من طرف الباحثين (Holliday Michel) و (Hasan Ruqaiya) (Hasan,1976)[17].

وما لاحظناه عن هذا المخطّط أنّ الاتساق شرط ضروري لتحديد ما هو نصّ وما هو ليس نصّ، فإذا توافرت معايير الاتساق كان المقطع اللّغويّ موحّدًا. أمّا إذا اختفت تلك العناصر تختفي النّصيّة لأنّ هذه الأخيرة هي السّمات أو الخصائص التي تميزه عن باقي ما نقرأ أو ما نسمع حول ما إذا كان نصًّا أو غير ذلك.

2.3 معايير النّصيّة ودورها في التّرابط النّصي: سبق وأن تناولنا نصّيّة النّص التي تعتمد على مجموعة من الوسائل اللّغويّة تخلق النّصيّة لتسهم في وحدته الشّاملة، وأي نصّ كان لا بدّ أن يتوفر على جملة من المعايير والعوامل تجتمع فيما بينها لتجعل من النّص كلاً متكاملا.

وتمثّل النّصانيّة قواعد صياغة النّص، وقد توصل "دي بوجراند" و"دريسلر" إلى إيجاد سبعة معايير يجب أن تتحقّق في كل نص، وإذا كان أحد هذه المعايير غير متوفّر، فإنّ النّص يعتبر غير اتصالي (بوقرة، 2010)[18] وهذا ما يميّز النّص عن اللانص.

ويعتمد دي بوجراند على سبعة معايير لتحديد النّصيّة فيقول: "وأنا أقترح المعايير التّاليّة لجعل النّصيّة أساسًا مشروعا لإيجاد النّصوص واستعمالها" (بوجراند، 1998)[19].

وتتمثّل هذه المعايير في: السّبك، الالتّحام، القصد، القبول، رعاية الموقف التّناص، الإعلاميّة.

ولكي لا نخرج عن صلب البحث حصرنا موضوعنا في معيارين هما أكثر اتصالا بالنّص وأشد التّصاقًا به هما: السّبك المعجمي، والحبك الدّلالي وسنتناول كل معيار على حدة للأهميّة التي يكتسيها كل واحد منهما في ظاهرة التّماسك النّصّي.

4. السّبك (المعنى والمفهوم):

1.4 المفهوم اللّغويّ والبلاغي للسّبك: السّبك لغة يعني ضم الأجزاء المتعدّدة، والعمل على الجمع بينها لتصبح كيانًا متماسكا في اللّسان وهو عمليّة إذابة الذّهب أو الفضّة ووضعها في قالب معين لكي تخرج متلاصقة متماسكة وتسمّى بعد ذلك سبيكة (ابن منظور، 1994)[20].

وقد ورد في معجم لسان العرب معنى اتسق: "اتسقت الإبل واستوسقت بمعنى اجتمعت ... وكل ما انضمَّ، فقد اتسق، والطّريق يتسق أي: ينضمُّ (ابن منظور، 1994)[21].

كما استعمل لفظ السّبك مجازًا للدلالة على الكلام، فقد ورد في قول الزّمخشري: ومن المجاز كلام لا يثبت على السّبك وهو سبّاكٌ للكلام، وفلان سَبَكَتْهُ التّجارب (الزّمخشري، 1998)[22].

أمّا المعجم الوسيط فقد ذهب إلى تحديد معنى الاتساق، فهو الانضمام والاجتماع يقال: استوسق له الأمر (الوسيط، 1960)[23]: والمعنى واحد في معاجم اللّغة حول معنى الضّم، والانتظام، والاتساق.

وبهذه المعاني نخلص إلى أنّ المعاجم العربيّة اتفقت على معنى مصطلح (السّبك) وعلاقته بمعانيه في علم اللّغة الحديث الذي يعني ربط الجمل المتعدّدة لتصبح نصًّا، أو تتابع البناء الظّاهري للنّص من خلال استخدام آليات الرّبط النّحويّة.

أمّا السّبك في الاصطلاح فهو مصطلح نحوي وُجد عند النّحاة العرب في مواضع متعددة، منهم رضي الدّين الأستراباذي في باب "الإخبار بالألف واللام" قال إنّ صلة الألف واللام: اسم فاعل أو اسم مفعول، لأنّه يمكن أن يسبك من الجملة الفعليّة اسم الفاعل مع فاعله" (الإستراباذي، 1966)[24].

– **السّبك عند البلاغيين:** ورد مصطلح السّبك عند الجاحظ بمعنى الجودة والتّلاحم. ويظهر ذلك من خلال قوله: "وأجود الشّعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرغ إفراغا واحدا، وسبك سبكا واحدا" (الجاحظ، 2003)[25]. يليه أبو هلال العسكري في تعليقه على بيت قائلا: "فهذه الأبيات جيدة السّبك، حسنة الرّصف"[26].

– **السّبك عند النّصّيين المحدثين:** تطرق النّصيون المحدثون إلى لفظ "السّبك" موضحين مفهومه، حيث أبانوا عن أدواته مبرزين عوامله وشروطه (العسكري، 1971)[27].

وما لوحظ في الدّراسات العربيّة أنّ النّصّيين لم يتفقوا حول المصطلح العربي المقابل له، ما ترتب عن هذا الاختلاف تعدّد مصطلحات السّبك جاءت نتيجة تعدّد الدّراسات حول موضوع النّصّيّة، ومن تلك المصطلحات، الاتساق الانسجام، التّلاحم، التّماسك، التّرابط ...

وقد أثبتوا مفهوم السّبك بمجموعة من العلاقات تكوِّن النّص يتعرض بعضها لقيود يندرج ضمن بناء الجملة، لأنّ العامل النّحوي الذي يبرهن على وجود الجملة، يحقّق انسجام أجزاء النّص لتصبح نصًّا (بلحوت، 2006)[28].

وتأسيسًا على ما سبق فإن السّبك حسب الدّراسات النّصّيّة هو مجموعة من الأسس تتحكّم في تماسك الجمل، وترابطها لتحقق البناء الظّاهري للنّص الذي يظهر فيما بعد في صورة وقائع متتابعة (حمداوي، 2008)[29].

2.4 وظائف السّبك: للسبك وظائف متعدّدة، باعتباره عنصرًا محوريًا في تشكيل النّصوص وتماسكها فهو يعمل على استقرار الكلام وثباته في ذهن القارئ بعيدًا عن الشّتات والغموض.

ومن بين وظائفه اللّغويّة التي تساعد القارئ على فهم النّص فهمًا عبر طريق متابعة عناصر التّرابط النّصّي، خاصيّة الدّلالة.

ـ الوظيفة الدّلاليّة: الخاصيّة السّبكيّة الدّلاليّة هي تلك الخاصيّة التي تفضي إلى فهم كل جملة مكونة للنّص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، حيث تقوم أدواته بدور ترابط العلاقات السّببيّة بين العناصر المكونة للنّص، ومن مظاهر السّبك، الإحالة التي تخضع لقيد دلالي بمعنى تطابق الخصائص الدّلاليّة للعنصر المحيل والعنصر المحال عليه (فرج، 2007)[30]. والإحالة عند

النّصّيين المحدثين هي العلاقة بين العبارات من زاويّة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي ترمز إليه العبارات (بوجراند، 1998)[31].

أمّا الوظيفة التي تؤدّيها في النّص فهي تشير إلى ما سبق، أو إلى ما سيأتي.

وهناك ألفاظ تسهم في حدوث الإحالة كالضّمائر، ضمائر الإشارة والضّمائر الموصولة (بوجراند، 1998)[32].

ـ الوظيفة المعجميّة: السّبك المعجمي هو مظهر آخر من مظاهر السّبك وهو موضوع بحثنا، تناوله الباحثان "هاليداي" و "رقيّة حسن" فورد في نظرهما على نوعين هما: التّكرار (Reccurence) والتّضام (المصاحبة المعجميّة)[33] (Collocation) (حمداوي، 2008).

أوّلا: التّكرار: (Reccurence): التّكرار وسيلة من وسائل السّبك المعجمي، وهو الأكثر انتشارًا وشيوعا من وسائل السّبك الأخرى نظرًا لما ينطوي عليه من أنماط التّكرار، وقد أفرد له النّصيون حيزًا كبيرًا كشفوا فيه عن سبل إفادة التّكرار في تماسك النّص، وجعلوه حسب "هاليداي" و"رقيّة حسن" على أربع درجات هي (خطابي، 1991)[34]:

1-إعادة العنصر المعجمي: (Repetition of Lexical item) ويقصد به التّكرار التّام أو المحض، وهو تكرار الكلمة كما هي دون تغيير.

الثّاني: التّكرار الجزئي (Partial Reccurence) وهو تكرار الكلمة مع شيء من التّغيير في الصّيغة، بمعنى تكرار الجذر اللّغويّ في عدد من الصّيغ داخل النّص الواحد (خطابي، 1991)[35].

-التّرادف أو شبه التّرادف (Synonym or Near Synonym) ويعني تكرار المعنى دون اللفظ، وقد يتكرر أكثر من مرة في النّص، ولأكثر من كلمة ومن ثم تتسع المساحة التي يُحدث فيها سبكًا؛

–تكرار الاسم الشّامل أو الكلمة الشّاملة (Superordinate) وهو اسم يحمل معنى مشتركًا بين عدة أسماء، فيكون شاملاً لها مثل الأسماء: النّاس الشّخص، الرّجل، المرأة، الولد، البنت، الطّفل، فهذه الأسماء يشملها إسم النّاس وكلمة (الفن) التي يندرج تحتها عدد من الكلمات المتكافئة كالموسيقى، والشّعر والنّحت، والغناء (بعلبكي، 1990)[36]؛

–تكرار الكلمات العامّة: تقترب في معناها من درجة الاسم الشّامل والمقصود بها تلك الكلمات التي تجعل من العموم ما يتسع بدرجة كبيرة من الشّمول الموجود في الاسم الشّامل، مثل: الفكرة، القضيّة، العمل، والصّنيع (بعلبكي، 1990)[37].

ونستنبط من نوعي التّكرار الثّالث والرّابع أنّهما لا يندرجان ضمن التّماسك المعجمي، فهما يمثّلان وجها دلاليا يُعرف بالعموم والخصوص(السّيد 1986)[38] ما يأخذنا إلى القول إنّ إدراجهما ضمن التّماسك الدّلالي هو عين الصّواب.

وتأسيسًا على ما سبق فإنّ لكل نصٍّ مهيمنات دلاليّة أساسيّة، تدور حولها أحداث النّص كلُّها، وتظهر تلك المهيمنات الدّلاليّة في لفظة رئيسة، تتكرر تلك اللفظة إمّا تكرارًا محضًا أو جزئيًا، أو بإحدى مرادفاتها، كما يُحال إليها بالضّمير، ما يؤدّي إلى تحول اللفظة إلى بؤرة يدور حولها النّصّ بكامله.

ثانيا: المصاحبة المعجميّة (التّضام) (Collocation): المصاحبة المعجميّة هي الوسيلة الثّانيّة من وسائل الرّبط المعجمي تؤلّف بين أجزاء النّص، وهي عند "هاليداي" و"رقيّة حسن" توارد زوج من الكلمات بالفعل، أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو أخرى (خطابي1991)[39].

وقد ورد معنى المصاحبة المعجميّة في بعض الدّراسات مفاده، أنّ للدال الواحد معنيان متضادان، وهو نوع من المشترك اللفظي (البحيري، 2005)[40] وهذا يعني أنّ للكلمة الواحدة معان عدة.

أمّا المصاحبة في المعاجم اللّغويّة تعني "المرافقة" قال ابن منظور: صحبه يصحبه، صحبة بالضّم، وصاحبه، عاشره، واصطحب الرّجلان وتصاحبا واصطحب القوم: صحب بعضهم بعضا (ابن منظور، 1994)[41].

والمصاحبات المعجميّة في الاصطلاح تعني الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة، وهذا المفهوم يرتبط ارتباطا وثيقا بالنّظريّة السّياقيّة التي ترى أنّ المنهج السّياقي يبعد عن الحالات العقليّة الدّاخليّة للنص التي تحتاج إلى ما يفسّرها، ويختص بدراسة الكلمات بعدها أحداثا وعادات تقبل الموضوعيّة والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بها (مختار، 1998)[42].

وما لفت انتباهنا في مسألة المصاحبات المعجميّة أنّها تتجلى في عدد من فنون البديع منها:

ـ **المطابقة:** وهي الجمع بين المتضادين، أي معنيّين متقابلين في الجملة ويكون ذلك بلفظين من نوع واحد (إسمين)، أو (فعلين) (العسكري، 1971)[43].

وقد ورد معنى المصاحبة المعجميّة في دراسات أخرى، أنّ للدال معنيان متضادان وهو نوع من المشترك اللفظي عموما، فبتصفحنا نهج البلاغة وجدنا أنّه تضمن أنواعًا جديدة من التّضاد كان واسعًا من تضاد الكلمة المفردة، أو تقابل الجملة بجملة أخرى، فالتّضاد بين بعض البنى النّصيّة الكبيرة التي تكوّن النّص يوسع من دائرة التّماسك ليشمل فيما بعد النّص كلّه، دون أي تقييد سواء بكلمة واحدة، أم جملة معينة، خاصّة إذا كان للطباق حضورا كبيرًا في الخطاب، فهو جزء أساسي من المعنى الكلي للنّص. وهو بذلك ليس سمة جماليّة، أو خاصيّة شكليّة يُراد به التّنميق أو الزّخرفة الصّناعيّة للنص (عتيق 1998)[44].

ـ **المقابلة:** تعني المقابلة هنا إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة، والمخالفة (العسكري، 1971)[45]، واقترب مصطلح المقابلة

في موضع آخر بالمعنى الأوّل، وهو أن يؤتى بمعنيين، متوافقين أو معان متوافقة ثم يقابلها على التّرتيب، والتّوافق هو خلاف التّقابل (قزويني 1953)[46].

ـ **مراعاة التّنظير**: وهي أن يجمع في الكلام بين أمر وما يناسبه لا بالتّضاد ويسمّى أيضًا التّناسب والائتلاف، والتّوفيق، كقوله تعالى في سورة الرّحمان ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (سورة الرّحمن ، اية 5)[47].

نلاحظ في هذه الآية أنّ لفظ الشّمس لفظ يناسب لفظ القمر ويأتلف معه، ولا يخالفه ولا يمكن اعتباره ضد، والجملة ليس فيها تضاد كما قد يفهم عند البعض.

وقد عرّف النّصّيون المصاحبة المعجميّة بأنّها الورود المتوقع المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما (أبو زنيد، 2010)[48]، (كالليل مع الظّلمة)، وتعتبر هذه المصاحبات مصدرًا أساسيا للرّبط بين الكلمات، فهناك ربط لفظي بين أزواج من العناصر المعجميّة، تظهر مع بعضها في علاقات دلاليّة تُستشف مباشرة بعد الإمعان فيها (شبل 2007)[49].

وما يُستشف ممّا سبق أنّ هذا النّوع من السّبك من أكثر الأنواع تعقيدا في التّحليل لأنّه يعتمد على معرفة المتلقي للمفردات في السّياقات المتشابهة وفهمهما في سياق المفردات في سياق النّص المترابط (شبل، 2007)[50].

5. الحبك الدّلالي:

1.5 مفهوم الحبك الدّلالي: أطلق سعد مصلوح تعريفا على مصطلح الحبك فهو عنده "الاستمراريّة في ظاهرة النّص، أو الاستمراريّة المتحققة في عالم النّص، وهي الاستمراريّة الدّلاليّة التي تظهر في منظومة المفاهيم، والعلاقات الرّابطة بين تلك المفاهيم" (مصلوح، 2003)[51].

أمّا الحبك في معجم لسان العرب فهو الشّدُّ والإحكام وتحسين أثر الصّنعة في الثّوب، والاحتباك من الحبك، جاء في لسان العرب: احتبك بإزاره: احتبى

به وشدَّه إلى يديه، والحبكة أن ترخيمن أثناء حجزتك (ابن منظور، 1994)[52]. والمعنى المستنبط هنا هو أن تشد بين يديك لتحمل فيه الشّيء ما كان، وقال ابن منظور أيضًا: الحبكة: الحجزة بعينها ومنها أخذ الاحتباك بالباء وهو شدُّ الإزار (ابن منظور، 1994)[53].

كما ورد لفظ الحبك في معجم العين بهذه الصّيغة: "حبكته بالسّيف حبكا: وهو ضرب في اللحم دون العظم، ويقال: هو محبوك العجز والمتن إذا كان فيه استدعاء مع ارتفاع.

وقد قال الشّاعر الأعشى:

عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السّراةِ كَأَنَّهُ***عُقابٌ هَوت مِنْ مَرْقَبٍ إِذ تَعَلَّتِ

والحباك: رباط الحظيرة بقصبات تعرض، ثم تشد كما تحبك عروش الكرم بالجبال، واحتبكت ايزاري شددته (الفراهيدي، 1911)[54].

أمّا ابن فارس فقد أورد تعريفا آخر، حيث قال: حبك: الحاء والباء والكاف أصل منقاس مطرد، وهو إحكام الشّيء في امتداد وإطراد وحبك السّماء في قوله تعالى: ﴿ وَالسّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ (سورة الذّاريات، الآية 7) [55]والمعنى المستنبط من الآية هو حسن السّماء واستوائها.

وما يؤكّد معنى الحبك ما رواه "أبو عبيد الهروي" عن عائشة رضي الله عنها في غريب الحديث الاحتباك (الهروي، 1984)[56]: شد الإزار وإحكامه وهذا يعني أنّ عائشة رضي الله عنها كانت لا تصلي إلاّ مؤتزرة. ومن جهة أخرى نجد أبو الأصبع المصري الذي ذهب إلى تعريف الحبك في باب الانسجام قائلاً: "هو أن يأتي الكلام متحدرًا كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك وعذوبة الألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقعًا في النّفوس وتأثيرًا في القلوب ما ليس لغيره" (فرج، 2018)[57].

فمضمون القول هو أنّ الحبك يعمل على تسهيل الكلام وتذليله على القارئ والسّامع معًا.

وتأسيسًا على ما سبق يبقى الحبك جوهر العلاقات النّصّيّة، فهو بمثابة العلاقة الكبرى التي تضمُّ جميع العلاقات المعنويّة داخل نصّ ما، وهو من أهم خصائص النّص التي تعمل على تماسك مكونات الخطاب لتحقق علاقة التّرابط بين أبنيّة النّص وبقيّة مكوناته.

والحبك في علم اللّغة النّصي هو التّرابط المعنوي بين عناصر نصّ ما يجعل الموضوع في صورته النّهائيّة نظامًا متكاملاً، حيث ترتبط الأسباب بالمسبّبات والنّتائج بالمقدمات (أحمد، 2007)[58]، وهذا يعني أنّ الحبك ليست له خاصيّة لغويّة فحسب، بل ينطوي على جوانب متعدّدة تتعلّق بموضوع الخطاب ونتائجه (الفقي، 2000)[59].

نستنتج أنّ للحبك الدّلالي أهميّة فقد استرعى اهتمام النّحاة والبلاغيين الذين راعوا حبك الجمل النّحويّة تحت نظام الرّبط والتّرابط من خلال أجزاء الجملة ومفاهيمها، وترابط مفاهيم الجمل فيما بينها (قطب، 1985)[60].

أمّا أهميّة الحبك النّصي في علم اللّغة الحديث فقد تجلى في البنيّة التّحتيّة لأدوات الرّبط الظّاهرة (أحمد، 2007)[61] فهو يتعلّق بالعلاقات الدّلاليّة، يقابل السّبك الذي يتعلق بالدّلالات الشّكليّة.

وتأسيسًا عما ورد عن الباحثين السّابقين من آراء ونظريات الحبك من أهم الجوانب المحقّقة للنّصيّة فهو معيار يهتم بوسائل الاستمرار الدّلالي لتحقيق التّرابط الدّلالي.

2.5 وظيفة الحبك الدّلالي وآلياته: رأينا أنّ ظاهرة الحبك الدّلالي معيار يتّصل برصد وسائل الاستمرار الدّلالي في عالم النّص والعمل على إيجاد التّرابط المفهومي (عفيفي، 2001)[62] والحبك في الدّراسات اللسانيّة الحديثة أساس تماسك النّصوص، ذلك أنّه يهتم بعلاقات التّماسك الدّلاليّة بين أجزاء النّص من ناحيّة وبين النّص وما يحيط به من سياقات من ناحيّة أخرى، ومن أبرز وظائف الحبك الدّلالي إحكام النّظم بحذف فضول الكلام وما يمكن

الاستغناء عنه مع قلة الألفاظ وكثرة المعاني التي تدل عليها (زقزوق 2003)[63]، تحقيق الإيجاز كما يعمل الحبك على تنبيه المتلقي إلى البحث عن المحذوف فيجعله يتجاوز مع ما يقرأ فترسخ المعلومة في نفسه ويقل نسيانه ومن وظائف الحبك أنّه آليّة لتهذيب العبارة، لأنّ المعنى الذي يدركه الفهم إدراكا قويا مع حذف الألفاظ الدّالة عليه يكون في ذكرها فضول يتنزه عنه البيان الحكيم، إلى جانب صيانة الكلام من الثّقل والتّرهل اللذين يحدثان من ذكر ما تدل عليه القرينة (زقزوق، 2003)[64].

واللافت للانتباه أنّ من فوائد الحبك القدرة على الرّبط فهو لون بلاغي تظهر بلاغته في إحكام العبارة وسلامتها من الخلل مع قلة الألفاظ وكثرة المعاني التي تدل عليها (زقزوق، 2003)[65].

فالقارئ الذي يفهم الحبك يحتاج إلى جهد كبير لتأويل تلك النّصوص التي تتميّز بالغموض والحذف، فهو فن يساعد على فهم وكشف خفايا النّصوص.

أمّا الاختلاف الكائن بين السّبك المعجمي والحبك الدّلالي يكمن في أنّ السّبك يعمل على تشكيل النّص، وتفسيره وجعل الكلام مفيدًا، كما يعمل على استقرار النّص وثباته، عن طريق تنظيم بنيّة النّص والحفاظ على الدّلالات الواردة فيه من التّشتت، ممّا يسهّل للقارئ تتبع خيوط التّرابط المتحرّكة عبر النّص تمكّنه من قراءته ما بين السّطور، بينما يعمل الحبك على بناء النّص وجعله أكثر ترابطا عن طريق تجاوز كل مستويات المعجم، والنّحو، والصّوت إلى المستوى الدّلالي الذي يتم فيه الرّبط بين أجزاء النّص لتشكيل الوحدة النّصّيّة الكليّة، فهو بذلك يصل بين منتج النّص والمتلقي (زقزوق، 2003)[66].

3.5 أدوات الحبك الدّلالي: حدد علماء العرب المحدثين وسائل الحبك الدّلاليّة تلك التي تسهم في الالتّحام بين معاني النّص، وسنحاول أن نختزل بعضًا منها نظرًا لتشعب موضوع الحبك وشساعته.

تتظافر القرائن المعنويّة في التّراث العربي القديم والحديث لتسهم في تماسك النّص على المستوى المعنوي أو الدّاخلي (ثمام، 2006)[67]، وهذا يعني أنّ أجزاء النّص تنسجم بواسطة علاقات دلاليّة لتصل إلى البنيّة الكليّة الكبرى داخل أي نصّ.

فمن أدوات الحبك الدّلالي، أن يكون رأس النّص دالا على بقيّة النّص بمعنى بداية النّص دالاً على نهاية النّص، وان تكون نهاية النّص استدلالا على ما تقدّم منها في بداية النّص (قروجي، 2011)[68].

نستنبط ممّا ورد سابقا أنّ النّص مقسم إلى بداية النّص، ووسط النّص ونهاية النّص فمن الضّروري أن تدل بداية النّص على وسط النّص، وأن يدل وسط النّص على نهايته كما تكون نهاية النّص نتيجة لوسط النّص.

6. خاتمة: يتولى علم اللّغة النّصي البحث عن الوسائل والأدوات التي تحقّق التّماسك النّصّي دون إهمال السّياق الذي يساعد على إنتاج النّصوص ونعني بالوسائل تلك الرّوابط التي تسهم في بناء النّصوص وفي كيفيّة تماسكها وتلاحمها، وترابط أجزائها الدّاخليّة وقد اشترط علماء النّص بعض معايير النّصيّة تعمل على تحقيق التّرابط اعتبرت من أهم المفاهيم التي انبثقت عن الفكر اللّساني.

وقد أسفرت الدّراسة عن مجموعة من النّتائج نعرضها كالآتي:

-علم اللّغة النّصي أهم مبحث في منظومة لسانيّة النّص، يبحث في نصيّة النّصوص؛

-النّصيّة بنيّة مجرّدة تولّد كل ما نسمعه ونطلق عليه لفظ "نصّ"؛

-النّصيّة خاصيّة تحقّق وحدة النّص؛

-النّص هو الموضوع الرّئيس في التّحليل والوصف اللّغويّ؛

-النّصيّة مصطلح لا بد من تحقّقه في النّص؛

-المعايير النّصيّة هي أدوات تعني بربط أجزاء النّص؛

–السّبك المعجمي والحبك الدّلالي يحققان ما يسمّى في الدّراسات اللّسانيّة التّماسك النّصي الذي يقوم على أكبر بنيّة دلاليّة ترتبط بموضع النّص

– التّماسك خاصيّة يعمل على الحفاظ على استقرار النّص وثباته وعدد تشتيت الدّلالات الموجودة في الجمل التي تشكل النّص؛

– تداخل مصطلحي السّبك والحبك مع مصطلح التّماسك النّصي؛

– مصطلح السّبك المعجمي وسيلة تتحقّق بها خاصيّة الاستمراريّة في ظاهرة النّص؛

–الحبك الدّلالي وهو نفسه التّماسك الدّلالي يقصد به الاستمراريّة التي تتحقّق في عالم النّص؛

–السّبك (cohésion) معيار يهتم بظاهرة النّص دراسة الوسائل التي تتحقّق بها خاصيّة الاستمرار اللفظي؛

–الحبك (coherence): يهتم هذا المعيار برصد وسائل الاستمرار الدّلالي في عالم النّص أو العمل على إيجاد التّرابط المفهومي؛

–السّبك والحبك موضوعان أساسيان في الأبحاث اللّسانيّة الحديثة فهما يشكلان خاصيّة من خصائص اللّغة؛

–السّبك والحبك مصطلحان مترجمان إلى المصطلحين الأجنبيين (cohésion) (cohérence)؛

–السّبك آليّة تعمل على تشكيل النّص وتفسيره؛

–الحبك يعمل على بناء النّص وجعله أكثر ترابطا عن طريق تجاوز كل مستويات المعجم، والنّحو، والصّوت إلى المستوى الدّلالي الذي يشمل الرّبط بين أجزاء النّص؛

–وظيفتا السّبك والحبك متكاملتان حيث تعنى الأولى بالتّماسك الشّكلي للنص بينما تعني الثّانيّة بتحقيق التّماسك الدّلالي النّصي؛

–يؤدّي كل من السّبك والحبك دورًا مستقلا عن الآخر ممّا يلزم كل واحد منهما الاعتماد على أدوات خاصّة به، فالسّبك يركز على المعطيات الخفيّة في النّص، ويتجاوز المعطيات الظّاهرة فيه كالضّمائر، وأسماء الإشارة، في حين يعمل الحبك على التّركيز على التّرابط الدّلالي بين العناصر اللّغويّة داخل النّص؛

–الحبك أعم من السّبك؛

–السّبك هو الكيفيّة التي يتم بها ربط الأفكار في بنيّة النّص؛

–الحبك هو البنيّة التّحتيّة لأدوات الرّبط الظّاهرة.

7. قائمة المراجع:

ـ القرآن الكريم:

ـ المؤلّفات:

- ابن ابي الإصبع المصري، البرهان في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وتقديم: خديجة الحديثي، الدّار العربيّة للموسوعات، لبنان، 1984م.
- ابن منظور، لسان العرب مادة (سبك)، ج7، ترجمة: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
- ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، ج7، 1414هـ، 1994م.
- أبو زنيد عثمان، نحو النّص إطار نظري، ودراسات تطبيقيّة، عالم الكتب، الأردن 2010م.
- أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، غريب الحديث، ط1، تحقيق: حسين محمد محمد شرف، مراجعة: عبد السّلام هارون، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، القاهرة، مصر 1984م.
- أحمد رضا، معجم متن اللّغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج5 1960م.
- أحمد عفيفي، نحو النّص، اتجاه جديد في الدّرس النّحوي، ط1، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة مصر، 2001م.
- أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998م.
- الاستراباذي محمد، شرح الرّضي على الكافيّة، ابن الحاجب، ط2، تحقيق: يوسف حسن عمر، مؤسّسة الرّسالة، السّعوديّة، 1966م.
- باقر محيسن فرج، السّبك والحبك في جزء المجادلة، إشراف: محمود عبد حمد اللامي رسالة ماجستير، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة المثنى، العراق، 2018م.
- الجاحظ عمرو بن بحر، البيان والتّبيين، ط7، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، 1995م.
- الجرجاني الشّريف، كتاب التّعريفات، ط1، دار الكتاب اللبناني المصري، 1991م.
- جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النّص، شبكة الألوكة.
- حسام أحمد فرج، نظريّة علم النّص، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2007.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (حبك)، ط1، ترجمة: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، 1911م.

- رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللّغويّة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت لبنان 1990.
- روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، دار عالم الكتب مصر، 1998م.
- الزّمخشري محمود، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، بيروت، لبنان، ج1 1998م.
- الزّناد الأزهر، نسيج النّص فيما يكون به الملفوظ نصًّا، ط1، المركز الثّقافي العربي، بيروت لبنان، 1993م.
- سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربيّة، والأسلوبيات اللسانيّة آفاق جديدة، ط1 مجلس النّشر العلمي، جامعة الكويت، 2003م.
- سعيد حسن بحيري، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنيّة والدّلالة، مكتبة الآداب القاهرة، 2005م.
- سعيد حسن بحيري، علم لغة النّص المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون، الشّركة المصريّة العالميّة للنشر، 2008م.
- السّيد أحمد عبد الغفار، التّصور اللّغويّ عند الأصوليين، ط7، مكتبات عكاظ للنشر الإسكندريّة، مصر، 1981م.
- السّيد أحمد عبد الغفار، التّصور اللّغويّ عند علماء أصول الفقه، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، مصر، 1996.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشّروق، الطّبعة الشّرعيّة، بيروت، لبنان، 1985م.
- شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظريّة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر 2006م.
- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق، دار قباء، القاهرة مصر 2000م.
- عبد العزيز عتيق، علم البديع، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، مصر، 1998م.
- عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبيّة وثلاثيّة الدّوائر البلاغيّة، دار صفاء للنشر والتّوزيع، عمان الأردن، 2001م.
- عز الدّين علي السّيد، التّكرير بين المصير والتّأثير، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان 1986م.
- عزة شبل محمد، علم لغة النّص بين النّظريّة والتّطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر 2007.

- العسكري، الحسن بن عبد الله، الصّناعتين، الكتابة والشّعر، ط1، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو فضل إبراهيم، دار الفكر العربي للطبع والنّشر، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، مصر، 1952م.
- فاضل ثامر، اللّغة الثّنائيّة (في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي العربي)، ط1، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 1994م.
- قزويني، جلال الدّين محمد بن عبد الرّحمان، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاءه، القاهرة، مصر، 1953م.
- لمياء قروجي، انسجام الخطاب في رواية الجازيّة والدّراويش، دراسة تطبيقيّة في ضوء علم النّص، رسالة ماجستير، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة عنابة، الجزائر العاصمة الجزائر 2011م.
- محمد خطابي، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجا، ط1، المركز الثّقافي العربي بيروت لبنان، 1991م.
- محمود توفيق، محمد سعد، دلالة الألفاظ عند الأصوليين، مكتبة وهبة للطباعة والنّشر 2009م.
- محمود حمدي زقزوق، الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، مطابع تجاريّة قليوب، مصر،(د ت).
- مصطفى السّعدني، المدخل إلى بلاغة النّص، منشأة المعارف الاسكندريّة القاهرة مصر 1994م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة مصر، 2011م.
- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب ط1 جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2010م.
- يرنرد برينكر، علم اللّغة والدّراسات الأدبيّة ترجمة: محمود جاد الرّب، جامعة الملك سعود الرّياض، (د ت).
- Holliday M.A.K and Ruqiaya Hesan, cohesion in English Longman London, 1976.

8. هوامش :

[1]– ابن منظور، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، ج7، 1414هـ، 1994م ص 42، 44.

[2]– أحمد رضا، معجم متن اللّغة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج5، 1960م ص 472.

[3]– ينظر: السّيد أحمد عبد الغفار، التّصور اللّغويّ عند الأصوليين، ط7، مكتبات عكاظ للنشر، الإسكندريّة، مصر، 1981م، ص144، 145.

[4]– مصطفى السّعدني، مدخل إلى بلاغة النّص، منشأة المعارف الاسكندريّة، القاهرة مصر 1994م، ص 46، 52.

[5]– الجرجاني الشّريف، كتاب التّعريفات، ط1، دار الكتاب اللبناني/المصري، بيروت/مصر 1991م، ص251.

[6]– محمود توفيق، محمد سعد، دلالة الألفاظ عند الأصوليين، مكتبة وهبة للطباعة والنّشر 2009م، ص367.

[7]– ينظر: السّيد أحمد عبد الغفار، التّصور اللّغويّ عند الأصوليين، ص146.

[8]– المرجع نفسه، ص147.

[9]– ينظر: فاضل ثامر، اللّغة الثّنائيّة (في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي العربي)، ط1، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 1994م، ص45.

[10]– يرنرد برينكر Brinker شبلنر، علم اللّغة والدّراسات الأدبيّة ترجمة: محمود جاد الرّب جامعة الملك سعود، الرّياض، د ط، د ت، ص198.

وينظر: سعيد حسن البحيري، علم النّص (المفاهيم والاتجاهات)، ص103.

[11]– برنرد شبلنر، علم اللّغة والدّراسات الأدبيّة، ص188، 189.

[12] –Holliday M.A.K and Ruquaya Hessan, cohesion English Longman London, 1976, p 1, 2

[13]– عبد القادر عبد الجليل، الأسلوبيّة، وثلاثيّة الدّوائر البلاغيّة، دار صفاء للنشر والتّوزيع عمان، الأردن، 2001م، ص 142.

[14]– ينظر: روبرت دي بوقراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، دار عالم الكتب، ص 89، 94.

[15]– الأزهر الزّناد، نسيج النّص فيما يكون به الملفوظ نصًّا، ط1، المركز الثّقافي العربي بيروت، لبنان، 1993م، ص 18.

[16]– المرجع نفسه، ص 13.

[17]–Holliday and Ruqaya Hesan, cohesion English, p 26, p 1, 2, 4

[18]– نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ط1، جدار للكتاب العالمي، عمان، الأردن، 2010م، ص141.

[19]– روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، دار عالم الكتب مصر، 1998م، ص172.

[20]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (س ب ك).

[21]– المصدر نفسه، مادة (و س ق).

[22]– الزّمخشري محمود، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، بيروت، لبنان، ج1، 1998م ص435.

[23]– المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مادة (و س ق).

[24]– الاستراباذي، محمد، شرح الرّضي على الكافيّة، تحقيق: يوسف حسن، ط2، مؤسّسة الرّسالة، السّعوديّة، 1966م، ص81.

[25]– الجاحظ عمر بن عثمان بن بحر، البيان والتّبيين، ط7، تحقيق: عبد السّلام هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج1، 1423هـ، ص67.

[26]– العسكري، أبو هلال، كتاب الصّناعتين، الكتابة والشّعر، ط2، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو فضل إبراهيم، دار الفكر العربي للطبع والنّشر، 1971م، ص169.

[27]– ابن ابي الإصبع المصري، البرهان في إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب وتقديم خديجة الحديثي، الدّار العربيّة للموسوعات، لبنان، 1984م، ص18.

[28]– شريفة بلحوت، الإحالة دراسة نظريّة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر 2006م، ص83.

[29]– جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النّص، شبكة الألوكة، ص 68.

[30]– حسام أحمد فرج، نظريّة علم النّص، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 2007، ص84.

[31]– روبرت دي بوجراند، النّص والخطاب والإجراء، ص172.

[32]– المرجع نفسه، ص320.

[33]– ينظر: لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24.

[34]– محمد خطابي، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجا، ط1، المركز الثّقافي العربي بيروت لبنان، 1991م، ص24.

[35]– المرجع نفسه، ص25.

[36]– رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللّغويّة، ط1، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1990، ص484.

[37]– رمزي منير بعلبكي، معجم المصطلحات اللّغويّة، ط1، ص484.

[38]– عز الدّين علي السّيد، التّكرير بين المصير والتّأثير، ط2، عالم الكتب، بيروت، لبنان 1986م، ص 253، 254.

[39]– محمد خطابي، لسانيات النّص، ص25.

[40]– البحيري، سعيد حسن، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنيّة والدّلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005.

[41]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (صحب)

[42]– أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ط5، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998م، ص74.

[43]– أبو هلال العسكري، الصّناعتين، ص307.

[44]–عبد العزيز، عتيق، علم البديع، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، مصر،1998م ص70.

[45]– أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين، ص337.

[46]– قزويني، جلال الدّين محمد بن عبد الرّحمان، شرح وتعليق، وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، مصر، 1953م، ص259.

[47]– سورة الرّحمان، آية 05.

[48]–عثمان أبو زنيد، نحو النّص إطار نظري ودراسات تطبيقيّة، عالم الكتب، الأردن 2010م، ص289.

[49]–عزة شبل محمد، علم لغة النّص بين النّظريّة والتّطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر 2007، ص110.

[50]– المرجع نفسه، ص109.

[51]– سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربيّة، والأسلوبيات اللسانيّة آفاق جديدة، ط1 مجلس النّشر العلمي، جامعة الكويت، 2003م، ص227، 228.

[52]– ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبك).

[53]– المصدر نفسه، مادة (حبك).

[54]– الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، مادة (حبك)، ط1، ترجمة: مهدي المخزومي وإبراهيم السّامرائي، ج3، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، 1911م، ص66.

[55]– سورة الذّاريات، الاية 7.

[56]– أبو عبيد الهروي، غريب الحديث، ج4، ترجمة: حسين محمد محمد شرف، مراجعة مصطفى حجازين، مجمع اللّغة، مصر، 1984.

[57]– باقر محيسن فرج، السّبك والحبك في جزء المجادلة، رسالة ماجستير، كليّة التّربيّة للعلوم الإنسانيّة، جامعة المثنى، العراق، 2018م، ص09.

[58]– فرج حسام احمد، نظريّة علم النّص، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2007م.

[59]– صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النّصي بين النّظريّة والتّطبيق، دار قباء، القاهرة مصر، 2000م.

[60]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشّروق، الطّبعة الشّرعيّة، بيروت، لبنان، 1985م.

[61]– فرج حسام أحمد، نظريّة علم النّص، ط1، مكتبة الآداب، مصر، 2007م.

[62]– أحمد عفيفي، نحو النّص، اتجاه جديد في الدّرس النّحوي، ط1، مكتبة زهراء الشّرق القاهرة، مصر، 2001م، ص90.

[63]–محمود حمدي زقزوق، الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، مطابع تجاريّة قليوب مصر (د.ت).

[64]– المرجع نفسه، ص492.

[65]– المرجع نفسه، ص492.

[66]– المصدر السّابق، ص492.

[67]– تمام عمر حسان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص191.

[68]– لمياء قروجي، انسجام الخطاب في رواية جازيّة والدّراويش، الجزائر،2011م ص80، 82.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 26 العدد: 67 سبتمبر 2024 ص: 167- 187

نسيج التّكرار وأساليبه في شعر "أنور سلمان"
(دراسة أسلوبيّة في البنيتين الإيقاعيّة والدّلاليّة)

The Phonetics and Semantics of Repetitions in the poetry of Anwar Salman

أ. بروانة شمس الدّين ريملة♥
أ. حسن دادخواه طهراني♥
أ. نعيم عموري♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-026-067-008 DOI

تاريخ الاستلام: 04-01-2024 تاريخ القبـول: 31-07-2024

الملخّص: التّكرار هو المنهج، أن يتمتّع منه الشّعراء لتضاعف على مدى تأثير مضمون النّص الأدبي لدى المتلقّي. يسعى هذا البحث عبر المنهج الوصفي- التّحليلي إلى دراسة دلالة التّكرار في شعر شاعر لبناني "أنور سلمان من حيث التّكرار الإستهلالي، والتّكرار الختامي، والتّكرار الصّرفي والتّكرار التّراكمي، والتّكرار اللازمة، والتّكرار الدّائري. وإنّ للتكرار في شعر شاعرنا دوراً هامًّا في تكثيف جانب إيقاعي قصائد الدّيوان، والتّأكيد على مضمونها لدى المتلقّي. ومن هذا المنطلق يؤكّد الشّاعر على خلجاته النّفسيّة

♥طالبة مرحلة الدّكتوراه، في اللغة العربيّة وآدابها، بجامعة شهيد تشمران، أهواز، أهواز، إيران. البريد الكتروني: Parvane.shamsedin2014@gmail.com (المؤلّف المرسل).

♥أستاذ في اللغة العربيّة وآدابها بجامعة شهيد تشمران، أهواز، أهواز، إيران. البريد الكترونى: h.dadkhah@scu.ac.i

♥أستاذ في اللغة العربيّة وآدابها بجامعة شهيد تشمران، أهواز، أهواز، إيران. البريد الكترونى: n.amouri@scu.ac.ir

من الحزن والألم الشّديد تجاه الأحداث الدّاميّة التي قد مرّت على وطنه بعد نفوذ الإستعمار أو أحاسيسه حول الحب بالمرأة والوطن. وقد جاء "أنور سلمان"، بالتّكرار التّراكمي والتّكرار البدايّة في شعره أكثر بالنّسبة من الأنماط الآخرى للتّكرار.

الكلمات المفتاحيّة: أسلوب التّكرار؛ أنور سلمان؛ البنيّة الإيقاعيّة؛ البنيّة الدّلاليّة.

Abstract: Repetition is a method that poets use to increase the impact of the literary text on the reader. This research tries, through the descriptive-analytical method, to examine the repetition in the poem of the Lebanese poet "Anwar Salman", in terms of initial repetition, final repetition, reduplication of verbs, condensed repetition necessary repetition, and circular repetition. Indeed repetition in our poet's poetry plays an important role in enriching the melodious side of Divan's odes and emphasizing their meaning in the eyes of the reader. Through this passage, the poet emphasizes his inner feelings of extreme sadness and pain due to the bloody events that happened after the influence of colonialism on his homeland, or his feelings about his love for his wife and homeland. "Anwar Salman" has used initial repetition and condensed repetition more than other types of repetition in his poetry.

Keywords: repetition style, Anwar Salman, phonetic structure, semantic structure.

1.المقدّمة: إنّ التّكرار من الوسائل الأساسيّة في تقويّة بنيّة دلاليّة النّصوص الأدبيّة وهو أداة الأديب، يستخدمه ليبرز أغراضه وأفكاره حول الواقع الإجتماعي الذي يعيشه أو للتعبير عن أحاسيسه حول الحبّ، والحزن

والألم. يستمدّ الشّاعر من أسلوب التّكرار في شعره؛ ليستحكم المعنى المقصود لدى المخاطب. وأيضاً للتكرار دورٌ هام في تعزيز الرّكائز الإيقاعيّة لقصائد الدّيوان. وإنّه يعطى بنغم الموسيقي المسيطرة على أشعار الدّيوان حلاوةً وعذوبةً، ومن هذا المنطلق يلفت أنتباه السّامع نحو غرض الشّاعر.

«إنّ التّكرار يعدّ مرتكز الإيقاع بجميع صوره ويعمل بصوره على توطيده وتمكينه من معمارها، فنجده مائلاً في الموسيقي يدعم تواترها وحركتها الإنسانيّة.» (حني، 2012م)[1] «والتّكرار، هو إلحاح على جهة هامّة في العبارة يعني الشّاعر بها أكثر من عنايّة بسواها، ليسلط الضّوء على نقطة حساسة فيها مرتبطة بدلالات نفسيّة عميقة.» (وهبة، 1984م)[2] «يعدّ التّكرار واحداً من الأساليب التّعبيريّة الدّقيقة التي تظهر بوضوح في نتاج الشّعراء والأدباء وتشفّ عن أبعاد مختلفة في العمل الأدبي وتعكس جوانب غنيّة فيما يتعلّق بحضور الأدب وحالات تفاعله مع الأشياء من حوله باعتبار المادة الأدبيّة وثيقة بالأديب والبصمة الدّالة عليه في الوجود وإنّه لحظة الكشف والتّبؤ وإحدي المرايا العاكسة لكثافة الشّعور المتراكم زمنياً في نفس الشّاعر، يتجمع في بؤرة واحدة حتى اذا استقر بدأ انعتاقاً وانتشاراً وتشظياً تارة هنا وأخرى هناك.» (عاشور 2004م)[3].

ويتجلّى الأسلوب التّكراري في شعر الشّعراء بتناسب قدرة إبداعهم وأيضاً بتناسب ذوقهم الأدبي. ويأتي في أشعارهم على النّمط تكرار الحرف، وتكرار الكلمة، وتكرار الجملة، في كثير من الأحيان. ونعالج بالبحث عن التّكرار في شعر شاعرنا من حيث التّكرار الإستهلالي، والتّكرار الختامي، والتّكرار الصّرفي، والتّكرار اللازمة، والتّكرار الدّائري. ويكون لكلّ منها بجانب دورها في إثراء إيقاع أشعار الدّيوان، مكانة هامّة في الوضوح معنى ومضمون النّص الأدبي، وتأكيده في ذهن المتلقي أكثر فأكثر. ويستمد "أنور سلمان" من الأنواع

المنوّعة للتّكرار؛ ليبرز همومه وآلامه حول الإغتصاب الإسرائيلي في وطنه ومن هذا المنطلق يؤكّد على الظّروف الصّعبة التي يعيشها شعبه خلال الأحتلال أو إنّ الشّاعر يتمتع من هذه الظّاهرة الأسلوبيّة؛ ليستحكم معنى الحب بالوطن والمرأة في ذهن السّامع.

أسئلة البحث:

1. ما هي أنماط التّكرار في شعر "أنور سلمان"؟

2. ما هي العلاقة بين أنماط التّكرار والجانب الدّلالي والإيقاعي في قصائد الدّيوان؟

فرضيّات البحث:

1. تشمل أنماط التّكرار في شعر "أنور سلمان"، على التّكرار الإستهلالي والتّكرار الختامي، والتّكرار التّراكمي، والتّكرار الصّرفي، والتّكرار الدّائري والتّكرار اللازمة.

2. تكون العلاقة الوطيدة بين جانب دلالي وإيقاعي في قصائد الدّيوان. وإنّ أسلوب التّكرار في شعر "أنور سلمان"، برغم دوره في تكثيف وتنويع إيقاعي الأشعار، يستمد الشّاعر من هذا الأسلوب؛ ليؤكد على المعنى المقصود. ومن هذا المنطلق، يلفت إنتباه السّامع نحو غرضه.

خلفيّة البحث: برغم إنّ "أنور سلمان"، من أبرز الشّعراء في العصر الحديث؛ لكن لم تتمّ الدّراسة المستقلة حول التّكرار في شعره، والبحث الواحد حول "أنور سلمان" وشعره، هو الكتاب "تحيّة إلى أنور سلمان، دراسات وشهادات"، الذي قد جمع فيه البحوث عدد من الأدباء اللبنانيين، حول شعر "أنور سلمان" وقيمته الأدبيّة والإجتماعيّة؛ أمّا البحوث حول التّكرار كثير جداً ومن أبرزها نشير إلي المقال **(دلالة التّكرار وأنماطه في شعر محمد إبراهيم أبي سنة)** لأمير فرهنگ نيا، مجلّة دراسات في نقد الأدب العربي الرّقم 15 وإنّ

الباحث في هذه المقالة يدرس التّكرار بأنواعه المنوّعة من التّكرار الإستهلالي والتّكرار الختامي والتّكرار التّراكمي، والتّكرار الدّائري، والتّكرار الشّعائري والتّكرار المقطعي والتّكرار الصّرفي. ويبين مدى علاقتها بالجانب الدّلالي النّص الأدبي. ومقال **(التّكرار في ديوان الجرح الفلسطيني وبراعم الدّم لزينب حبش؛ دراسة البنيتين الإيقاعيّة والدّلاليّة)**، لأمين نظري تريزي والآخرون مجلّة إضاءات نقديّة (فصليّة محكّمة)، السّنة السّابعة– العدد السّادس والعشرون. يدرس التّكرار في هذه المقالة من حيث تكرار الصّوت وتكرار الكلمة، وتكرار العبارة. تأتي ظاهرة التّكرار في الديوان متناسبة بالإيقاع والدّلالة لإظهار حب الشّاعر لفلسطين. دراسة **(التّكرار في الشّعر الفلسطيني الحديث؛ مجموعة العصف المأكول الشّعريّة نموذجاً)** لعباس يداللهي فارساني ومحمود شكيب أنصاري مجلة إضاءات النّقديّة (فصليّة محكّمة) السّنة السّابعة– العدد السادس والعشرون. وهنا إنّ أسلوب التّكرار في ديوان الشّاعر هو أداة للتعبير عن هواجسه النّفسيّة. مقال **(دراسة جماليّة التّكرار في ديوان "قليلكِ لا كثيرهنّ" ليحيي السّماوي)** ليحيى معروف ونور الدّين پروين، مجلّة إضاءات نقديّة (فصليّة محكّمة)، السّنة الرّابعة– العدد السّادس عشر. يدرس التّكرار في هذه المقالة من حيث تكرار الكلمة، تكرار الضّمائر، تكرار العبارات، تكرار الجملة المستقلة، تكرار عنوان القصائد، تكرار الأساليب المتنوّعة، تكرار التّركيب الاستفهامي والنّدائي. وتتجلّى جماليّة التّكرار في شعر الشّاعر في إنعكاس هموم الشّاعر وآلامه في فراق العراق.

2. نبذة عن حياة الشّاعر: «"أنور سلمان"، الشّاعر اللبناني المعاصر، وُلد عام (1938م)، في "الرّمليّة"، القريّة الرّيفيّة الخضراء، المجاورة لعروس مصايف لبنان "عاليّة"، تلك المدينة التي انتقل إليها ليكمل في جامعتها الوطنيّة دراسته، حيث في المرحلة الثانويّة، كان الأديب مارون عبود أستاذاً له

في اللغة العربيّة وآدابها. وكان يتابع باهتمام تنامي الموهبة الشّعريّة لدى الطّالب "أنور سلمان"، إلى أنّ تخرّج من تلك المدرسة نهايّة عام (1956م) حاملاً مع شهادته المدرسيّة جائزة مارون عبود للشعر والتي ربّما كانت حافزاً له عميق الأثر في مسيرته كشاعر. عمل "أنور سلمان" في التعليم، مُتنقّلاً بين مدارس عدّة كانت أولاها الجامعة الوطنيّة في "عاليّة"، إذ خرج منها تلميذاً ليعود إليها معلّماً، ويصدر في أثناء عمله فيها مجموعته الشّعريّة الأولي "إليها" (1956م)، عن دار مكتبة الحياة في بيروت. (https://www.poemhunter.com/-218/)[4].

«قصيدة "أنور سلمان" تتّسم ببساطة في الشّكل والمضامين، التي ركزّت معظمها على عذابات العشق والوطن. نال عن قصائده المغنّاة جوائز عدّة، من بينها: "جائزة أجمل أغنيّة عربيّة" في مهرجان قرطاج" (1994م)، وجائزة أجمل أغنيّة عربيّة في مهرجان القاهرة الدّولي للأغنيّة عام (1997م).» (https://www.google.com/amp/s/www.alaraby.co.uk)[5].

3.الإطار النّظري: يشمل التّكرار في شعر "أنور سلمان"، على التّكرار الإستهلالي، التّكرار الختامي، والتّكرار التّراكمي، والتّكرار الصّرفي، والتّكرار اللازمة، والتّكرار الدّائري.

ونشير فيما يلي إلى النّماذج الشّعريّة للأشكال المنوّعة من التّكرار في ديوان الشّاعر ومنها:

3-1. التّكرار الإستهلالي (تكرار البدايّة): «يستهدف التّكرار الإستهلالي في المقام الأوّل الضّغط على حالة لغويّة واحدة، توكيدها عدة مرّات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسيين: إيقاعي، ودلالي.» (عبيد، 2001م)[6] وهذا التّكرار «يكشف عن فاعليّة قادرة على منح النّص الشّعري بنيّة متسقة متلاحمة، إذ إنّ كلّ التّكرار

من هذا النّمط قادر على تجسيد الإحساس بالتّسلسل والتّتابع وإنّ هذا التّتابع يعين في إثارة التّوقع لدى القارئ وهذا التّوقع من شأنه أن يجعل القارئ أكثر تحفيزاً للإنتباه إلى الشّاعر ومشاركته إحساسه ونبضه الشّعري.» (ربابعة 1990م)[7].

من النّماذج الأخري للتّكرار الإستهلالي في شعر "أنور سلمان"، هي ما يعالج بها الشّاعر في قصيدة «**وجه لوطن آخر**».

«ما دُمتَ لي سفراً مع الأحلام/ وهماً/ وبعضَ تخيلٍ،/ وكلام/ ما دامَ وجهُكَ سيرةً مطبوعةً/ بمواقفِ التّجُارِ والحُكّام/ ما دامَ حدُّكَ في المسافةِ ضائعاً،/ وطريقُنا/ مزروعةً بالشّوكِ والألغام/ ما دُمتَ تبدأُ في الكؤوسِ وتنتهي/ وتُفيقُ في ليلِ الهوى وتنام/ فإلى صباحِكَ،/ دمعةٌ من شاعرٍ/ وعليك – يا وطني – التّحيّة والسّلام.» (سلمان،2018م)[8].

قد كرّر "أنور سلمان"، في هذه القصيدة فعل (مادام) أربع مرّات في بدايّة السّطور الشّعريّة. وإنّ الشّاعر بالإستمداد من تناسق إيقاعي متوالداً من تكرار (الميم، والدّال، والف)، يؤكّد على هذا المعني؛ بأنّ وطنه هو مكان لإستثمار المتجاوزين والمستعمرين. وقد إستعمل الشّاعر هذا الفعل بما فيه من التّأكيد على نغم الموسيقي متناسب ومضمون النّص الشّعري؛ ليكشف السّتار عن أحاسيسه الممزوجة بالحب والحزن العميق تجاه وطنه لبنان، ومن هذا المنطلق يلفت إنتباه السّامع نحو غرضه.

ومن النّماذج الأخري للتكرار الإستهلالي نشير إلى ما جاء في قصيدة «**أحبّكِ أنتِ**».

«أحبّكِ أنتِ/ فَزُهر النّجوم عليّ انهمارٌ/ وأغلى الطّيوب/ أحبّكِ/ خلّي بنات المساء يحدثن عنّا/ ويحكي الغروب/ ونبني أراجيحنا في النّجومِ/ عطوراً تغنّي/ وليلاً يذوب/ أحبّكِ/ رغم حكايا الرّفاقِ/ وظنَّ الليالي/ وبوحِ الدّروب/

ونيسانُ هذا المساء الجميلُ/ تضيقُ بورد رُباه/ الجيوب/ تدوسين أنتِ/ فهذي العشايا/ شفاهٌ تصلّي/ وثغرٌ يثوب/ بطرفكِ لما نظرتِ/ خمورٌ/ لها أيّ لونٍ؟/ لها أيّ كوب؟/ أحبّكِ/ لا تسأليني مررنا/ ببال القوافي/ بوهم القلوب// غداً نحن نمضي ونبقي سؤالاً/ شريداً بصدر الليالي طروب/ ويحلم فينا الزّمان/ ويبكي هوانا/ وتسأل عنّا الدّروب.» (سلمان، 2018م)[9].

يستخدم الشّاعر في القصيدة المذكورة فعل (أحبُكِ) أربع المرّات، في بدايّة السّطور الشّعريّة. وهذا التّكرار ينعكس صوت أحاسيس الشّاعر، أن ينبعث من أعماق نفسه. وتلك الأحاسيس تكون صدى لحبّه الحقيقي تجاه محبوبته. ومن هذا المنطلق يتّصل المعنى والمضمون الشّعري بالإيقاع الدّاخلي النّاتجة من تكرار فعل (أحبّكِ).

ويأتي الشّاعر في موضع آخر بالتّكرار الإستهلالي هكذا:

«بلادي/ يا عبيراً من خزامِ/ بلادي/ مرتعي، ودُنا هيامي/ بلادي/ يا عروس الشّعر عندي/ ويا لبنانُ/ يا دنيا السّلامِ/ على فمكَ القصائدُ/ كم ترامت/ للشّعرِ فوقك من مقامِ.» (المصدر نفسه).[10]

إنّ الشّاعر في القصيدة المذكورة يتغنّى ببلاده وإنّ تكرار اللفظ (بلادي) ثلاث مرّات في بدايّة الأسطر الشّعريّة، بجانب التّجانس الصّوتي من شأنه أن يخلق من تكرار حروف (الف، والياء، والدّال)، الذي يؤدي إلى خلق صوت جميل، وهذا صوت أحاسيس الممزوجة بالحبّ للشّاعر، أن ينعكس على هيمنة النّص الأدبي ويلائم معنى ومضمون القصيدة، ويؤثّر على أحاسيس المخاطب.

2-3. التّكرار الختامي (تكرار النّهايّة): هو تكرار يأتي به الشّاعر في آخر القصيدة أو آخر الأسطر الشّعريّة، ونشير فيما يلي إلى النّماذج من هذا التّكرار في آخر السّطور الشّعريّة في قصيدة «**كُلُّهنَّ نساء**».

«كنتُ أظنّ/ بأنَّ أخطر النّسّاء،/ أجملُهنَّ/ وبعدما عرَفتُهُنَّ/ وبعدما عشِقتُهُنَّ/ وبعدما سكنَّ في قصائدي/ على اختلافِ اللَّونِ والوُجُوهِ/ والأسماء/ أدركتُ أن أخطرَ النّساء هُنَّ/ كُلُّهُنَّ.» (سلمان، 2018م)[11].

يُلاحظ في القصيدة المذكورة تكرار الضّمير (هُنَّ) لجمع مؤنّث غائب خمس مرّات، أن يعطى لموسيقي القصيدة نغماً جميلاً وتحسّها الأذُن المرهفة وهذا التّكرار يعبّر عن المنزلة الرّفيعة للنساء عند الشّاعر، يؤكّد على كرامة المرأة أيضاً. إنّ الموسيقي المنبعثة من هذا الضّمير، قد سيطرت على مناخ القصيدة وتحمل بنفسها معنى التّأكيد الذي يدركه ذهن كلّ السّامع وتؤثّر على أحاسيسه.

نموذج آخر لهذا التّكرار في شعر الشّاعر هي قصيدة «**قرار في عُطلة الأحد**».

«وأنتم ماضون في قتلِ البلد/ وكلّكم شِعارُهُ:/ أنا أنا أو لا أحد/ مَلِلتُكُم مَلِلتُكُم/ يا سادتي الكبار/ تعبتُ من وجوهكم/ في نشرةِ الأخبارِ/ مَللتُ من جواركم/ ومن رؤى تدورُ في أفكاركم/ سئمتُ من نفاقِكُم/ ومن كلِّ ما سمعتُ في خطابكم/ وكلِّ ما قرأتُ في أوراقكم.» (المصدر نفسه)[12].

يتمتع "أنور سلمان"، من تكرار الضّمير (كم) أن يدلّ علي صيغة جمع المذكر للمخاطب، للتهَكُّم ومَلامَة كبار العرب؛ من أجل إهمالهم قضيّة إغتصاب العدو الصّهيونيّ في وطنه وفي القدس المحتلة. إنّ تكرار هذا الضّمير قد خلق إيقاعاً متناوباً، يلفت إنتباه السّامع نحو غرض الشّاعر ويؤكّد عليه بهذا التّكرار وأيضاً إيقاع ناشيء عنه.

3-3. التّكرار التّراكمي: «يتحدّد التّكرار التّراكمي في القصيدة الحديثة بواقعها الملفوظ، إلى تكرار مجموعة من المفردات سواء على مستوى الحروف أم الأفعال، أم الأسماء تكراراً غير منتظم، لا يخضع لقاعدة معينة سوى لوظيفة كلّ تكرار وأثره في صياغة مستوى دلالي وإسقاعي محدّد، ودرجة اتساقه

وتفاعله مع التّكرارات الأخرى التي تتراكم في القصيدة بخطوط تتباين في طولها وقصرها.» (عبيد،2001م)[13].

ومن النّموذج للتكرار التّراكمي نشير بما قد عالجت بها الشّاعر من تكرار ضمير المتكلّم للجماعة في القصيدة «**من قانا إلى مدريد مع التّحيات**»:

«وماذا بعد عن أخبارها النّكساتُ/ في تاريخ أمَّتنا؟/ مضَت أعوامُنا الخمسونَ شاحبةً خريفيّة/ ومُتعَبَةُ بماضينا وحاضرنا/ كَلَحنٍ ملَّ من كلماتِ أغنيّة/ مضَت أعوامنا الخمسون/ صارت دمعةُ المأساةِ/ في أحداقنا أكبر/ وصار الجُرحُ في أعماقنا أكبر/ وصِرنا إن كتبنا الشّعرَ/ نكتبُ بالدّمِ الأحمر/ وصِرنا إن رسمنا الحُلمَ/ نرسُمُهُ/ على أوراقنا الصّفراء شمساً من دمٍ أحمر/ ولم نسأم/ ولم نضجر/ وما زالت بنا الآمال مُبحرةً/ على بركات ما قالت لنا/ الكُتُبُ السّماويّة/ وما زالت قضيتُنا/ فصولاً، من كتاب نضالنّا العربيِّ/ ضائعةً ومنسيّة» (سلمان، 2018م)[14].

يلاحظ في القصيدة المذكورة، أنّ تكرار ضمير المتكلّم للجماعة قد أحتلّ مساحةً كبيرةً من مناخ القصيدة. وإنّ توالي ضمير (نا)، في هذه القصيدة، التي أنشدها الشّاعر لتصوير الظّروف الصّعبة أن يعيشها شعبه مقابل الإغتصاب الإسرائيلي؛ دلالةً على أنّ قضيّة الظّلم والجور الإسرائيلي هي القضيّة الجماعيّة، التي تشمل وطن الشّاعر برمّته. وتوالي هذا الضّمير فضلاً عن تأكيده على مضمون القصيدة، يؤدّي إلى تكثيف وإثراء نغم الموسيقي للقصيدة أن تنبعث فيها أحاسيس السّامع من الحزن والألم الشّديد، تجاه ما يعاني به الشّاعر.

ومن النموذج الآخر للتكرار التّراكمي هو ما جاء بها الشّاعر في قصيدة «**لبنان يا عرب**».

«كان لكم لبنانُ/ في يومٍ مضي/ نشيد/ كان لكم تفّاحةً، ووردةً/ وَعِيد/ كان على صدروكم عقداً/ من المرجان/ كان لهذا الشّرق تاجاً زاهياً/ من أكرم التيجان/ كان لكم منارَة/ كان كتاباً مُترَفاً أهداكُم الحضارة/ فهل طوَيتُموه في أدراجكم/ وهل نسيتم/ كلَ ما أهدى لكم لبنان؟/ ما بالُكُم؟/ لا يوقظُ التّاريخُ منكم نخوَةً/ في عتمةِ الزّمان/ لكم صلاحُ الدّين أهدى سيفَهُ/ علَّقتُموه تُحفةً تزينُ الجدران/ وخالدّ/ حصانُهُ مازال في مَعقِلِهِ/ ولم يجِد من فارسٍ/ يرخي له العنان/ ماذا فعلتُم/ أيها الشّجعان؟/ منذُ سقوطِ العرشِ في غرناطةٍ/ حتّى اغتصاب القُدسِ/ حتّى عودة التّتارِ للعراق/ حتّى ما يحلُّ اليومَ في لبنان/ ماذا فعلتُم أَفَصِحوا/ إلى متى يطولُ هذا الصّمتُ/ والهَوان؟/ حُصُونُكُم/ تزولُ من أركانها/ أوطانُكم/ تبحثُ عن أوطانها/ شعوبُكُم/ لحتفِها تُساقُ كالقُطعان/ وأنتُم كأنَّكم/ لا صوتَ لا الآذان.» (سلمان، 2018م)[15].

قد كرّر ضمير جمع المذكر للمخاطب أربع عشرة مرةً. وإنّ الشّاعر من خلال التّكرار التّراكمي لهذا الضّمير يشير بأسياد وأبطال العرب ويؤكّد على إهمالهم مقابل العدو الغاصب. وإنّ تكرار هذا الضّمير قد إحتلّ مساحةً كبيرةً في القصيدة. وقد فرضت إيقاعاً متناوباً وجميلاً على إطارها، وقد مزج هذا الإيقاع بنغم الموسيقي المتوالدّ عن تكرار الألفاظ الأخرى. كما يلاحظ أنّ للتّكرار هذا الضّمير دوراً هامّاً في إثراء إيقاعي ودلالي للقصيدة. وإلحاح الشّاعر على تكرار الضّمير (كم) فضلاً عن تأثيره على تكثيف الجانب الإيقاعي الذي يبرز معنى ومضمون النّص الأدبي في ذهن المتلقي اكثر فأكثر.

ومن نموذج الآخر:«أكتبُ إسمَكِ فوقَ النّارِ/ فوقَ الوردِ/ وفوق الغارِ/ أكتبُهُ فوقَ مرايا الشّمسِ/ وفوقَ جِباهِ الأحرارِ/ إنهض/ مَن قال يصيرُ الحُلمُ

دُخان؟!/ إنهض مِن غَيم دمِ الجُرحِ/ وصَمتِ الأحزان/ وارجع وطناً حُلواً أخضر/ وطناً لا يهزَم لا يقهَر.» (المصدر، 2018م)[16].

إنّ التّكرار التّراكمي ل (فوقَ) فضلاً عن خلق صوتٍ جميلٍ، أن يضاعف بإثراء إيقاعي القصيدة، لهذا التّكرار دور هام في التّأكيد على الجانب الدّلالي للنّص الأدبي وإنّ تكرار (فوق) خمس مرات خلال أبيات القصيدة يستحكم معنى الحبّ والحزن بالوطن في ذهن السّامع.

3-4. التّكرار الصّرفي: التّكرار الصّرفي، هو الذي «نريد به تكرار صيغة صرفيّة تكراراً متتابعاً دون أن يكون بين الصّيغ المتكرّرة رابط اشتقاقي.» (الطّالب، 2007م)[17].

من نماذج التّكرار الصّرفي في شعر الشّاعر، نشير بما قد جاء في القصيدة التّاليّة:

«سالتّكُم/أن ترحموا لبنان/ يا سادةَ القرار في محافل السّياسَة/ يا مَن على عروشهم تربَّعوا/ على كراسي الحكم في مراتبِ الرّئاسَة/ يا عربَ الأمجادِ في التّاريخِ والأسيادِ في الإيمان/ سالتكم/ بكلِّ ما أوصَت به شرائعٌ/ وما حوَت في كتبها الأديانُ/ من قداسَة/ أن تخرجوا عن صمتكُم/ أن تنهضوا من موتكم/ وتنزعوا الأكفان/ أن تقفوا/ لكي تظلَّ رايّة مرفوعةٌ/ وأن تثوروا مرَّةً/ من أجلِ أن تحيا بكم أوطان.» (سلمان، 2018م)[18].

قد جاء الشّاعر في القصيدة المذكورة بتكرار الفعل المضارع المنصوب لصيغة جمع المذكر للمخاطب (الصّيغة للمخاطبين) ستّ مرّات أي تركيب أن+ الفعل المضارع. ويعتمد الشّاعر على تكرار هذه الصّيغة في بدايّة السّطور الشّعريّة ليلفت انتباه أمجاد العرب بقضيّة احتلال واغتصاب*** العدو الغاصب للوطن العربي. وإنّ توالي هذه الصّيغة في النّص الأدبي بما فيها من شدّة التّأكيد على معنى الثورة والصّمود، قد خلق إيقاعاً متناوباً، يلفت

انتباه السّامع نحو سعي الشّاعر لإنهاض وإيقاظ ضمير المجتمع العربي مقابل ظلم وجور المتجاوزين والمستعمرين.

كلّنا للوطن: «كم دفعنا غالياً/ نحن الثَّمن/ ومَرَرنا بمآسٍ/ ليس يمحوها مرورٌ للزَّمن/ كم رفعنا رايّة فوق الجراح/ وبذلنا من دمٍ حرٍّ بِسَاح/ وغَلَونا في تحدِّينا/ ولكن ظلَّ فينا/ طائرُ الفينيقِ مكسورَ الجَناح/ فمضينا/ وتركنا خلفنا أرضاً من النّار/ وجسراً من دموعٍ/ وشجَن/ وعلى رايتنا البيضِ بقايا/ لدمٍ/ يرشَحُ من جرحِ الوطن.» (سلمان، 2018م)[19].

إنّ الشّاعر بإستخدام الفعل الماضي بصيغة المتكلّم مع الغير، يؤكّد على المأساة الجماعيّة والظّروف الصّعبة التي قد مرّت على وطنه خلال سنوات الحرب وإنّ توالي الفعل الماضي بهذه الصّيغة إضافة إلى التّأكيد على معنى ومضمون النّص، قد خلق نغم الموسيقي متناوباً على مناخ القصيدة، الذي يتناسب مع جوّ ثوري وحماسي التي سيطرت على النّص.

3-5. تكرار اللازمة: «يقوم تكرار اللازمة على انتخاب سطر شعري أو جملة شعريّة، تشكل بمستوييها الإيقاعي والدّلالي محوراً أساساً ومركزياً من محاور القصيدة. يتكرر هذا السّطر أو الجملة بين فترة وأخرى على شكل فواصل تخضع في طولها وقصرها إلى طبيعة تجربة القصيدة من جهة، وإلى درجة تأثير اللازمة في بنيّة القصيدة من جهة أخرى، وقد تتعدد وظائف هذا التّكرار حسب الحاجة إليها وحسب قدرتها على الأداء والتّأثير.» (عبيد،2001م)[20].

نشير فيما يلي لنماذج التّكرار المقطعي في ديوان الشّاعر:

من قانا إلي مدريد مع التّحيات: «وماذا بعدُ عن أخبارها النّكساتُ/ في تاريخ أمّتنا؟/ ألم نتعب؟/ حمَلنا عارَنا خمسين عاماً/ كيف لم نتعب!؟/ رفَعنا رايّة التّحريرِ لم يسطَع لنا سيفٌ/ ولم تصهل لنا خَيلٌ/ ومازِلنا/ على الصّهواتِ

فوق خيولنا نُصلب/ ولم نتعب/ فرشنا دربنا للقدسِ أحلاماً مُلوّنةً/ وأشعلنا قصائدنا لعتمتِها قناديلاً/ ولكن نحن لم نذهب/ وكم بالأمسِ/ أطلقنا شعاراتٍ/ أهازيج انتصاراتٍ/ فلم يرقُص على ايقاعها وطنُ/ ولم يطرَب/ هتفنا للسّلام لعلَّ أندلساً به تأتي/ فلم يسقُط علينا الغَيثُ/ من «مدريد»/ أو «أوسلو»/ وظلَّ سلامُنا الآتي/ رؤى لقصيدةٍ عصماء لم تُنظَم/ ولم تُكتَب/ وحتّى الآن لم نتعب/ فكيف حمَلتَ – يا وطن العروبةِ –/ نِصفَ قرنٍ من خطايانا/ ولم تغضَب؟!/ وماذا بعدُ عن أخبارها النّكساتُ/ في تاريخ أمَّتنا؟/ مضَت أعوامُنا الخمسونَ شاحبةً خريفيّة/ ومُتعَبَةُ بماضينا وحاضرنا/ كلحنٍ ملَّ من كلماتِ أغنيّة/ مَضَت أعوامنا الخمسون/ صارت دمعةُ المأساةِ/ في أحداقنا أكبر/ وصار الجُرحُ في أعماقنا أكبر/ وصِرنا إن كتبنا الشّعرَ/ نكتُبُ بالدّم الأحمر/ وصِرنا إن رسمنا الحُلمَ/ نرسُمُهُ/ على أوراقنا الصّفراء/ شمساً من دمٍ أحمر/ ولم نسأم/ ولم نضجر/ وما زالت بنا الآمال مُبحرةً/ على بركات ما قالت لنا/ الكُتُبُ السّماويّة/ وما زالت قضيتُنا/ فصولاً، من كتاب نضالنّا العربيِّ/ ضائعةً ومنسيّة/ وماذا بعدُ عن أخبارها النّكساتُ/ في تاريخ أمَّتنا؟/ سوى ما أتقَنَت ترديدَه الكلماتُ/ والنّغماتُ/ من شِعرٍ ومِن نَثرِ/ أضعنا حقِّنا العربي؟/ إنَّ الحقَّ لا يعطى لنا/ بمشيئةِ الدّقدار والسّحر/ وسِلمٌ فيه روح العدل لا يأتي/ على أيدٍ تُخضِّبُها دماء جرائم العصر.» (سلمان، 2018م)[21].

يرتكز الشّاعر في هذه القصيدة على تكرار اللازمة للسطر الشّعري (وماذا بعدُ عن أخبارها النّكسات، في تاريخِ أمّتنا؟) ثلاث مرّات؛ دون حذف أو زيادة منه؛ ليبرز التّأكيد على همومه وأفكاره. وهذا التّكرار يلفت إنتباه السّامع على ما قد مرّ علي الوطن العربي من الظّلم والجور خلال الاحتلال الإسرائيلي، وإنّ الشّاعر بالسؤالِ الذي جاء به لهذا التّكرار، يكشف السّتار عن المشهد الجنائزي الذي قد عاش فيه وطنه خلال الاغتصاب الصّهيونيّ. ولهذا التّكرار

فضلاً على التّأكيد على مضمون النّص الأدبي، له دور هامّ في تكثيف إيقاع القصيدة يعني بعد إمتزاج نغم موسيقاه بالإيقاع المهيمن على القصيدة، الذي قد خلق من تركيب نغم ناشيء عن الألفاظ الأخرى بعضها ببعضٍ. يشكّل جوّاً إيقاعيّاً ملموساً، يتأثّر به السّامع.

من نموذج الآخر لهذا النّوع من التّكرار في شعر الشّاعر هي القصيدة **«بطاقة حبّ من باريس»:**

«وصلَت رسالتكِ التي حمَّلتِها/ أحلى خَبَر/ وصَلَت/ مُغمَّسةٌ هوى... دفئاً...عبير/ أنفسُها ورقُ البنفسَجِ ذائباً/ وحروفها مِن غيرِ أجنحةٍ تطير/ وصلَت رسالتكِ التي حمَّلتِها/ أحلى خَبَر/ وعلى يدي حطَّت كأغنيّة مسائيّة/ في موعدٍ/ رقصَت له عندي فراشاتٌ، وغنَّت/ في المَدَى/ عصفورةٌ زرقاءُ باللُّغةِ الفرنسيّة/ لم أدرِ/ كيف أنا حصلتُ علي جوازٍ للسَفَر/ وبلحظةٍ عاصَرتُ روّادَ القَمَر.» (سلمان، 2018م)[22].

يتغنّى الشّاعر في هذه القصيدة بأجمل الكلمات والعبارات عن الحبّ الرّومانسي تجاه حبيبته. ويكرّر «أنور سلمان»، جملة (وصلَت رسالتكِ التي حمَّلتها/ أحلى خبر) المرّتين. ولهذا التّكرار إضافة إلى دوره هام في إثراء الجانب الدّلالي للقصيدة، بالكشف عن حالات نفسيّة الشّاعر، الذي خلق هذا التّكرار نغم الموسيقي متناوباً بعد امتزاجه بنغم الكلمات الأخرى في القصيدة الذي تحسّه الأذُن المرهفة.

3-6. التّكرار الدّائري: «ينهض التّكرار الدّائري على تكرار جملة شعريّة واحدة أو أكثر في المقدّمة والخاتمة، ربّما لا يجيء التّكرار في جمل الخاتمة مطابقاً تماماً لجمل مقدمة القصيدة، إنّما يتطابق في جزء كبير منه مع الحفاظ على روح التّكرار ومناخه، مع احتمال حصول نتيجة تبرر تطور إنجاز فعل القصيدة على الصّعيد الدّلالي.» (عبيد،2001م)[23].

من نماذج للتكرار الدّائري في شعر الشّاعر، نشير إليها فيما يلي:

بانتظار قطار لا يأتي: «لا أنتِ تفهمين/ ولا أنا تُثيرُني مدامعُ حزينة/ ونحن في محطّة الكلامِ/ من سنين/ ولم يصل قطارُنا/ ولم نَعُد/ وأقفلَت أبوابها المدينة/ صديقتي/ لا تبحثي عن مرفأٍ ترسو به الدّموع/ أصعب ما في الحبّ أن يكون/ نوعاً من الجنون/ ليلاً من الأشواق والرّكوع/ وموعداً لا تنتهي دروبه/ ورحلةٌ لا تعرفُ الرّجوع/ فحاذري/ أن تُفصحي لشاعر/ من حبِّكِ الكبير/ فالحبُّ في كلّ كلامِ الشّعرِ/ يا صديقتي/ قصرٌ على الغَمام/ قصائد في ضوئها تسافر الأحلام/ رسائل محروقةٌ بعطرها المثير/ مَن قال/ إنَّ الحَرفَ لا يضيء لا يثير؟/ مَن قال ليس رائعاً/ – في الحبِّ –/ إن نمارس الكتابة/ بالضّوء والعبير؟/ مَن قال إنَّ شاعراً/ – في الأرض –/ لا تسكنُهُ الغرابَة/ إن حاول التّعبير؟/ وحدهما عيناكِ/ – يا صديقتي –/ تحترفان لغةَ الكآبة/ والرّسم بالدّموع لا الأقلام/ فحاولي، لو مرَّةً، أن تخرُجي/ من هذه الرّتابه/ وهذه الأوهام/ صديقتي/ أصعبُ ما في الحبّ دون يصير/ عيناً لها جَفنٌ منَ الرّخام/ وخافقاً/ بالرّغم من جراحه، يطير/ ودمعةً/ صلاتُها جمرٌ علي مخدَّةِ السّرير/ لا أنتِ تفهمين/ ولا أنا تُثيرني مدامعٌ حزينَة/ ونحن في محطَّةِ الكلام من سنين/ ولَم يصل قطارُنا/ وأقفلَت أبوابها المدينة.» (سلمان، 2018م)[24].

يلاحظ في القصيدة المذكورة، إنّ الشّاعر قد جاء بمقدّمة القصيدة في النّهايّة، بأكملها. دون التّغيير في ظاهرها الإيقاعيّ أو الدّلاليّ. إنّ "أنور سلمان" في هذه القصيدة، يكشف السّتار عن حبّه الأسطوري لحبيبته. وذلك الحبّ، الذي ليس له نهايّة وهو نوعٌ من الجنون عند الشّاعر. وقد قام "أنور سلمان"، بتكرار عدد من الجمل الشّعريّة في المقدّمة وخاتمة القصيدة؛ لشدّة التّأكيد على حبّه العميق والأسطوري لمعشوقته. وهذا النّوع من التّكرار يضاعف التفات السّامع، إلى هواجس نفسيّة الشّاعر. وكما أنّ هذا التّكرار يزيد

بقيم إيقاعيّة القصيدة أيضاً. وإنّ تكرار الأصوات المتجانسة في مقدمة وخاتمة النّص، لها مكانةً هامةً في خلق التّناوب الإيقاعي.

ومن النّماذج الأخرى للتّكرار الدّائري في شعر "أنور سلمان"، هو قصيدة **«شعرَها»**:

«لي رأيكَ الأغلى/ سأفكّ هذي العقدة الكسلى/ شعري سأرخيه/ مُلقى على كتفي سأبقيهِ/ حتى إذا شاهدتني فيه/ أخبرتني أنّي به أحلى/ شعري غداً في شكله الأجمل/ مُرخي علي فستانيَ الأرزق/ أبدو به أغوى من الدّنيا/ أصبي من الزّنبق/ أزهو به/ أهوى به أعشق/ أمشي به شلاّل أطيابِ/ أفديهِ، أمسحُهُ بأهدابي/ أدنيه من وجهي أناجيهِ/ أطويه أغمره أداريهِ/ شعري أنا/ شعري بما فيهُ/ شعري غداً في شكلهِ الثائر/ هلاَّ تُغنّيه/ ماذا ستِهديهِ؟/ أتجيئُهُ بالعطر بالصّوَرِ/ بشقائقٍ من أبعدِ الجزُرِ/ بشرائطٍ من كُوَّةِ القمرِ/ قل لي/ أسوفَ تحبّني فيه؟/ أفديكَ يا أسمر/ لي رأيكَ الأغلى/ شعري سأرخيهِ/ حتى إذا شاهدتني فيهِ/ أحببتني/ أحببتني/ أكثر.» (سلمان، 2018م)[25].

إشتهر "أنور سلمان"، بشاعر المرأة والوطن. وإنّ أشعاره في هذين الحقلين يكون التعبير الحقيقي عن أحاسيس نفسيّة الشّاعر. يصوّر "أنور سلمان"، في هذه القصيدة، فنّه الشّعريّ خلال وصف شَعر حبيبته، ويقدّم الشّاعر في شعره هذا أفضل الكلمات الجميلة، في وصف شعر الحبيبة الغاليّة، وهي الكلمات الصادرة من صميم قلب الشّاعر. إنّ التّكرار الدّائري الذي قد قام به الشّاعر في القصيدة المذكورة، لم يحفظ شكله وتركيبه في مقدّمة وخاتمة القصيدة بصورةٍ متكاملةٍ؛ وبرغم حذف والزّيادة اللذين قد ورد في هذا التّكرار في الخاتمة وأيضاً مع ذلك إنّه لم يجيء مطابقاً تماماً بما قد جاء في المقدمة، لكن قد حفظ فيه روح التّكرار وكثير من جانب الدّلالي والإيقاعي.

4. **الخاتمة:** بعد البحث عن التّكرار في شعر "أنور سلمان"، يلاحظ أنّ الشّاعر اعتمد الأشكال المنوّعة للتّكرار ليبرز أغراضه وأفكاره أكثر فأكثر حول الأحداث الدّاميّة التي قد مرّت على وطنه بعد الإغتصاب الإسرائيلي أو أحاسيسه الصّادقة حول الحب. ويُقسم التّكرار في شعر "أنور سلمان" على التّكرار الإستهلالي، والتّكرار الختامي، والتّكرار التّراكمي، والتّكرار اللازمة والتّكرار الصّرفي، والتّكرار الدّائري. ولكلّ منها لها علاقة وثيقة بالجانب الدلالي والإيقاعي قصائد الدّيوان. وإنّ الشّاعر بإستخدام أنماط منوّعة من التّكرار يؤكد على مضمون النّصوص الأدبيّة وإنّ أسلوب التّكرار في شعر الشّاعر هو من الوسائل الأساسيّة في تقويّة بنيّة إيقاعيّة أشعار الدّيوان. ومن هذا المنطلق أتى بالتّكرار التّراكمي والتّكرار الإستهلالي أكثر بالنّسبة إلى الأنواع الأخرى للتكرار ولهما دور وظائفي هام في تصوير خلجات نفسيّة الشّاعر.

5. قائمة المراجع:

الكتب:

-سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة، الطّبعة الثانيّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر بيروت؛ لبنان. (20018م).

-طالب، هائل محمد، قراءة النّص الشّعري، اللغة وتشكيلاً، دمشق، دارينابيع (2007م).

-عبيد، محمد صابر، القصيدة العربيّة الحديثة بين البنيّة الدّلاليّة والبنيّة الإيقاعيّة، مكتبة الأسد، (2001م).

-وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ط2، بيروت مكتبة لبنان (1984م).

المقالات:

-حني، عبد اللطيف، نسيج التّكرار بين الجماليّة والوظيفة في شعر الشّهداء الجزائريين؛ ديوان الشّهيد الرّبيع بوشامة نموذجاً، مجلّة علوم اللغة العربيّة وآدابها، مارس العدد 14 (2012م).

-ربابعة، موسي، التّكرار في الشّعر الجاهلي، دراسة أسلوبيّة، مجلّة مؤتة الأردن، مجلّد 5 العدد الثّانيّة، (1990م).

المواقع الكترونيّة:

https://www.google.com/amp/s/www.alaraby.co.uk/%25D8%25A3%25D8%25A3%25D9" أنورسلمان" رحيل شاعر الأغنيات 21 أبريل 2016

أنور سلمان https://www.poemhunter.com/-218

6. الهوامش:

[1]-حني، عبد اللطيف، (2012)، نسييج التّكرار بين جماليّة والوظيفة في شعر الشّهداء الجزائريين؛ ديوان الشّهيد الرّبيع بوشامة نموذجاً، مجلة علوم اللغة العربيّة وآدابها، مارس العدد 4، ص 7–19.

[2]. وهبة، مجدي، (1984)، معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب، ط2، بيروت مكتبة لبنان، ص 117–118.

[3].عاشور، فهد ناصر، (2004)، التّكرار في شعر محمود درويش، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ص11.

[4]- https://www.poemhunter.com/-218.

[5]- https://www.google.com/amp/s/www.alaraby.co.uk.

[6].عبيد، محمد صابر، (2001)، القصيدة العربيّة الحديثة بين البنيّة الدّلاليّة والبنيّة الإيقاعيّة مكتبة الأسد، ص 196.

[7].ربابعة، موسى، (1990)، التّكرار في شعر الجاهلي، دراسة أسلوبيّة، مجلّة مؤتة، الأردن مجلد 5، العدد الثانيّة، ص 175.

[8]. سلمان،أنور، (2008)، الأعمال الشّعريّة الكاملة، الطّبعة الثانيّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، ص 75.

[9]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص 389–390.

[10]. المصدر نفسه، ص 393.

[11]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص127.

[12]. المصدر نفسه، ص 348.

[13].عبيد، محمد صابر، القصيدة العربيّة الحديثة بين البنيّة الدّلاليّة والبنيّة الإيقاعيّة، ص 129.

[14]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص 235–237.

[15]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص 339–341.

[16]. المصدر نفسه، ص 225.

[17].طالب، هائل محمد، (2007)، قراءة النّص الشّعري، اللغة وتشكيلاً، دمشق، دارينابيع ص 91.

[18]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص338–339.

[19]. المصدر نفسه، ص 334.

[20]. عبيد، محمد صابر، القصيدة العربيّة الحذيثة بين البنيّة الدّلاليّة والبنيّة الإيقاعيّة، ص 114.

[21]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، صص 234–237.

[22]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص 132.

[23]. عبيد، محمد صابر، القصيدة العربيّة الحديثة بين البنيّة الدّلاليّة والبنيّة الإيقاعيّة، ص209.

[24]. سلمان، أنور، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص 184.

[25]. المصدر نفسه، ص 387–388

سيميَائيّة المنَام الكبِير للوَهْرانيّ

Semiotics of the big dream of Al-Wahrani

أ. ضيف الله الصّافي♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-009

تاريخ الاستلام: 25-06-2024 تاريخ القبــول: 09-07-2024

ملخّص: إنّ محمد بن محرز الوهراني من الأدباء الجزائريّين المبدعين في القرن السّادس الهجري، واشتهر بنص المنام الكبير الذي عالج موضوعات متعدّدة بأسلوب فريد، ولهذا أردنا دراسته سيميائيا حتى نستخرج دلالاته، وحتى نتعرف على هذا الأديب.

ولعلّ من أهم النّتائج التي يمكن أن نخرج بها أنّ المنام الكبير مرآة عاكسة لعصر الوهراني، وهو مزيج بين الرّسالة والقصّة لأنّ بدايته وخاتمته توحي بذلك، كما أنّه يسرد قصّة خياليّة، ومزيجًا بين المقامة والمسرحيّة في التّصنع وتعدّد المشاهد والحوار، كما تتنوّع فيه الأساليب من جدل واحتجاج وتناص...الخ، إلاّ أنّ الوهراني أبدع عندما جمع بين هذا الكم الزّاخر، وأصبح له طابع خاص وطريقة متميّزة.

كلمات مفتاحيّة: منام؛ الوهراني؛ سيميائيّة؛ سرديّة؛ دلالة.

♥جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، البريد الإلكتروني: difallah.safi@univ-msila.dz، (المؤلّف المرسل).

Abstract: El-Wahrani was one of Algerian writers of the sixth century AH. He is famous for "The Big Dream", in which he dealt with several topics in a unique style. Thus we wanted to study it Semiotically in order to extract its significance Perhaps one of the most important outcomes that we can come out with is that its text is a mirror for its time, which is a mix between the message and the story, and between Maqama and the play. Al-Wahrani was definitely creative when he managed to combine these abundant aspects. He had a distinct way.

Keywords: Dream; Al-Wahrani; Semiotics; Narrative; Significance.

1. مقدّمة: تعدّ كتابات محمد بن محرز الوهراني من أهم الإبداعات في الأدب الجزائري، والتي زادت الأدب العربي ثراء وتنوعا، وخاصّة نصّه المميز "المنام" الذي يعتبر رسالة قصصيّة عالجت موضوعات متنوّعة أدبيّة ودينيّة وتاريخيّة واجتماعيّة وفكريّة..، ولهذا أردنا دراستها سيميائيا حتى نستخرج دلالاتها، وحتى نزيح اللثام عن هذا الأديب.

والسّيميائيات السّرديّة قد حقّقت قفزة نوعيّة في دراسة الأشكال السّرديّة بخاصّة والتّجليات اللسانيّة بعامّة، ولقد اختلف الدّارسون في طرق التّحليل السّيميائي للنّصوص، وانطلاقا من فرضياتهم سنحاول دراسة نصّ المنام الكبير في مستواه السّطحي والعميق، عبر مختلف المكوّنات السّرديّة والخطابيّة والدّلاليّة والمنطقيّة، من أجل تبيان العلاقات التي تربط بين عناصر النّص وتنتج المعنى.

وفيما يخصّ الخطوات التي اعتمدنا عليها في مقالنّا فقد بدأنا بسيميائيّة العنوان، ثم حللنا النّص وفق بنيتين، الأولى البنيّة السّطحيّة (Structure de surface) وتنقسم بدورها إلى قسمين: الأوّل هو المكون السّردي (Composante narrative)، وتناولنا فيه البنيّة العامليّة (Structure

actancielle) والبرنامج السّردي (le programme narrative)، والثّاني هو المكون الخطابي (Composante rhétorique) وتناولنا فيه سيميائيّة اللّغة والشّخصيات والفضاء والزّمن، أمّا البنيّة الثّانيّة فهي البنيّة العميقة (Structure profonde) ودرسنا فيها المستوى الدّلالي (Niveau sémantique)، بحيث قسمنا النّص إلى حقول دلاليّة، ثم المستوى المنطقي Niveau logique) وهو أكثر تجريدا ووزعنا فيه الوحدات السّميائيّة الدّالة والثّنائيات المتشاكلة والمتباينة على المربّعات السّيميائيّة (Carrés sémiotique)، لننهي بحثنا بخاتمة احتوت على النّتائج التي خرجنا بها، وقبل أن نبدأ ارتأينا أن نعطي لمحة قصيرة عن حياة هذا الأديب، ويبدو أن أقدّم مصدر ترجم للوهراني هو كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان، يقول صاحبه: ((أبو عبد الله محمد بن محرز بن محمد الوهراني الملقب ركن الدّين، وقيل جمال الدّين، أحد الفضلاء الظّرفاء، قدم من بلاده إلى الدّيار المصريّة في أيّام السّلطان صلاح الدّين(564–589هـ)، رحمه الله تعالى، وفنّه الذي يمتّ به صناعة الإنشاء، فلما دخل البلاد ورأى بها القاضي الفاضل(529–596هـ) وعماد الدّين الأصبهاني (519–597هـ) الكاتب وتلك الحلبة، علم من نفسه أنّه ليس من طبقتهم ولا تنفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل، وعمل المنامات والرّسائل المشهورة به والمنسوبة إليه، وهي كثيرة الوجود بأيدي النّاس، وفيها دلالة على خفة روحه ورقة حاشيته وكمال ظرفه ولو لم يكن له فيها إلا المنام الكبير لكفاه، فإنّه أتى فيه بكل حلاوة، ولولا طوله لذكرته، ثم إن الوهراني المذكور تنقل في البلاد وأقام بدمشق زمانا، وتولى الخطابة بداريا، وهي قريّة على باب دمشق في الغوطة، وتوفي في سنة خمسة وسبعين وخمسمائة بداريا، رحمه الله تعالى، ودفن على باب تربة الشّيخ أبي سليماني الدّاراني. نقلت من خط القاضي الفاضل: وردت الأخبار من دمشق في سابع عشر رجب بوفاة الوهراني[1](ابن خلكان، 1994). ومن خلال هذا

التّعريف يظهر أنّ الوهراني شخصيّة متعددة المواهب، فهو أديب وفقيه، كما لاحظنا أنّ ابن خلكان رد سبب كتابات الوهراني الهزليّة إلى عدم مقدرته على مجاراة بعض الأدباء في عصره أمثال القاضي الفاضل، ولكن قد لا يكون هذا هو السّبب الوحيد لذلك، فيمكن أنّ الوهراني أراد أن يتميز عن غيره فلجأ إلى ذلك النّوع من الكتابة، ثم بعد ذلك يعترف له بخفة روحه، ويثني على المنام الكبير.

إذاً ومن خلال هذا الموضوع، كيف وقع التّعامل مع فكرة العالم الآخر فنيا وأدبيا؟ وهل المنهج السّيميائي قادر على استخراج مكنونات نصوص الوهراني؟

2. سيميائيّة العنوان:

– **المنام الكبير:** سمي بالكبير تمييزا له عن المنامات الصّغيرة الموجودة في ثنايا رسائل الوهراني، أمّا المنام فيعني في لسان العرب: ((تناوم: أرى من نفسه أنّه نائم وليس به، وقد يكون النّوم يعني به المنام))[2] (ابن منظور، 1981). ونلاحظ في هذا التّعريف أنّ مفهومي المنام والنّوم يحملان نفس المعنى فالوهراني زعم أنّه شاهد حلما في نومه أو في منامه.

وهناك من يرى أنّه توجد علاقة قويّة بين الأحلام والإبداع الأدبي، يقول عبد العزيز شرف: ((يربط الكثيرون من علماء الجمال، الفن بالحلم فيقولون: إنّ كل مهمّة الفن إنّما هي العمل على خلق عالم خيالي تكون وظيفته الأولى أن يجيء مخالفا بوجه من الوجوه لهذا العالم الواقعي الذي نحيا فيه))[3](شرف 1992)، كما يرى جريدي المنصوري أن: ((للحلم وجود ذهني ووجود سردي مروي، إنّه نص حافل بالخيال والاحتمال والانفعال وهو يمتلك ثراء في لغته وإشاراته وما يتكئ عليه من معرفة أو ما يتصل به من ممارسات وطقوس))[4] (المنصور، 2002).

ونستنتج من ذلك أنّ الوهراني لم ير ذلك المنام بشكل حقيقي وإنّما تخيله أو بعبارة أخرى فهو تناوم، ولقد عبر فيه بطريقة غير صريحة–أحيانا–عن بعض آرائه وعن عالمه المثالي، ربّما حتى لا يحاسب على ما يقوله.

3. بنيّة التّجلي: وسنتناول فيها مختصرا عن أهم الأحداث الظّاهرة والمتجليّة في المنام، ففي بداية النّص يظهر أنّه رد على كتاب جاء إلى الوهراني من صديقه الحافظ العليمي، فيحاول الوهراني في كتابه إرضاء صديقه العاتب عليه.

عمد الوهراني إلى استخدام الحيلة لاستدراج المخاطب القريب الحاضر الذي هو صديقه العليمي، والمخاطب الغائب الذي هو القارئ الضّمني، إلى عالم المنام عن طريق افتعال النّوم أو التّناوم، ثم ليرخي العنان بعد ذلك لسرده العجيب الذي تجري وقائعه في العالم الآخر، وفي لحظة حاسمة عند الحشر والنّفخ في الصّور، حيث إرادة الله تحكم وتتحكّم.

ويستدعي الوهراني إلى منامه هذا مجموعة من الشّخصيات يقحمها في سياقات ومواقف تفيض بالنّقد اللاذع والسّخريّة التي قد تصل إلى حد التّطاول والوقوع في المحظور الشّرعي كما قد يستنتج من القراءة السّطحيّة الأولى.

ويجمع المنام إلى جانب شخصيات عصره الحقيقيّة المعروفة المثبتة في كتب التّراجم والأعلام والوفيات، شخصيّات مغمورة لا نقف لها على أثر في الكتب، قد تكون خياليّة أو ربّما يكون الوهراني قد التّقى بها في حياته التي بدأها في المغرب وأنْهَاها في المشرق.

ومن هذا المزيج في الشّخصيات بين المعرف والنّكرة، وبين تداعيات التّاريخ والأحداث التي عاصرها والتّجارب الشّخصيّة التي عاناها، وبين الواقع والخيال والممكن والمستحيل، والأنا والآخر، والشّعر والنّثر، والحياة والموت، والبعث والنّشور، تنبعث كل تناقضات الحكي في سرد الوهراني.

نجد في منام الوهراني بعض الإشارات المهمّة المتعلقة ببعض تفاصيل سيرته، في الأولى إقرار صريح بمغربيته، وفي الثّانيّة إفادة بأنّه رجل فقيه ومن حفظة القرآن ومن أهل العلم، وفي الثّالثة إشارة تاريخيّة بأنّه كان بدمشق أو نواحيها في حدود سنة 553هـ، أمّا الإشارة الرّابعة فتصنفه ضمن كتاب الأدب السّاخر.

ومن القضايا التي عالجها الوهراني في هذا المنام: قضايا أدبيّة مثل انتقاده لمذهب النّحويين في تفسير بعض القضايا النّحويّة كترخيم النّداء، واعتراضه على أسلوب الكتاب في عصره الذين جنح أكثرهم إلى التّنميق والتّزويق الفارغ من المحتوى الممتع أو المفيد، كما عالج قضايا دينيّة مثل رأيه في الصّوفيّة ومذهب أئمة الحنابلة والأشعريّة في التّشبيه والتّنزيه، كما تطرّق إلى بعض الأمور مثل فساد القضاء، القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة، المحسوبيّة، الفوارق الطّبقيّة، الأمراض الاجتماعيّة والأخلاقيّة، أدب مخاطبة السّادة والأعيان، كما تعرض لبعض القضايا السّياسيّة كذكره الخلاف الواقع بين الهاشميين والأمويين، وقضايا فلسفيّة كذكره لمسألة البرهان على أطوال الكوكب وعروضها.

كل ذلك كان الوهراني يعرضه من وراء المنام كقناع في وجه النّقد، فمن يستطيع أن يحاكمه على ما يقوله من كلام على لسان شخوصه أو ما يفتعله من أحداث، أوليس المنام إلاّ مجرد تهيآت وتخيلات؟

4. البنيّة السّطحيّة:

1.4. المكون السّردي: في النّص الكثير من الأحداث والأفعال تتخللها الكثير من الحالات والتّحولات، وحتى نحللها يجب دراسة البنيّة العامليّة وكذا البرنامج السّردي، واستعنا بتعريف غريماس لهذين المفهومين، بحيث ينظر إلى النّموذج العاملي وفق ثلاثة أزواج: ((–المرسل/المرسل إليه: أو محور

التّواصل: ودور العامل المرسل هو إقناع العامل الذّات بالبحث عن موضوع القيمة، أمّا المرسل إليه فهو المستفيد من الموضوع.– الذّات/الموضوع: يشكل هذا الزّوج قطب الرّحى في النّموذج العاملي، إذ يشكلان محور الرّغبة، أي أنّ الذّات ترغب في الحصول على موضوع القيمة، ويكون هذا بعد إقناع الذّات من قبل المرسل، أمّا الموضوع فهو المرغوب فيه من قبل الذّات.– المساعد/المعاكس أو المعارض: يشكلان محور الصّراع، فالمساعد يساعد العامل الذّات في البحث عن موضوع القيمة، أمّا المعاكس فيعيق الذّات في الحصول على موضوع القيمة. إنّ النّموذج العاملي بوصفه نسقا، بنيّة ساكنة ولا يتم تحريكها إلاّ من خلال العبور من النّسق إلى الإجراء عبر برنامج سردي من أربع مراحل:– التّحفيز أو الإيعاز: حيث يتم إقناع العامل الذّات من قبل المرسل بالبحث عن موضوع القيمة، ويقوم العامل الذّات بتأويل هذا العمل الإقناعي.– القدرة أو الكفاءة: إنّ الإقناع والاقتناع ليسا كافيين لتحقيق الرّغبة بل لابد من تحقق القدرة، أي الشّروط الضّروريّة لتحقيق الإنجاز، وتتلخص في إرادة الفعل، والقدرة على الفعل ووجوب الفعل ومعرفة الفعل.– الإنجاز: وهو كل عمليّة تحقق تحولا لحالة، وهذه العمليّة تقتضي عاملا هو الفاعل الإجرائي إنّنا ننتقل ممّا هو محين إلى ما هو محقّق، والتّحقيق يتطلب برنامجا أساسا هدفه الحصول على موضوع القيمة، غير أنّ تحقيق الرّغبة خاضع للبنيّة الجدليّة التي تحكم النّموذج العاملي، إذ نجد برنامجا مضادا يقوم به فاعل إجرائي مضاد.– الجزاء: إنّه الحكم على الإنجاز، فالمرسل هو الذي يحكم على نجاح البرنامج السّردي أو فشله، باعتباره فاعلا تأويليا))[5] (العابد، 2009).

نبدأ بأوّل مشهد حيث يلبي العامل الذّات(الوهراني) دعاء المنادي إلى أن بلغ إلى العامل الموضوع (أرض المحشر)، وفي أثناء ذلك يلتقي بشخصيّة عبد الواحد بن بدر ويمكن اعتباره عاملا مساعدا لأنّه أخبر الوهراني بمعلومات

يمكن أن تفيده تمثّلت في إبلاغه عن الجواري اللاتي يطلبنه وصاحبه العليمي الذي يبحث عنه.

والتّقى بعدها بصاحبه ليجري بينهما شجار وحوار، وتتحوّل الأحداث فجأة عندما قبض عليهما مالك خازن جهنّم محاولا سحبهما إلى النّار، ثم جرى بينهم حوار عدّد فيه خازن جهنم الأعمال القبيحة التي قاما بهما في الدّنيا، ليتركهما في الأخير بعد أن ترجيا منه ذلك لأنّ مآلهما إليه.

وبعد ذلك يلتقيان بأبي المجد بن أبي الحكم ويحكي لهما قصته مع الرّقعة التي يحملها والتي تتضمن قصّة أخرى أيضًا، ويظهر كعامل ذات يتجه إلى العامل الموضوع "المؤيد بن العميد"، (هذا الأخير الذي لعب دور المرسل قبل ذلك)، يريد أن يرجع له رقعته بعد أن كان يحملها إلى رضوان خازن الجنّة (العامل الموضوع الأوّل)، يحمله في ذلك رغبة في التّخلص من تلك الرّقعة وذلك بتدبير من العامل المساعد أبو الحسن بن منير الذي يحكي له قصّة حول الرّقاع المزخرفة.

ثم تتغيّر الأحداث مرّة أخرى بحادث مفاجئ تمثّل في الضّجة التي افتعلها النّاس في المحشر بسبب فرحهم وطمعهم في رحمة الله، لأنّه غفر لاثنين من أَرَقِّ النّاس دينا كما وصفهم الحاضرون، هما الفقيه المجير والمهذب النّقاش هذا الأخير خصّصت له عدة صفحات لأنّ له قصّة مع الوهراني، تبدأ أحداثها عندما لعب أبو المجد دور المرسل وذكر الوهراني بالدّين الذي له على ابن النّقاش، فيتجه العامل الذّات (الوهراني) إلى العامل الموضوع (ابن النّقاش) والذي يعتبر أيضًا بمثابة المرسَل إليه، فيحاول الاتصال به يدفعه في ذلك رغبته في استرجاع دَينه، وعندما يصل إليه يجده مع ملك الموت وجمع من الحاضرين في انتظاره، وتجري بينه وبين بعض الشّخصيات محاورة هي في الحقيقة ذم ونقد لابن النّقاش، ثم يحاول الوهراني أن يأخذ منه ما يعوض به

دَينه فيعترضه ملك الموت(عامل معارض) للصلة القويّة التي تربط هذا الأخير بابن النّقاش من جهة الطّب، لأنّ ابن النّقاش كان يقتل كل مريض يأتيه في الحال، وبذلك يعتبر مساعدا لملك الموت في انجاز مهمته.

إذن بهذه الأحداث(الانجاز) التي قام بها الوهراني، بدافع استرجاع دينه وبسبب دفع أبي المجد له (الإيعاز)، وما يحمله من أحقيّة وتوفّر الشّهود(الكفاءة)، وما ناله من مكافأة من ملك الموت بأنّه سيعيش عشر سنوات بعد ابن النّقاش(الجزاء)، يتحقّق البرنامج السّردي في هذه القطعة، وبذلك يحدث تحول في الأحداث.

ثم يقرّر الوهراني وصاحبيه العليمي وابن بدر بعد أن اشتدّ بهم العطش التّوجه إلى الحوض للورود منه فيكونون بذلك العامل الذّات وهم في حالة انفصال عن العامل الموضوع (الحوض)، ويحاولون الاتصال به، يدفعهم العامل المساعد (عطشهم) وكذا بعض الشّخصيات مثل تاج الدّين الشّيرازي والقاضي الكندي، ويعيقهم ويؤخّرهم العامل المعارض والمتمثل في شخصيّة أبي القاسم الأعور البغدادي والذي يلعب دور المساعد بعدها أيضًا ولكنّه سرعان ما يرجع إلى دوره الأوّل.

ولقد تحقّق البرنامج السّردي في هذه القطعة بحيث يتمثّل عنصر الإيعاز في الدّوافع التي جعلتهم يتوجهون إلى الحوض، ويتمثّل عنصر الانجاز في الأحداث والأعمال التي قاموا بها من أجل الوصول إلى الحوض والتي سنفصلها لاحقا، أمّا الكفاءة التي يحملونها هي: العلم والقرآن وموالاة آل البيت تارة والأمويين تارة أخرى، وفي الأخير يحصلون على مبتغاهم (الورود من الحوض) وهو ما يسمّى بعنصر الجزاء.

تبدأ الأحداث عندما شعر الوهراني مع صاحبيه بالعطش، فاتجهوا إلى الحوض وهم يحاولون أن يتوسلوا عنده بالعلم والقرآن، لعلّهم يشربون منه شربة لا يظمأون بعدها أبدا، حتى إذا كانوا قريبين منه وجدوا عنده أبا القاسم الأعور

وحوله جماعة من الأشراف وهم ينتفون شعر رأسه، فخافوا، ورآهم تاج الدّين الشّيرازي فحاول مساعدتهم للوصول إلى أمير المؤمنين حتى يسمح لهم بالورود من الحوض فتقدّموا إلى أمير المؤمنين وحوله جماعة من الأشراف يتحاورون حول شخصيّة معن بن حسن وأعماله الخبيثة، فالتفت إليهم أمير المؤمنين (المرسل) ليختبر صدقهم ثم يسمح لهم بالورود، إلاّ أنّ العامل المعارض (أبا القاسم الأعور) اتهمهم بالانحراف عن آل البيت، فغير أمير المؤمنين رأيه وطلب منهم إثبات العكس، فينصرفون من عنده ويغيرون الوجهة إلى العامل الموضوع الثّاني وهو الشّاهد الذي سيشهد معهم ضد ما اتهموا به والمتمثل في شخصيّة "الشّريف أبو العباس النّقيب"، ولكن في أثناء ذلك تحدث لهم أشياء تعطلهم عن بحثهم تمثلت في موكب الرّسول صلّى الله عليه وسلّم القادم من المقام المحمود – ويمكن أن نعتبرها قصّة لوحدها تضمنها المنام– والنّاس من حولهم يضجون بالبكاء ويستغيثون بالرّسول صلّى الله عليه وسلّم، حتى توقف الموكب عند شاطئ المشرعة العظمى، وهنا أصبح الرّسول(ص) هو العامل الموضوع الثّالث، بالنّسبة لجمع النّاس وأيضًا الوهراني وصاحبيه الذين يحاولون الاتصال به، وأوّل من جاء إلى الرّسول هم الصّوفيّة، فلم يلتفت إليهم وأقبل عليه نجم الدّين وأسد الدّين بعد أن جرى بينهما حوار عدّدا فيه أعمالهما الصّالحة، ثم صلاح الدّين، وبعد ذلك رجع الموكب إلى المقام المحمود.

وبعد هذا الحدث تسترجع قصّة الحوض، وتبدأ بإيجاد الشّخص المبحوث عنه "الشّريف أبو العباس النّقيب"، وهو يحاور جماعة من علماء اليونان في قضايا فلسفيّة وفلكيّة، ولكنّه يعتذر للوهراني وصاحبيه فينصرفون وهم في حيرة.

وبينما هم كذلك يلتقون بالأعور البغدادي (العامل المعارض) الذي كان سببًا في إبعادهم من الحوض، ولكنّه في هذه المرة يحاول أن يلعب دور المساعد فيدلهم على من يعينهم للورود من الحوض، ويتجهون إليه فيجدون جمعا

عظيما من بني عبد شمس، ويتقدّمهم أبو القاسم الأعور ويخاطب سيد تلك الجماعة وهو معاويّة، ثم يطلب منه يزيد بن معاويّة إحضار شاهد يشهد له بالولاء لبني أميّة، فيقول أبو القاسم له: القاضي صدر الدّين عبد الملك وسرعان ما يحضر القاضي (عامل مساعد) فيذم أبا القاسم ويشهد للوهراني وصاحبيه.

ثم يلعب يزيد دور المرسل فيبعث بجيش إلى المشرعة ويطلب منهم أن يقاتلوهم ويوردوا الوهراني وصاحبيه، وهنا ظهر أبو القاسم الأعور ولعب دور المعارض من جديد، وقال لهم أنّه سيحرض عليهم قبائل العراق.

وأخيرًا نال الوهراني مع صاحبيه مبتغاهم وشربوا من ماء الحوض(الجزاء) فاتصلوا بالعامل الموضوع بعد أن كانوا في انفصال عنه، وتغير حالهم من الأسوأ إلى الأحسن، وبينما هم كذلك إذ وقع حدث مفاجئ غيّر مجرى الأحداث، وبه يختم الوهراني منامه، وهو هجوم علي رضي الله عنه بجيشه على جمع الأمويين، فاستيقظ الوهراني من منامه.

2.4. المكون الخطابي:

1.2.4. سيميائيّة اللّغة: كتب الوهراني المنام بلغة فصحى، تتخلّلها بعض الكلمات العاميّة، كما وظف بعض المفردات المنقولة عن لغات أخرى، ممّا قد ينقص نوعا ما من القيمة الأدبيّة لنصوصه، ويحدث للقارئ اضطرابا، خاصّة إذا لم يفهمها بسبب الفاصل الزّماني والمكاني واختلاف اللهجات، إلاّ أنّها تدل على تلقائيته وعدم تكلفه.

وممّا يلاحظ في الأسلوب: كثرة الحجاج، ويتمثّل في توظيف أدوات التّوكيد والاستشهاد بالقرآن والأمثال والشّعر، وذلك من أجل الإقناع. واستخدام أسلوب الشّرط ممّا يدل على تغير الأحداث. والاستفهام الذي يدل على كثرة الحوار. والقسم الذي يدل على الجانب الدّيني وتأكيد الكلام. واستعمال السّجع والجناس

الذي يدل على التّنميق والتّصنع. أمّا الحوار فتميز بتنوعه بين الخارجي والدّاخلي، والقصير والطّويل. كما غلب على المنام السّرد بضمير المتكلّم.

2.2.4. سيميائيّة الشّخصيات:

أ-سيميائيّة الأسماء: ما يهمّنا هنا ليس دلالة أسماء الشّخصيّات الحقيقيّة والواقعيّة في المنام، وإنّما أسماء الشّخصيات غير المعروفة التي تحيل إلى دلالات أخرى، مثل اللقب الذي أعطاه لمجموعة من الشّخصيات على سبيل التّهكم وهو: "الأشراف"، وهو مشتق من شرف: الشّرف: الحَسَبُ بالآباء، شَرُفَ يَشْرَفُ شَرَفاً وشُرْفَةً وشَرْفَةً وشَرَافَةً، فهو شريف والجمع أشراف[6] (ابن منظور 1981)، ويبدو من أسماء هذه الشّخصيات أنّها غير حقيقيّة، وربّما استعملها المؤلف للسخريّة فقط، وهي كالتّالي:

– قيفيفات ضامن القيان بدمشق: لم نجد لهذا الاسم تعريفا في المعاجم وكل ما أمكننا معرفته هو وظيفة هذه الشّخصيّة كما هو مبين.

– بطرس المسقف الهرات: من خلال الاسم يظهر أنّه مسيحي، ويطلق عليه صفات هي: المُسَقَّف: وتعني الطّويل[7] (مصطفى، 2004). أمّا الهرات فقد تكون بمعنى هَرَتَ الشّيء هَرْتًا: شقّه ليوسعه. أو هَرِتَ: الرّجل وغيره: اتسع شدقه[8] (مصطفى، 2004).

–العصيدة رسول القاضي: العصيدة دقيق بُلّت بالسّمن ويطبخ[9] (مصطفى 2004). وقد تدل على صفة الارتخاء.

–زقازق الكادوم بائع لحم: لم نجد مفردة زقازق في المعاجم كما هي، وكل ما وجدناه كلمات قد تكون مشتقة منها، وهي: زقزق الطّائر زقزقة وزقزاقا صوّت. وزقّ الطّائر فرخه زقًّا أطعمه بفمه، والذّبيحة سلخها من قبل رأسها إلى رجلها[10] (مصطفى، 2004). أمّا الكادوم فقد تكون مشتقة من كدم فلان كدما:

أحدث فيه أثرا بعضٍّ ونحوه[11] (مصطفى، 2004). ونلاحظ أنّ بينهما معنًى مشتركا يدل على وظيفة هذه الشّخصيّة.

– الدّويدة الرّواس: لم نعرف بالضّبط ما المقصود من اسم الدّويدة، أمّا كلمة الرّواس فلعلها تكون مشتقّة من راس رَوْساً: تبختر. وراس السّيل الغثاء: جمعه وحمله. والرّوْسُ: العيب، وكثرة الأكل[12] (ابن منظور، 1981).

ب– سيميائيّة البناء الدّاخلي والخارجي للشّخصيّات: لقد صور الوهراني شخصياته بمختلف أبعادها، وظروفها ومكانتها والأعمال التي كانت تشغلها ممّا يدل على دقة ملاحظته، فجسدها بحركاتها وأحاسيسها مثل وصفه لمالك خازن جهنّم[13]: ((...قد خرج من النّار مبحلق العينين في يده اليمنى مصطيجة وفي يده الأخرى السّلسلة المذكورة في القرآن...)) (الوهراني، 2007)، فهنا تدل على حالة الغضب التي كان فيها خازن جهنم، كما نجده يصف نفسه بقوله: ((وأعدوا ملء فروجي، وأصيح بجميع حلقي...))[14] (الوهراني، 2007) وتعبر عن حالتي السّرعة والانفعال اللذين كان فيهما الوهراني.

3.2.4. سيميائيّة الفضاء:

أ–الفضاء الجغرافي: لقد جرت أحداث المنام أثناء الحشر، فمن الطّبيعي أنّ تتواتر وتتكرر بعض الأماكن التي لها علاقة بزمن الأحداث من أهمّها: "أرض المحشر، الصّراط، السّماء، الجنّة، النّار، الحوض،...الخ"، هذا وقد ذكرت أماكن لها علاقة بالحياة الدّنيا وذلك في سياق تذكر أحداث سابقة مثل: "العراق، خوارزم، دار الفوارة، جيرون..."، أمّا قبل الدّخول في أحداث المنام فذكرت أماكن ولكن ليس لها علاقة بالمسار الحكائي للمنام وذلك مثل: "حصن اللبوة، دمشق، عين سردة، السّاجور، سلوان..الخ. فنلاحظ أنّ الأماكن متنوّعة وذلك لكثافة الأحداث، وهي إمّا في العالم الدّنيوي بالمشرق العربي وإمّا في الحياة الأخرويّة، كما ذكرنا.

ب- الفضاء النّصي: يعرفه حميد لحمداني فيقول: ((وهو فضاء مكاني لأنّه لا يُشَكَّل إلاّ عبر مساحة الكتاب وأبعاده فهو مكان تتحرك فيه عين القارئ))[15] (لحمداني، 1991)، وعندما نطبق هذا التّعريف على نص المنام نجده قد احتل حجما كبيرا نوعًا ما، مقارنة ببقيّة فصول الكتاب الذي يجمع مقامات ورسائل مختلفة للوهراني، فهو يستفتح النّص بالبسملة ثم عبارة تشبه العنوان: "وكتب كتابا وفيه المنام"، أمّا فيما يخصّ التّهميشات والفراغات التي تحيط بالمتن فلم ندرسها لأنّ المخطوط الأصلي غير متوفر لنا، وكل ما هو بحوزتنا النّص المطبوع، الذي سيتغير طبعا من ناحيّة الشّكل والحجم.

ج-الفضاء الدّلالي: يرى حميد لحمداني أنّه: ((يشير إلى الصّورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بُعد يرتبط بالدّلالة المجازيّة بشكل عام))[16] (لحمداني، 1991)، إذن فهذا المفهوم خاص بما يتخيله المتلقي من خلال لغة السّرد، ذلك أنّ تشخيص المكان في القصّة هو الذي يجعل أحداثها بالنّسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع بمعنى يوهم بواقعيتها، إنّه يقوم بالدّور الذي يقوم به الدّيكور في المسرح[17] (لحمداني، 1991).

وظف الوهراني الكثير من الأماكن التي توحي بالقداسة والعظمة والهيبة والرّهبة، وذلك لطبيعة الموقف والموضوع، ومحاولة منه لإضفاء المصداقيّة على القصّة مع أنّها منام نسجه من خياله، كما وظف المكان في كثير من الصّور البيانيّة حتى يشخّص بعض الحالات مثل: "الصّراط يرقص"، وهي تدل على عظمة ذلك الموقف، مع أنّه صورها بطريقة هزليّة.

4.2.4. سيميائيّة الزّمن: إنّ العلاقات التي تكون بين المتن القصصي وزمن القراءة والكتابة والحكاية والخطاب هي التي تكوّن الزّمن الحكائي، كما أنّ الزّمن أنواع، ينقلها محمد عزام فيقول[18]: ((أوّل مشكل يصادف الباحث تعدد الأزمنة التي تتداخل في النّص الواحد واختلاف العلاقات الدّالة عليها، يرى

تودوروف ثلاثة أصناف من الأزمنة هي: زمن القصّة: وهم الزّمن الخاص بالعالم التّخييلي، وزمن الكتابة أو السّرد: وهو مرتبط بعمليّة التّلفظ، وزمن القراءة: أي الزّمن الضّروري لقراءة النّص)) (عزام، 2003).

أ-الإشارات الزّمنيّة: من أهم الأزمنة المذكورة قبل الدّخول في تفاصيل المنام مثل: "ثلاث سنين، طول ليلته، هزيع من الليل...الخ "، أمّا المذكورة أثناء المنام فمثل: "سنة ثلاثة وخمسين وخمسمائة من الهجرة، الأسحار الاثنين المغرب، أربعون سنة، الشّهر...الخ ".

ب-زمن الكتابة أو السّرد: لا يوجد تاريخ محدّد ومضبوط يمكن من خلاله أن نستشف الفترة التي كتب فيها المنام، إلاّ بعض الأزمنة المذكورة أثناء السّرد مثل ذكر تاريخ "ثلاثة وخمسين وخمسمائة من الهجرة"، وهذا النّوع من الزّمن لا يخضع لتتابع منطقي.

ج-زمن القصّة: وهو الزّمن الذي جرت فيه الأحداث ومدته، وهو الذي تخيله الكاتب قبل أن يكتبه، بحيث نجد أحداث قصّة المنام جرت في زمن تخيلي مستقبلي هو زمن الحساب، لم يحدد فيه الكاتب كم دامت أحداث المنام باستثناء بعض الأزمنة الجزئيّة التي حدثت أثناء القصّة مثل: "مرت لنا معه ساعة..."، وهذا النّوع من الزّمن يخضع للتتابع المنطقي.

د-زمن القراءة: ويتعلّق بحجم النّص وفترة قراءته، ولا يوجد زمن محدّد يمكن أن يقرأ فيه المتلقي صفحات هذه القصّة، فحجم النّص يفوق الأربعين صفحة، وإذا تصفّح القارئ المتن لوحده، فسيختلف ذلك حتما عن تصفّح المتن مع التّهميشات، كما أنّ سرعة القراءة أو بطئها يرتبط بمستوى القارئ وميوله وظروفه، إضافة إلى عامل الرّغبة والميول.

هـ-الزّمن الذّاتي أو النّفسي: إنّ المدة الزّمنيّة من حيث هي كينونة موضوعيّة لا تساوي إلاّ نفسها، ولكن الذّات هي التي حولت العادي إلى غير العادي والقصير إلى طويل[19] (مرتاض، 1998)، مثلا قول الوهراني: ((مرّت

لنا معه ساعة تشيب الولدان))[20] (الوهراني، 2007)، فهنا أحسّ الوهراني بطول الوقت، لأنّه رأى وصاحبه في تلك السّاعة ما لا يحبان، إذن فالوقت المؤلم أو الحزين أو وقت الانتظار يظهر بأنّه طويل وبطيء، بعكس زمن السّعادة فهو زمن يمر بسرعة.

و-الزّمن الغائب: يرى مصطفى عطيّة جمعة أنّه: ((يتصل بحالات النّاس في نومهم وغيبوبتهم وقبل تكوّن الوعي بالزّمن، والصّبي الذي لا يفرق بين مدلولات ألفاظ الزّمن كالأمس واليوم، على نحو ما يرصد علماء التّربيّة))[21] (جمعة، 2006)، ونجد هذا النّوع من الزّمن في كل القصّة لأنّ أحداثها وقعت أثناء النّوم أي في حالة اللاوعي.

ز-الزّمن المنقطع أو المتشظي: يعطي مصطفى عطيّة جمعة أمثلة حول هذا الزّمن فيقول: ((مثل أعمار النّاس وفترات الدّول الحاكمة وفترات الحروب والفتن والاضطرابات، ومثل هذا الزّمن قد لا يكرر نفسه إلاّ نادرا جدا، وهو زمان طولي لكنّه متصف بالإضافة إلى ذلك بالانقطاعيّة لا بالتّعاقبيّة))[22] (جمعة، 2006)، أي هو عبارة عن فترات زمنيّة قد تكون طويلة أو قصيرة ولكنّها تتميز بعدم الاستمراريّة، مثلما نجد في المنام من ذكر لفترة الاضطرابات أثناء حكم الفاطميين في مصر.

ز-علاقة زمن الكتابة بالمتن القصصي: يرى عبد الملك مرتاض بأنّه يرتبط بعمليّة التّلفظ بالحكاية من السّارد أو إفراغ النّص السّردي على القرطاس[23] (مرتاض، 1998)، أي متى قال الكاتب حكايته أو متى كتبها ويرى حسن بحراوي أنّه يرتبط أيضًا بما يسمّى زمن الكاتب: ((وهو المرحلة الثّقافيّة والأنظمة التّمثيليّة التي ينتمي إليها المؤلّف))[24] (بحراوي، 1990)، ففي زمن كتابة هذا العمل كانت هناك مجموعة من العوامل الذّاتيّة والعامّة التي دفعت السّارد إلى كتابة هذا الكتاب.

فلقد كُتِب النّص في فترة القرن السّادس الهجري، أمّا سبب الكتابة فما نفهمه من النّص أنّ الوهراني بعث لصاحبه العليمي رسالة، وبعد مرور ثلاث سنوات رد عليه صاحبه برسالة يعاتبه فيها على مخاطبته بدون كنيّة ولا ألقاب، فأراد الوهراني أن يعتذر لصاحبه ويرد اللوم عن نفسه فأجابه بنص المنام.

ح-علاقة زمن القراءة بالمتن القصصي: يرى حسن بحراوي أنّ زمن القراءة يرتبط بما يسمّى زمن القارئ: ((وهو المسؤول عن التّفسيرات التي تقدم للعمل من قبل المتلقين))[25] (بحراوي، 1990)، كما يرتبط بالزّمن والبيئة اللذين عايشهما المؤلّف، وقد كان السّارد متوجها إلى المتلقي القريب منه في عصره الذي هو العليمي، ثم يأتي المتلقي الافتراضي الذي هو جمهور القراء، فزمن القراءة يجب أن يتأخّر على زمن الكتابة، وتميز زمن الكاتب ببعض المظاهر الدّينيّة والسّياسيّة والأدبيّة...الخ، والتي حاول الوهراني أن يصوّرها في منامه وقد ذكرناها سابقًا.

ط-علاقة زمن الحكاية بالمتن القصصي: نلاحظ تقارب زمن الحكاية مع زمن متن القصّة، لأنّ الأحداث تلاءمت مع حجم الصّفحات، إلاّ في نهاية القصّة فنجد اختصارا شديدا في سرد الأحداث، بحيث يكون زمن الحكاية أطول من زمن متن السّرد، وذلك عند إيراد أحداث انتقال جيش يزيد بن معاويّة إلى المشرعة، وكذا حادثة شرب الوهراني وصاحبيه من الحوض.

ي-العلاقة بين زمني القصّة والخطاب: ويتجلّي في عناصر هي:

- **النّظام الزّمني:** ويظهر في تتابع أفعال القصّة والنّسق الزّمني الذي اتبعه المؤلّف في السّرد، فكثير من أحداث القصّة مسترجع فتعود بالزّمن إلى الماضي وذلك لطبيعة الموقف، فشخصيات المنام كانت في فترة حساب أخروي، ممّا يستدعي الرّجوع إلى الأعمال التي قاموا بها في الحياة الدّنيا مثل: ((كان يفسق بأولاد المسلمين))[26]، في صدد الحديث عن الأعمال القبيحة التي كان العليمي يقوم بها في الدّنيا، ومثل: ((والعشرة دنانير التي لك عند ابن

النّقاش))، عندما ذكر أبو المجد بن أبي الحكم، الوهراني بالدّين الذي له على ابن النّقاش، ثم التّكلّم عن هذا الأخير ((ووجدوا له ثمانين صلاة))، ومثل كلام تاج الدّين الشّيرازي عن نفسه فقال: ((كنت أسر الأشعريّة))، ومثل مخاطبة العليمي للوهراني: ((ما كفاك أنّك خاطبتني بنون الجمع))، وحكايته عن كمال الدّين الشّهرزوري: ((لمّا سافرت معه إلى العراق))، ((وقد قدم لابن عصرون مقدّمات رديّة))، كما نجد الاسترجاع الزّمني في استشهاد الوهراني بهذا الشّطر: ((وقد باعت الأسباط قبلي يوسف)).

بالإضافة إلى ذلك نجد الاستباق الزّمني، فالقصّة في حد ذاتها استباق لأحداث تخيل المؤلّف أنّها ستقع ومن أمثلته: ((فنحن صائرون إليك بعد قليل))، وذلك في مخاطبة الوهراني وصاحبه، خازن النّار، ومثل: ((ما أظنّه من شرها بناج))، في الكلام عن مصير كمال الدّين الشّهرزوري، ومثل: ((قبل أن تلطم على باب الجنّة عشرة آلاف زربول))، في توقع أبو الحسن بن منير مصير أبي المجد بن أبي الحكم في حالة ما إذا أخذ الرّقعة التي يحملها إلى رضوان خازن الجنّة.

-**الدّيمومة:** وتتمثّل في المدّة التي استغرقتها أحداث القصّة، ونلاحظ أنّها غير محدّدة في المنام، كما أنّها تتمثل في معدلات سرعة السّرد، ويرى عبد العالي بوطيب أنّه: ((مفهوم يرتبط بالأساس بإيقاع السّرد حيث يستشعر القارئ بأنّ الأسلوب يشتمل البطء والسّرعة في عرضه للأحداث))[27](بوطيب 1993) وذلك من خلال بعض التّقنيات الحكائيّة كما يرى حميد لحمداني الذي ينقل اقتراح جيرار جينيت فيقول: ((إذا كانت دراسة مدّة الاستغراق الزّمني (La durée) وقياسها غير ممكنة في جميع الحالات، فإنّ ملاحظة الإيقاع الزّمني ممكنة دائما بالنّظر إلى اختلاف مقاطع الحكي وتباينها، فهذا الاختلاف يخلّف لدى القارئ دائما انطباعا تقريبيا عن السّرعة الزّمنيّة أو التّباطؤ الزّمني، لهذا

يقترح جيرار جينيت (Gérard Genette) أن يُدْرَس الإيقاع الزّمني من خلال التّقنيات الحكائيّة التّاليّة: الخلاصة، الاستراحة، القطع، المشهد))[28] (لحمداني 1991).

وسنحاول تطبيق هذه التّقنيات على النّصوص المدروسة، ونبدأ بالقطع والمتمثّل في تجاوز أو حذف بعض الكلام أو الأحداث من القصّة كقول الوهراني: ((قد باعت الأسباط قبلي يوسف وهم هم...))، فيوجد كلام محذوف وتقديره أنّ الأسباط (وهم إخوة يوسف الإثني عشر) رغم مقامهم ومكانتهم ومع أنّ يوسف أخوهم فقد رموه في الجب، ومثل: ((وأنا أعرفك من أبغض النّاس فيه وهو كذلك...))، وتقدير الكلام: هو أيضًا من أبغض النّاس فيك، ونقاط الحذف في قول خازن جهنّم: ((كنت...أولاد المسلمين))، وتقدير الكلام كنت تفسق بأولاد المسلمين.

ومن التّقنيات الحكائيّة أيضًا الخلاصة أو التّلخيص، وذلك من خلال اختصار بعض الأحداث مثل: ((فسق به حتى التّحى)) فهنا اختصار في فترة عيش هذه الشّخصيّة، من زمن الطّفولة حتى زمن الشّباب، وذلك لأنّ إيرادها غير مهم في مسار أحداث القصّة.

وتوجد تقنيّة أخرى هي الاستراحة، بحيث يستريح المؤلّف من السّرد ويبدأ في الوصف، والوهراني يصف بطريقة هزليّة ساخرة تدل على دقة تصويره وقبل الدّخول في سرد أحداث المنام يبدأ الوهراني بمقدّمة فيها الكثير من الوصف مثل: ((ولا مكابدة قذارة المساكن والمسالك ببغداد، ولا ظلمة الدّخان والخان في طرفي النّهار، ولا وغم غبارها وأبارها في الأصايل، ولا عيون المها وسوالف الآرام في درب دينار...))، أمّا عند الشّروع في سرد المنام فلا نجد هذه المقاطع الوصفيّة الطّويلة، وكل ما نجده بعض الصّور البيانيّة كالاستعارة في قوله: "الميزان يرتعد"، "الصّراط يرقص"، والتّشبيه في قوله: "مثل المحموم" "كأن الشّمس تطلع من جباههم"، والكنايات مثل: "يقلب عليك الأرض"، وأيضًا كثرة

النّعوت مثل: "الملك المهيب، الجواد الكريم، الليث الهصور"، والإضافات مثل: "شمس الحفاظ، نسيم الرّوض، في طرفي النّهار"، والأحوال مثل: "يهرعون نحوها مستبشرين، وهو نادم خجلان"، وآخر تقنيّة هي المشهد من خلال عنصر الحوار، وهو كثير إلاّ أنّه لم يخل بالعمليّة السّرديّة، ممّا يجعلها تشبه المسرحيّة المقسمة إلى فصول أو مشاهد، وكل الحوار جاء خارجيا بين الشّخصيات وما جاء داخليا فيكاد يكون معدوما مثل قول الوهراني: ((وقلت في نفسي هذا هو اليوم العبوس))، وجاء الحوار معبّرا عن ملامح الشّخصيات ومكانتها مثل حوار العليمي مع خازن جهنم فقال له: ((يا سيدي يا مال اسمع مني...))، فهو يدل على حالة الخوف التي أصابت العليمي كما يدل لفظ سيدي على مكانة خازن جهنّم.

-**التّواتر:** هو عدد مناسبات الحدث في الحكاية وعدد المرات التي يشار إليه فيها المحكي[29] (جينيت، 1989)، فالنّص قد يحكي أكثر من مرة ما حدث مرة، وقد يحكي أكثر من مرة ما حدث أكثر من مرة، وقد يحكي مرة ما حدث أكثر من مرة، ونلاحظ أنّ النّص هنا حكى مرة واحدة ما حدث مرة واحدة فقط.

5. البنيّة العميقة:

1.5. المستوى الدّلالي: ونأخذ فيه تمفصلات المنام، من وحدات سيميائيّة دالة وأبرزها:

أ-**الحقل الدّيني:** وتمثل في توظيف ألفاظ مثل: "صلاة، أوراد، تهجد المساجد، الحج، الجهاد، يوم الدّين، الجنة، الآخرة، يوم القيامة، الملائكة الإسلام، القرآن، الجحيم، صيام...وأيضًا الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النّبوي الشّريف".

ب–الحقل الأدبي: وتمثل في توظيف ألفاظ مثل: "كتاب، خط، لفظ، شعر المعجم، الحروف، صحائف، مقامة، ورقة، الرّقعة، الكتابة، قصائد رسائل... إلخ"، وأيضًا الاستشهاد بالأشعار والأمثال والأدباء.

ج–الحقل الأخلاقي: ويمكن تقسيمه إلى:

–**الأخلاق الحسنة:** مثل: "المودة، تحنين، الملاطفة، المحبّة، نزاهة النّفوس مروءتك، طيبة...إلخ."

–**الأخلاق القبيحة:** مثل: "القوادين، أبغض، اللياطة، يفسق، ديوث، تذمني تهجوني، غضبًا، المساحقات، سكره من خمر، نفاق، نصبًا، انحرافًا، بغوا أبخل، الرّقاعة، الحماقة، اللصوصيّة، التّكسب... الخ".

د–الحقل الطّبيعي: مثل: "أراك، الواديين، جبل، الجداول، المروج، بساتين الجنان، ريح، السّماء، أشجار، أنهار، شجر، ماء، شاطئ...الخ".

2.5. المستوى المنطقي: والمتمثّل في المربع السّيميائي الذي سنلخص فيه أهم الوحدات السّيميائيّة الدّالة في النّص، ولتشعب مواضيع النّص استنتجنا عدّة وحدات متشاكلة ومتباينة فيما بينها، يمكن أن نستشف منها أهم الأبعاد التي يرمي إليها النّص، ولقد لخصناها فيما يلي:

أ–الشّكل1: المربّع الأوّل:

المربع الأوّل:

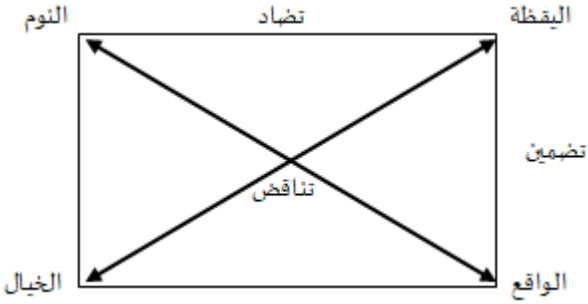

ومن خلاله نستنتج أنّه يوجد ثلاث علاقات: الأولى علاقة تضمن بين اليقظة والواقع، ويدل عليه من النّص أنّ الوهراني قبل سرد أحداث المنام كان مستيقظا ويقرأ رسالة صاحبه في العالم الواقعي. كما يوجد تضمن بين النّوم والخيال فالوهراني عندما شاهد منامه تخيل أحداثا كان قد توقعها وهو في اليقظة. والثّانيّة علاقة تضاد بين اليقظة والنّوم وبين الواقع والخيال لأنّ كل ثنائيّة متعاكسة. والثّالثة علاقة تناقض بين اليقظة والخيال لأنّه يستبعد أن يكون الشّخص مستيقظا وهو في الخيال، وبين النّوم والواقع لأنّه يستبعد أن يكون النّائم يعيش في العالم الواقعي لأنّه غائب عنه في دوامة من الأحلام.

ب–الشّكل2: المربّع الثّاني:

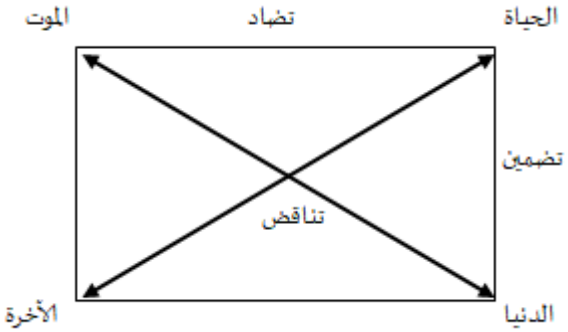

ونستنتج منه أنّ الحياة تتضمّن العيش في الدّنيا بغض النّظر عن الحياة الأخرويّة، كما أنّ الموت يستدعي الآخرة لأنّه فاصل بين هذه الأخيرة والدّنيا.

وأيضًا توجد علاقة تضاد بين الحياة والموت وبين الدّنيا والآخرة باعتبار أنّ كل منهما عكس الآخر. وثالث علاقة هي التّناقض بين الحياة والآخرة وبين الدّنيا والموت، لأنّ الحياة في حد ذاتها إمّا دنيويّة أو أخرويّة ويفصل بينهما الموت الذي هو عكس الحياة.

ج-الشّكل3: المربّع الثّالث:

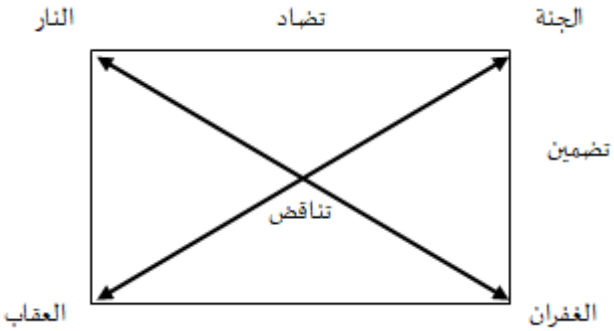

ومن خلاله نعرف أنّ الجنّة تتضمّن الغفران، لأنّ الله يعطي الجنّة للمغفور لهم كما فعل مع الفقيه المجير والمهذّب النّقاش، كما أنّ النّار تتضمّن العقاب لأنّ الله سيعاقب المجرمين بالنّار. كما نعرف أنّ الجنّة هي عكس النّار والغفران هو عكس العقاب. ونتيجة أخرى هي التّناقض بين الجنّة والعقاب وبين الغفران والنّار لأنّ المغفور لهم في الجنّة والمعاقبين في النّار.

د-الشّكل 4: المربّع الرّابع:

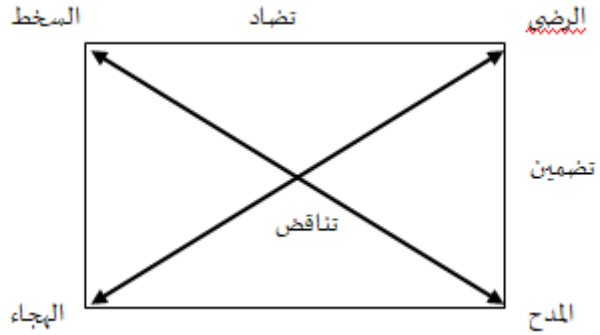

بحيث نجد أنّ الرّضى يتضمّن المدح والسّخط يتضمّن الهجاء، فكل عنصر يستدعي الأخر، والوهراني عبر عن سخطه اتجاه الكثير من معاصريه فقام بنقدهم وهجائهم، كما عبر عن رضاه عن بعض الشّخصيّات فمدحها وأجزل لها الثّناء، وتوجد علاقة تضاد بين الرّضى والسّخط وكذا المدح والهجاء. وآخر

علاقة هي التّناقض بين الرّضى والهجاء، وبين السّخط والمدح، فيستحيل أن تمدح شخصًا وأنت عنه ساخط كما يستحيل أن تهجو شخصًا وأنت عنه راض.

6.خاتمة: إنّ منام الوهراني ثري ويحمل الكثير من المتعة والدّلالة، ومن خلال بحثنا المتواضع خرجنا بمجموعة من النّتائج أهمّها:

– لقد مزج الوهراني في منامه بين أسلوب الرّسائل في الشّكل والاهتمام بالألقاب على سبيل السّخريّة والتّهكم، وأسلوب الخطابة في الجدل والاحتجاج بالآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة والأشعار والأمثال، وأسلوب المقامة في التّصنع، وأسلوب كتاب الرّحلة التي كانت دائما توحي للوهراني بمشاعر الغربة والوحشة، وأسلوب المسرحيّة في تعدّد المشاهد والحوار، كما أنّ المنام هو تفاعل حواري بين مقام ترسلي وإنشاء سردي يتحول فيه صاحب الوهراني "العليمي" من قارئ معلوم ومتلقٍّ إلى مقروء سردي وأحد شخصيات المنام؛

–في منام الوهراني خرق لنظام التّتابع المنطقي للأحداث، اعتمد فيها الوهراني على الارتداد الزّمني؛

–الوهراني لم ينطلق من فراغ في عمله، فنجد له الكثير من الاقتباسات من القرآن الكريم والحديث الشّريف، والاستشهادات من الأشعار والأمثال، والتّناص مع رسالتي الغفران للمعري والتّوابع والزّوابع لابن شهيد، كما أنّه تأثر بالجاحظ في أسلوبه السّاخر، إلاّ أنّه أبدع عندما جمع بين هذا الكم الزّاخر، وأصبح له طابع خاصّ وطريقة متميّزة؛

–إنّ المنهج السّيميائي قادر على استخراج مكنونات نصوص الوهراني وهذا لا يعني أنّ المناهج الأخرى قاصرة، بل كل منهج يركز على جانب ما وما يميّز السّيميائيّة أنّها لا تكتفي بالظّاهر وإنّما تهتم بالتّأويل والدّلالة؛

–تعامل الوهراني مع فكرة العالم الآخر فنيا وأدبيا، لأنّه لم يركز على الجانب الدّيني، وإنّما على السّرد والتّرسل، كما أنّه نوع في الأساليب من خبري

وإنشائي ومن مجاز وحقيقة، إضافة إلى الأساليب البلاغيّة الأخرى الخاصّة بالشّكل كالسّجع والجناس، كما طغت عليه الذّاتيّة ولغة العواطف.

فنقترح على الدّارسين أن ينفضوا الغبار عن نصوص الوهرانيّ، فهي متعدّدة بين منامات ورسائل ومقامات، لأنّها ثريّة بمواضيعها غنيّة بدلالاتها، كما أنّها تربط الماضي بالحاضر والأصالة بالمعاصرة، وأن تكون تلك الدّراسات منوّعة تشمل الشّكل والمضمون وتدرس الظّاهرة في إطارها الأفقي والعمودي، لأنّ كل هذه الجوانب تتصل ببعضها بطريقة أو بأخرى، فالأدبي له علاقة باللّغويّ والمنهج النّفسي له علاقة بالاجتماعيّ، والاجتماعيّ له علاقة بالتّاريخي... وهكذا.

7.قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ط4، (مصر: مكتبة الشّروق الدّوليّة، 2004).
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، دط، (بيروت: دار صادر، 1994).
- ابن منظور، لسان العرب، دط، (القاهرة: دار صادر، 1981).
- جريدي المنصور، الأحلام والتّفكير الرّمزي، علامات في النّقد، ج44، يونيو 2002 الصّفحات 658-659.
- جيرار جينيت، نظريّة السّرد من جهة النّظر إلى التّبئير، دط، (المغرب: دار الخطاب والنّشر، 1989).
- حسن بحراوي، بنيّة الشّكل الرّوائي، ط1، (بيروت: منشورات المركز الثّقافي العربي 1990).
- حميد لحمداني، بنيّة النّص السّردي، ط1، (بيروت: المركز الثّقافي العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1991).
- ركن الدّين محمد الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، (الجزائر: المطبعة الشّعبيّة للجيش، 2007).
- عبد العالي بوطيب، إشكاليّة الزّمن في النّص السّردي، مجلة فصول، مج 12، ع2 صيف 1993، صفحة 129-145.
- عبد العزيز شرف، أدبيات الأدب الفكاهي، ط1، (مصر: الشّركة المصريّة العالميّة للنشر لونجمان، 1992).
- عبد الملك مرتاض، في نظريّة الرّواية، ط2، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1998).
- عبد المجيد العابد، النّقل الدّيداتيكي للمفاهيم السّيميائيّة، مجلة علوم التّربيّة، ع39، يناير 2009، الصّفحات 120-128.
- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النّقديّة الحديثة، دط، (دمشق: اتحاد كتاب العرب، 2003).
- مصطفى عطيّة جمعة، أشكال السّرد، ط1، (القاهرة: مركز الحضارة العربيّة للإعلام والنّشر، 2006).

8. هوامش:

[1]- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، دط، (بيروت: دار صادر، 1994)، ص 385-386.

2- ابن منظور، لسان العرب، دط، (القاهرة: دار صادر، 1981)، ص4585.

3-عبد العزيز شرف، أدبيات الأدب الفكاهي، ط1، (مصر: الشّركة المصريّة العالميّة للنشر لونجمان، 1992)، ص6.

4- جريدي المنصور، الأحلام والتّفكير الرّمزي، علامات في النّقد، ج44، يونيو 2002 الصّفحات 658-659.

5- عبد المجيد العابد، النّقل الدّيداتيكي للمفاهيم السّيميائيّة، مجلة علوم التّربيّة، ع39، يناير 2009، الصّفحات 120-128.

[6]- ابن منظور، المرجع السّابق، ص 2241.

[7]- إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، ط4، (مصر: مكتبة الشّروق الدّوليّة، 2004)، ص436.

[8]- المرجع نفسه، ص980.

[9]- المرجع نفسه، ص 604.

[10]- المرجع نفسه، ص 396.

[11]- المرجع نفسه، ص 796.

[12]- ابن منظور، المرجع السّابق، ص 1775.

[13]- ركن الدّين محمد الوهراني، منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، (الجزائر: الطّباعة الشّعبيّة للجيش، 2007)، ص26.

[14]- المصدر نفسه، ص40.

[15]- حميد لحمداني، بنيّة النّص السّردي، ط1، (بيروت: المركز الثّقافي العربي للطباعة والنّشر والتّوزيع، 1991)، ص56.

[16]- المرجع السّابق، ص62.

[17]- المرجع نفسه، ص64.

[18]- محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النّقديّة الحديثة، دط، (دمشق: اتحاد كتاب العرب، 2003)، ص199.

[19]- ينظر: عبد المالك مرتاض، في نظريّة الرّواية، ط2، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1998) ص203-205.

[20]- الوهراني، المصدر السّابق، ص31.

[21]– مصطفى عطيّة جمعة، أشكال السّرد، ط1، (القاهرة: مركز الحضارة العربيّة للإعلام والنّشر 2006)، ص385.

[22]- المرجع نفسه، 384.

[23]- مرتاض، المرجع السّابق، ص 209.

[24]– حسن بحراوي، بنيّة الشّكل الرّوائي، ط1، (بيروت: منشورات المركز الثّقافي العربي 1990) ص114.

[25]- المرجع نفسه، ص114.

[26]- حتى لا نثقل المقال بكثرة التّهميشات لم نُحِل إلى بعض الشّواهد من نص المنام، ومن يرد التّأكد يرجع إلى المصدر.

[27]– عبد العالي بوطيب، إشكاليّة الزّمن في النّص السّردي، مجلة فصول، مج 12، ع2 صيف 1993، ص138.

[28]- لحمداني، المرجع السّابق، ص76.

[29]– جيرار جينيت، نظريّة السّرد من جهة النّظر إلى التّبئير، دط، (المغرب: دار الخطاب والنّشر 1989)، ص128.

مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 26 العدد: 67 سبتمبر 2024 ص: 217-242

البنيَة الإيقاعيّة في الأنشودة المدْرسيّة

"كتاب اللّغة العربيّة للسَّنة الثّالثة ابتدائي نموذجًا"

The rhythmic structure in the school chant The Arabic language book for the third year of primary school as a model

أ. صلاح الدين باوية♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: DOI 10.33705/0114-026-067-010

تاريخ الاستلام: 26-08-2023 تاريخ القبـول: 31-07-2024

ملخّص: تهدف الأنشودة المدرسيّة في مجملها إلى بثِّ روح الوعي والانتماء للوطن وللأمَّة، وتعزيز مبادئ المواطنة وحبّ القيم الإنسانيّة، لاسيما وأنّها تصدر في قالبٍ إيقاعيٍّ سَلسٍ يُرغِّب عمليّة الحفظ والإنشاد لدى النّاشئة.

تأتي الأنشودة من حيث الإيقاع غالبًا على البحور الشّعريّة الصّافيّة المجزوءة، مع تنوّعٍ واختلافٍ في حروف الرّوي، وهذا حتى تضمن التّنوّع في الإيقاع اعتمادًا على توقيعات مخارج الحروف.

نحاول في هذه الدّراسة أن نجيب عن ماهيّة الخصائص الفنّيّة للأنشودة المدرسيّة؟ وكيف تجلّت بنيتها الإيقاعيّة في كتاب اللّغة العربيّة للسنة الثّالثة ابتدائي؟

الكلمات المفتاحيّة: البنيّة؛ الإيقاعيّة؛ الأنشودة؛ المدرسيّة؛ الأطفال؛ الغناء.

♥جامعة محمد الصّديق بن يحي، جيجل، الجزائر، البريد الإلكتروني: baouia68@yahoo.com (المؤلّف المرسل).

Abstract: The aim of school chant in genral is to bwild a certain consconren and a dup felug of patriotism and national belougiang, and also the falwing the education of future citizens on the rhythmic side, the soug comes always on simple metrics, and a varuty of rymes in order to realise a good musical effect.

In This study, we try to answer the following question: what are the technical Kracateristics of the school chant? and hou was its rliythmic structires manifested in this book?

Key words: stricture; rhythme; chant; school; children; swiging.

أوّلاً: الأدب الموجّه للأطّفال: يشكّل الأدب الموجّه للأطفال أهميّة بالغة في تنشئتهم والمحافظة عليهم وتزويدهم بالحسّ الجمالي ومختلف المعارف والخبرات الضّروريّة في الحياة، ذلك أنَّ الطّفولة هي عالمٌ رحبٌ وجذابٌ، مليءٌ بالمتعة والخيال، وقد ثبتَ أنّ "الاهتمام بالطّفل إنّما هو اهتمام بمستقبل الأمّة ذلك أنّ تربيّة الأطفال وتكوينهم من أشقّ المهمَّات على المربين والآباء على حدٍّ سواء"[1].

ولكن ما نلاحظه حقًّا بالرّغم من الأهميّة الكبرى والحسّاسة لأدب الأطفال إلا أنَّ "النّاظر في هذا الزّخم الإصداراتي في عالمنا العربي أنّ الأمر لا يزال مشوشًا وغير مضبوط بشكل فعَّال بالنّسبة للإصدارات الأدبيّة الموجَّهة خصيصًا للطّفل"[2]. هذا بالنّسبة لأدب الطّفل في العالم العربي، أمّا في الجزائر بالخصوص فحدّث ولا حرج " وإذا جئنا للحديث عن واقع الكتابة الأدبيّة للطّفل الجزائري فهي أكثر فقرا من نظيرتها في الدّول المجاورة كتونس والمغرب، وأبعد بأشواط مخجلة عن الجهود الموجودة في المشرق خصوصًا سوريا والكويت والإمارات"[3].

ولذا فعلى الجزائر أن تخطو خطوات عملاقة فيما يخصّ الاهتمام بأدب الأطّفال، فعلى الرّغم من كونها قد شرعت في تنظيم مسابقات تشجيعيّة لأدب الأطفال من طرف وزارة الثّقافة بداية من منتصف التّسعينيات إلاّ أنّ هذا النّشاط لم يدم طويلا. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ أدب الأطفال ينقسم إلى عدة أجناس منها: القصص بأنواعها، الشّعر، المسرح، الأغنيّة، السّينما، الأناشيد والمحفوظات إذاعة الأطفال، التّلفزيون...الخ.

إلَّا أنَّنا سنركز حديثنا هنا على الأناشيد، والأنشودة المدرسيّة بالضّبط.

ثانيًا: الأناشيد: (بحثٌ في ماهيّة النّشيد): إذا أردنا البحث عن تعريفٍ لغويٍّ للنَّشيد، فبإمكاننا القول إنَّ "التّعريف اللّغوي للنَّشيد هو الشّعر الذي ترافقه ترنيمة أو يغنَّى(...) والمعنى المتداول ما يردّدهُ الأطفال والكبار من شعر منغّم، أمَّا بالنّسبة للأطفال فإنَّ الأناشيد تبدأ من عمر مبكر بدءًا بالحضانة حتى المراحل الإعداديّة (الثّانويّة العامّة) حيث تكتب من أنواع الشّعر المبسّط والواضح الذي يمتاز باللّغة البسيطة والمعروفة المعاني للجميع..."[4].

فالنّشيد إذًا مقرونٌ بالتّرانيم والغناء، بمعنى أنّهُ يكتب ليلحّن ويغنّى بالدّرجة الأولى، وليس ليقرأ فحسب ومن هذه النّاحيّة فإنَّ الأناشيد شبيهة بالموشّحات الأندلسيّة والتي هي أقرب إلى المقطوعة الموسيقيّة منها إلى القصيدة الشّعريّة وأمّا تعريف الأناشيد اصطلاحًا فيمكن القول إنَّ "الأناشيد قطع شعريّة يتحرّى في تأليفها السّهولة في اللَّفظ، وتنظم على البحور الخفيفة والعاليّة الموسيقى مثل مجزوء الرّمل، والمتقارب والمتدارك، وتصلح للإلقاء الجمعي، لأنّها تعبير عن الأحاسيس الجماعيّة المشتركة التي تقترن بالوطن وتاريخه، واللّغة والدّين والمجتمع بكلِّ أفراده وشرائحه، وهي أشبه بشعر الجوقة الذي يعبّر عن العواطف المشتركة والعامة وتختفي منه الذّات أو الأنا للشاعر لتفسح المجال أمام الشّخصيّة الاجتماعيّة والوطنيّة المشتركة"[5].

نستشف من خلال ما مرَّ بنا مدى ارتباط الأناشيد بالإيقاع، ذلك أنّ الإيقاع هو الذي يجعل الطّفل ينعجن مع كلمات النّشيد ويرددها في نشوة عارمة حتى وإن جهل معاني الكلمات في بعض الأحيان.

ثالثا: ارتباط الأطّفال بالأناشيد والغناء: أثبتت كثيرٌ من الدّراسات العلميّة الحديثة أنَّ الجنين يطرب للأصوات العذبة وللإيقاعات المتناغمة وهو في رحم والدّته، ذلك أنّ "العلاقة بين النّفس والإيقاع ليست علاقة التّابع بالمتبوع"[6]. بل هي علاقة تكامل وتجاذب فهي جد وطيدة. لأنَّ "الغنائيّة ليست مرادفة للذَّاتيّة المفردة بل هي انعكاس على الذّات واكتساب لحيويّة كائن يمكن أن نراه وننفعل معه"[7].

ولذا عرف منذ القديم في الأدب العربي الموجه للأطفال في مرحلة حياتهم الأولى ما يعرف بـ: –الأمهودة الشّعريّة– و"الأمهودة الشّعريّة أو أغنيّة المهد أو شعر التّرقيص هي أرجوزة قصيرة لا تزيد عن البيتين أو الأربعة في أغلب الأحوال، وتعتمد على الإيقاع الصّوتي والنّغمي (...)العرب أدركوا أهمّيّة أن يكون للطفل في هذا السّنّ المبكر أدب خاص به يلبي حاجياته ويجعله قريبًا من دفء والدّيه وخصوصا الأمّ(...) وتتميز الأمهودة بظاهرة تكرار الكلمات الإيقاعيّة السّهلة في نغم موزون، فالإيقاع في هذا الشّكل منبّه للحواس ومثير للخيال"[8].

رابعًا: بحث في ماهيّة الإيقاع وأهمّيتهُ: ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الإيقاع هو أعمُّ وأشمل من الموسيقى الشّعريّة، ذلك أنّ الإيقاع يكون داخليا وخارجيا في القصيدة، بل إنّنا نجد الإيقاع حتى في النّثر ناهيك عن الشّعر "فالإيقاع على عكس ما نعتقد لا يصدر فقط عن موافقة الحركات والسّكنات للتفعيلات الخليليّة، الإيقاع وليد الحروف والأصوات، ووليد الوظائف الصّرفيّة الأخرى للكلمة(التّعريف والتّنكير) وليد بعض الوظائف النّحويّة(حروف العطف والجرّ مثلا) بل إنّه يتولد من التّركيب النّحوي للجملة"[9].

ويذهب الباحث عبد القادر الرّباعي في تعريفه للإيقاع قائلا: "أعني بتشكيل الإيقاع حركة الأصوات المنظمة داخل الدّائرة الوزنيّة ومن ثم الدّوائر التي تؤلّف إيقاع القصيدة أو موسيقاها في شكل للحركة متصوّر التّنظيم"[10].

ينبني الإيقاع إذا على قانون الحركة والسّكون، وفي هذا الشّأن "ما يجب أن نقرّره بالاستناد إلى العلم هو أنّ قانون الحركة والسّكون يلعب الدّور العظيم في إقبال النّاس على فن ما أو إدبارهم وإحجامهم عنه"[11].

ولعلَّ من أهمِّ مظاهر الإيقاع نجد:

01-الإيقاع التّركيبي.

02-الإيقاع الدّاخلي.

03-الإيقاع الخارجي.

لا غرو أن يقوم الإيقاع على تناغم الأصوات والحروف فيما بينها، ذلك أنَّ الإيقاع الخارجي يتولد عن البحر الشّعري، القافيّة، والوزن، بينما الإيقاع الدّاخلي يقوم على التّدوير، التّكرار، الاتساق، والانسجام، التّصريع، النّبر ومكوّنات فنيّة أخرى، ولهذا يقرّ الباحث عبد القادر الرّباعي قائلًا: "وأمّا الإيقاع فتتناغم فيه أصوات الحروف في الكلمات – طولا وقصرا- شدّة ورخاء، تقاربًا وتباعدًا، مع كل ما تحويه الصّور وما توحي به من أفكار وانفعالات لقد وصف شوبنهور قيمة الإيقاع في الشّعر فقال: "أمّا إذا تتابعت الأفكار في تسلسل طبيعي على إيقاع الكلمات، وتناغم القوافي فإنّه يكون للغة الشّعر تأثير السّحر"[12].

هذا ونشير إلى أنّ التّفعيلة الواحدة في الشّعر العربي عندما تطرأ عليها جوازات فإنّها تحمل صورًا إيقاعيّة مختلفة، "التّفعيلة الواحدة لها عديد من الصّور الإيقاعيّة المختلفة ترد في الشّطر والبيت، ولا تثبت أبدا على صورة واحدة وبالتّالي فإنّ البيت الشّعري لا يثبت على حال واحدة في سائر القصيدة بل ينقلب بين إيقاعات عدّة، ويختلف طوله من مكان لآخر"[13]. بل إنّ "التّنويع

في الإيقاع لابد أن يكون ضروريًا لمصاحبة إيقاع النّفس ومستويات الشّعور ودقّة التّعبير، وإلا عدّ إخلالاً بالإيقاع النّفسي والموسيقي العام للقصيدة وقد يأتي التّنويع من مقطع إلى آخر في القصائد الطّوال للتّخفف من اطراد النّسيج الموسيقي على منوال واحد"[14].

خامسًا: الإيقاع في أناشيد الأطفال: يُشكِّل الإيقاع عنصرًا هامًا في النّص الموجّه للأطفال على وجه العموم، وفي الأناشيد على وجه الخصوص، ذلك أنَّ الطّفل يطرب للإيقاع أيما طربٍ، حتى يجعله الإيقاع يتمايل مع الكلمات ويرددها في كلِّ حين.

ولهذا يذهب الشّاعر السّوري (سليمان العيسى) صاحب التّجربة الشّعريّة الطّويلة في الكتابة للأطفال، إلى القول بأنّه يختار وينتقي دائما "الوزن الموسيقي الخفيف الرّشيق الذي لا يتجاوز ثلاث كلماتٍ أو أربعًا في كلِّ بيتٍ من أبيات النّشيدِ، والموسيقى رئةُ الشّعر العربيِّ التي يتنفَّس بها، وسرُّ جمالهِ وبقائهِ وأثَرِهِ في الأجيال"[15]. فهذا الشّاعر الكبير يدرك تمامًا مدى أهميّة الوزن الموسيقي الخفيف، والإيقاع الجميل في استجابة وتعلّق الأطفال بالأناشيد، وفي السّياق نفسه تذهب الباحثة الأكاديميّة (عائدة بومنجل) إلى أنّ "أهمّ ميزة تميّز شعر الأطفال هي النّغم الموسيقي الخفيف الذي يحرك أسماع الطّفل ويلفت انتباهه، لأنّ الطّفل يميل بطبعه إلى النّغم والموسيقى التي تبعث على الإنشاد والتّغني فيستميله اللّحن والجرس الموسيقي قبل أن ينتبه إلى المعاني والصّور فيحقق النّص اللذة والمتعة، إلى جانب تحقيق الهدف المنشود"[16]. وتسترسل الباحثة نفسها في الحديث عن الإيقاع وأهميته، إلى أن تستخلص بأنَّ "الموسيقى والإيقاع الجميل يحقّق للطفل الارتياح والمتعة، ومن ثم الفهم والفائدة"[17].

فالإيقاع الجميل يبعث الطّفل من جديد، ويسمو بروحه إلى عوالم روحانيّة صافيّة، وبالتّالي فإنَّ ارتباط الطّفل بالأناشيد والغناء ارتباط شديد الدّهشة

والمتعة في آنٍ واحد. ولذا سنحاول الوقوف على البنيّة الإيقاعيّة في كتاب السّنة الثّالثة ابتدائي.

سادسًا: الإيقاع في أناشيد كتاب اللّغة العربيّة: يحتوي كتاب اللّغة العربيّة الموجه إلى تلاميذ السّنة الثّالثة ابتدائي على **خمس عشرة (15)** مقطوعة شعريّة موزّعة ما بين أناشيد وقصائد قصيرة غير مطولة، ولكن ارتأينا أن نوضّح في البداية الفوارق ما بين القصيدة والأنشودة، حيث يذهب الباحث الجزائري العيد جلولي إلى توضيح الفارق بين الشّكلين وفق هذا الجدول الآتي[18]:

الأنشودة	القصيدة
–يتوجّه بها الشّاعر إلى الجماعة	–يتوجّه بها الشّاعر عادة إلى الفرد
–يكون المتلقي منشدًا أو مغنّيًا	–يكون المتلقي قارئًا أو مفسرًا
–تمتاز ببساطة المعاني والتّراكيب	–تمتاز بعمق المعاني وقوّة التّراكيب
–تعدّد في أوزانها وقوافيها غالبًا	–تلتزم وزنا واحدا وقافيّة واحدة غالبًا
–تميل إلى اختيار البحور الخفيفة أو المجزوءة	–تستعمل البحور الطّويلة عادة
–لا يلتزم الشّاعر في نظمها شكلاً شعريًا معيّنًا	– الشّاعر يلتزم شكلا شعريًا معيّنًا
–محصورة في الموضوعات الوطنيّة والدّينيّة والاجتماعيّة.	– غير محصورة في موضوعات معيّنة
– تبتعد عن قضَايا المنطق والفلسفة	– قد تحمل رؤيّة فلسفيّة

استنادًا على هذا التّقسيم، فإنّ كتاب اللّغة العربيّة للسّنة الثّالثة ابتدائي يحتوي على **عشرة (10)** أناشيد مقابل خمس (05) قصائد، ومنه سنقتصر في دراستنا هذه على الأناشيد فقط.

–**أناشيد الكتاب هي:** (نشيد الأبوة والطّفولة، آداب الحديث، شهيد الوطن العلم، الطّبيعة، البرتقال، كرة القدم، الحاسوب، القاطرة، جدّي بحَّار)

–**قصائد الكتاب هي:** (مرحبا رمضان، الأعياد، المسرح، النّحت، سندباد).

نلاحظ مدى التّنوّع في المواضيع، فمن التّغني بالطّفولة والوطن، إلى التّغني بالطّبيعة والعلم والمناسبات الدّينيّة، إلى مواضيع اللّعب والتّرفيه، وهذا التّنوع في المواضيع لاشكَّ أنّه يثري الرّصيد المعرفي للتلميذ.

أوّلاً: من حيث اللفظ، التّكرار، التّشاكل والتّباين، الجناس، التّصريع.

ثانيًا: من حيث الوزن، البحور الشّعريّة.

ثالثًا: من حيث القوافي.

أوّلاً: من حيث البنيّة اللغويّة (اللّفظ): ممّا لا شك فيه لأجل توجيه أدب ناجح إلى الأطفال لا بد من الاختيار بدقة وعناية فائقة لكلمات الخطاب، ذلك أنّ الكلمات المختارة لا بد أن تكون رنانة، موحيّة، رشيقة الإيقاع، جميلة الإبداع، وهذا حتى يتحقّق للطفولة المتعة والتّلذذ بجماليات النّصوص، فهذا شاعر الأطفال (سليمان العيسى) يقول واصفًا تجربته في الكتابة للأطفال: "إنَّني أحرص على أن يتشابك في النّشيد الذي أكتبه للصغار الوضوح والغموض، الواقع والحلم، المحسوس والمعقول، الحقيقة والخيال، كل ذلك في كلمات مدروسة بعناية"[19].

وجب أن تكون الكلمات إذا مدروسة بعناية فائقة، وهذا حتى تؤدّي دلالاتها الكاملة في تأثيرها على الأطفال وتنشئتهم تنشئة سويّة على حب العلم والوطن والأخلاق الحميدة وحب الإنسان لأخيه الإنسان.

فالحقّ أنّ ما جاء في أناشيد كتاب السّنة الثّالثة ابتدائي من بنيات لغويّة تتمشّى مع ذائقة الأطفال في هذه المرحلة العمريّة المهمّة، فمثلا في مطلع نشيد الأبوة والطّفولة يقول الشّاعر: عبد الحميد ضحى في حوار بين الأب والابن:

الأب: حَبيبي بهْجةُ الدّنْيـــا *** ونورُ الْقَلْبِ والعيـــنِ
كأنِّـــي حينَ تلْقَانـــي *** ملكْتُ السّعْدَ في الكَونِ
الابن: أبي يا أجْمَلَ الكلِماتِ *** وأعذَبها على قلْبـــي

بحضْنك جنَّة الدّنيــا*** بقلبكَ منبعُ الحُـــــــبِّ

فالبنيات الإفراديّة والتّركيبيّة التي اختارها وانتقاها الشّاعر هنا موفقة لأجل وصف عاطفة الأبوّة اتجاه فلذات أكبادهم والعكس صحيح.

الأب = (حبيبي، بهجة الدّنيا، نور القلب، ملكت السّعد.....)

الابن= (أجمل الكلمات، أعذبها، جنّة الدّنيا، منبع الحب.....)

يمثّل الابن بالنّسبة للأب هو:(الحبيب، وهو بهجة الدّنيا، وهو نور القلب وهو أيضًا مالك السّعد) أمّا الأب بالنّسبة للابن فهو: (أجمل الكلمات وأعذبها).

إنّ حسن اختيار هذه الألفاظ المعبرة مع الدّقة في التّركيب والمهارة في السّبك وحسن التّآلف بين البنيات اللغويّة، كلّ هذا وفَّر في النّشيد ما يعرف بحسن الاتساق والانسجام، ومنه تولد الإيقاع في الإبداع الشّعري، ذلك أنَّ الألفاظ في حدِّ ذاتها تتوفّر على طاقة هائلة مشعَّة بعنصر الإيحاء.

فعنصر الإيحاء يمدُّ الكلمة بإشعاعات جديدة، "والكلمة المشعة ترسل خيوطها العميقة في كلِّ مكان، فإنَّ كثرة المعاني والاتجاهات للكلمة الواحدة تكتب للقصيدة الخلود، وتبقى حيّة، متجدّدة تجد موقعا حسنا من كل قارئ فيفسّرها حسب ذوقه وعمق فكره...."[20].

هذا وإنَّ للغة في نصّ أدب الأطفال "وظائف ستّ أهمّها: الجماليّة المرجعيّة، ففي أدب الكبار تطغى الوظيفة الجماليّة على بقيّة الوظائف الأخرى بينما يجب في نصّ أدب الأطفال الموازنة بين ما نأخذه من مرجعيتنا الأخلاقيّة والتّربويّة مع الحاجات الجماليّة التي تحافظ على أدبيّة النّص" [21].

وبالتّالي وجب على الأديب المهتم بعوالم الأطفال وما يوجه لهم من نصوص أدبيّة أن يتوخى سلامة البنيّة اللّغويّة أيضًا ممَّا يشوبها من عيوب إن على المستوى الصّوتي، أو على المستوى المفرداتي والنّحوي والدّلالي والمعجمي، وهذا يحيلنا إلى أنَّ "لغة النّص لا يعني البحث عن نصّ سهل

للأطفال بل يجب أن يحوي النّص بعض الكلمات والتّراكيب الجديدة لإثراء لغة الطّفل لكن بقدر معقول"[22].

ويتشاكل على مستوى اللفظ (الإيقاع الخارجي) المنبثق عن التّكرار بأنواعه التّصريع، الجناس، والتّباين والتّشاكل، كما يتتبع (الإيقاع الدّاخلي) المنبثق عن الاتساق والانسجام، والنّبر...

أ-التّكرار: إنَّ الشّاعر الموهوب لا يأتي بالتّكرار من أجل التّكرار، وإنَّما لما لهذا التّكرار من دلالات هامّة في تعميق المعنى تجعله جليًّا، وإعطائه أبعادًا دلاليّة وجماليّة، فتارة قد يكرّر الشّاعر كلمات بعينها يُركِّز عليها لما لها من إيحاءات وإشعاعات داخل الجوّ العام للقصيدة، علاوة على هذا فإنَّ التّكرار يوفّر الإيقاع في القصيدة أو الأنشودة "وفي هذا التّكرار استئناس لأذن المتلقي (الطّفل) وتشويقه عند كلّ مرّة إلى العنصر الجديد"[23].

ممّا يوحي لنا بإنَّ للتّكرار عدة أهداف، ولربما التّكرار "كما نعلم يرمي إلى تحقيق أهدافٍ عديدة من بينها إحداث الأثر الموسيقي الذي تنتشي له النّفوس عند سماعه، وتوكيد المعاني وتكريسها"[24].

كما أنَّ للتكرار أنواع عديدة منها تكرار الحرف، تكرار الكلمة، وتكرار الجملة، وسنحاول استخراج بعض النّماذج من التّكرار إن وجدت.

عنوان الأنشودة	البيت الشّعري	تكرار الحرف أو الأداة	تكرار الكلمة	تكرار الفعل	تكرار الجملة
نشيد الأبوة والطّفولة	حَبِيبِي بَهْجَةُ الدّنْيَا **و**نُورُ القَلْبِ **وَ**العَينِ **ب**حضنِكِ جَنَّةُ الدّنْيَا **ب**قلْبِكِ منْبَعُ الحُبِّ	الواو الباء			
آداب الحديث	**لا** أرْفَعُ صوتًا في المَجْلِسْ **لا** ألْمزُ أحَدًا أوأهْمسْ	لا			

	أُحْسِنُ حينَ أقُولُ كلامَا **لا** مُغتَابًا و**لا** نَمَّامَا	لا			
شهيد الوطن	**يَا** شَهيدَ الوطنْ **يَا** مِثالَ الوفاءْ **يَا** شَهيدْ....**يَا** شَهيدْ **يَا** شَهيدَ الوطنْ	يا			**يَا** شَهيدَ الوطنْ
العلم	**أنْتَ** رمزُ المُنى **أنْتَ** فَخْرٌ لنَا عاليًا **يَا عَلَمْ** ظَافرًا **يَا عَلَمْ**	أنْتَ	يَا عَلَمْ		
عنوان الأنشودة	البيت الشّعري	تكرار الحرف أو الأداة	تكرار الكلمة	تكرار الفعل	تكرار الجملة
كرة القدم	ما أبهى **كرة** القدم **كرة** تجري في الملعب **أبدًا** **أبدًا** لا تتعبْ **ما أبهى كرة القدم** **في** فوزٍ أو **في** خسران تبقى الأخلاق العنوان	**في**	**كرة** **أبدًا**		**ما أبهى كرة القدم**
الحاسوب	يفعل ما يؤمر **في** صمت **في** لحظات معدودات فكر فكر فكر واختر برهن أنّك أنت	**في**		فكِّرْ	

	الأجدر				
القاطرة	مثل القطار **وَ**انشطوا **وَ**اجروا إلى بعيد	**وَ**			
جدِّي بحار	**لم** تخضعْ يومًا للموج **لم** تهتزّ ولم ترتجْ **جدِّي جدِّي** يا بحار منك تعلمتُ الإصرار	**لم**	**جدِّي**		

نلاحظ جليًّا أن أكبر نسبة للتكرار جاءت بالنّسبة لتكرار الحرف أو الأداة بأنواعها سواء أكانت حروف العطف، الجرّ، النّفي، النّداء، التّوكيد الجزم.....

ذلك أنّ مثل هذه الحروف تضفي الاتساق والتّماسك على البنيّة اللغويّة وكذلك الإيقاع.

ب: التّشاكل والتّباين: ما من شكٍّ أنّ التّشاكل والتّباين يضفيان على الأنشودة إيقاعًا مميزًا يزيد في جمالياتها، وقد عرفه العلامة (عمر بن مسعود بن ساعد المنذري) بقوله: "واعلم أنّ الأشياء المتشاكلة على ثلاث مراتب إحداها أن تكون متشاكلة في الكيفيتين أعني الفاعلة والمتفاعلة معًا كالحار اليابس مع الحار اليابس وهذا أقوى أنواع المشاكلة، والثّانيّة أن تكون متشاكلة في الفاعلتين فقط مثل الحار الرّطب والحار اليابس، والثّالثة أن تكون متشاكلة في المنفعلتين فقط مثل اليابس الحار واليابس البارد وهذه المرتبة دون المرتبة الثّانيّة لأنّ المنفعل يكون أضعف من الفاعل.

وأمّا الأشياء المتقابلة أيضًا على ثلاث مراتب الأولى وهي أقواها أن تكون متقابلة في الكيفيتين معًا مثل الحار اليابس والبارد الرّطب، والثّانيّة هي أوسطها أن تكون متقابلة في الفاعلتين مثل الحار الرّطب.. وأدناها أن تكون

متقابلة في المنفعلتين معًا مثل الحار اليابس والحار الرّطب والبارد اليابس والبارد الرّطب" [25].

الأنشودة	البيت الشّعري	التّشاكل	التّباين
نشيد الأبوة والطّفولة	حَبِيبي بَهْجَةُ الدّنْيَا ونُورُ القَلْبِ وَالعَينِ فأبْشِرْ يا أبي خيرًا فحُبُّ الخيرِ نِبْراسِي	بهجة = نور خيرا = الخير	القلب = العين
آداب الحديث	أدَّبني **الإسْلامُ** الأعْظَمْ من **هَدْي** رسولي أتعلَّمْ أُصبرُ حينَ أقُولُ كلامَا لا **مُغتَابًا** ولا **نَمَّامَا**	الإسلام = هدي مغتابًا = نمَّامَا	
شهيد الوطن	يَا شَهيدَ **الوطنْ** يَا مِثالَ **الوفاءْ** أنتَ في **الخلدِ الخالدّينْ** وافرَ الحضِّينِ من **دُنْيا** وَ**دينْ**	الوطن = الوفاء الخلد= الخالدّين	دنيا = دين
العلم	أنْتَ **رمزُ** المُنى أنْتَ **فَخْرٌ** لنَا	رمز= فخر	
الطّبيعة	والخضرةُ البديعة في **السّهلِ** و**الهضابِ** والنّحلُ والفراشُ تقبل الأزهار ما أعذبَ الهواء لصحة الأبدان إنْ لم نلوث طيبهُ	الصّحة = الأبدان	السّهلِ + الهضابِ النّحلُ + الفراشُ

	بالغازِ والدّخانْ وحبذا الشّواطئ نقيّة الرّمال تلمع كاللآلئ في الصّبح والآصال	الغازِ = الدّخانْ الشّواطئ = الرّمال	 الصّبح + الآصال
البرتقال	أوجدتها العناية دواء كلِّ علَّة لباسها قشورْ لحَبِّها المَصُونْ		دواء + علَّة قشور + حَبّ
كرة القدم	لو تَدْري كَمْ أهْواها في روحي تَسْري ودَمي في فوز أو في خسران تبقى الأخلاق عنوان	روحي = دمي	 فوز + خسران
جدّي بحَّار	جدِّي يا أقوى **بحَّارْ** في **البحرِ** ركبتَ الأخطارْ خضتَ غمارَ البحرِ الواسعْ **جبتَ** الآفاقَ بإصرارْ تخرجُ قبلَ شُعاعِ الفَجْرِ **تَعْملُ تسْعى** نحْو الخيرِ تُسْمعُنا قصصَ الأبطالْ تَمْلؤُها **سِحْرًا وَخَيَالْ** شُجْعانٌ خَاضُوا **الأهوالْ** وتَحدُّوا هُوجَ **الإعْصَارْ**	بحَّار = البحر خضْتَ = جبْت تسعى = تعمل الأهوال = الإعصار	 سِحْر + خَيَالْ

من خلال هذا الإجراء نتحصّل على حضور التّشاكل في الأناشيد بترداد (15 مرة) مقابل حضور التّباين بترداد (10 مرات). لنستشف أنَّ التّشاكل يرصد مختلف التّقابل بين الثّنائيات التي يحتويها النّص وهو دالٌ على جميع المكونات الدّلاليّة للعلامات اللغويّة والعلاقات التي بينها.

ولهذا يسهم كل من التّشاكل والتّباين في إضفاء جماليات الإيقاع على النّص من خلال ما تختزله البنيات اللغويّة من أصوات.

ج: الجناس والتّصريع: جاء في باب التّصريع قول الأزهري " والمصرعان من الشّعر ما كان فيه قافيتان في بيت واحد، ومن الأبواب ما له بابان منصوبان ينضمّان جميعا. فدخلهما بينهما في وسط المصراعين.

وبيت من الشّعر مصرع: له مصراعان، وكذلك باب مُصرَّع، والتّصريع في الشّعر: تقفيّة المصراع الأوّل مأخوذ من مصراع الباب، وهما مصرَّعان، وإنّما وقع التّصريع في الشّعر ليدل على أنّ صاحبه مبتدئ إمّا قصّة، وإمّا قصيدة"[26].

عنوان الأنشودة	الجناس	التّصريع
نشيد الأبوة والطّفولة	خيرا = الخير	
آداب الحديث		الأعظم = أتعلَّم
شهيد الوطن	الخلد= الخالدّين دنيا = دين	
العلم		
الطّبيعة		
البرتقال		غلة = حلَّة
كرة القدم		القدم = النّغم
الحاسوب	العمل= العلم	الدّائب = الغالب
القاطرة		ارتبطوا= تختلطوا

جدِّي بحَّار		بحَّار= الأخطار

نلاحظ أنّ الجناس قد حضر باحتشام، ممّا يدلُّ على أنّه قد جاء عفو الخاطر وليس للتّصنّع أو ما شابه ذلك، بينما التّصريع قد حضر في أغلب مطالع الأناشيد (06 مرات) من مجموع عشرة(10) أناشيد، وهذا حتى يشيع الإيقاع منذ مطلع النّشيد، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على مدى حرص الشّعراء على إشاعة الإيقاع في النّصوص، لأنّ الإيقاع يجلب الطّفل ويسترعي انتباهه بالفطرة.

ثانيًا: من حيث الوزن:

عنوان الأنشودة	البحر الشّعري	الملاحظة
نشيد الأبوة والطّفولة	مجزوء بحر الوافر	
آداب الحديث	بحر المتدارك	
شهيد الوطن	مجزوء المتدارك	
العلم	مجزوء المتدارك	
الطّبيعة	مجزوء الرّجز	
البرتقال	مجزوء الرّجز	
كرة القدم	بحر المتدارك	
الحاسوب	بحر المتدارك	
القاطرة	مجزوء بحر الرّجز	
جدِّي بحَّار	بحر المتدارك	

فالملاحظ أنّ بحر المتدارك أو الخبب جاء في المرتبة الأولى (ستّ 06 مرات) من مجموع عشرة أناشيد. وهو من البحور الصّافيّة التي تقوم على تكرار تفعيلة واحدة فقط (فاعلن(/0//0)، "والمحدث أو متدارك الأخفش بحرٌ أصابوا

بتسميته الخبَب تشبيها له بخبب الخيل فهو لا يصلح إلاّ لنكتة أو نغمة أو ما أشبه وصف زحف جيش أو وقع مطر أو سلاح..."[27].

ثم يأتي في المرتبة الثّانيّة بحر الرّجز حيث تردَّد (ثلاث 03 مرات) وبحر الرّجز هو أيضًا من البحور الصّافيّة حيث يبنى على تكرار التّفعيلة السّباعيّة:(مستفعلن /0//0/0)، "والرّجز ويسمونه حمار الشّعر بحرٌ كان أولى بهم أن يسموهُ عالم الشّعر لأنّه لسهولة نظمه وقع عليه اختيار جميع العلماء الذين نظموا المتون العلميّة كالنّحو والفقه والمنطق والطّب فهو أسهل البحور في النّظم..."[28].

ويأتي في المرتبة الثّالثة مجزوءًا بحر الوافر بتعداد (مرة واحدة 01 فقط) لنستشف أنّ كل أناشيد كتاب السّنة الثّالثة ابتدائي قد جاءت على البحور الصّافيّة، هذه البحور التي تمتاز بالانسيابيّة وسلاسة الايقاع وهذا لتكرار تفعيلة واحدة بعينها في النّشيد.

ثالثًا: من حيث القوافي: القافيّة ضروريّة في الشّعر، لا سيما في الشّعر العربي الذي لا يصلح إلاّ بها كما ذهب البعض ومنهم العلاّمة سليمان البستاني إذ يقول: "والعربيّة لا يصلح شعرها بدون قافيّة لأنّها لغةٌ قياسيّة رنّانة يجب أن يراعى فيها القياس والرّنة. وفيها من القوافي المتناسبة ما يتعذر وجود نظيره في سائر اللغات فلا يسوغ لها أن تبرز عُطُلًا مع توفّر ذلك الحلي الشّائق"[29].

بل يذهب إلى تبيان أهمّيّة القافيّة في قوله: "الشّعر كالنّغم الموسيقي والقافيّة رستهُ أو قرارهُ فحيثما جاد النّغم وتناسق إلى منتهاه حسُن وقعهُ في الأذن وانشرح لهُ الصّدر وطربت له النّفس، فكل نغم أطرب أرباب الصّناعة وذوي الأذن السّمّاعة فهو الحسن وهكذا الشّعر فلا يحسن وقعه في نفوس قرائه وسامعيه ما لم يكن جيدًا وقد يستهان بالمعنى البليغ لضعف قافيّة أو وقوعها في غير موضعها"[30].

ومن خلال أناشيد كتاب السّنة الثّالثة ابتدائي، تحصلنا على القوافي الآتيّة:

عنوان الأنشودة	حرف الرّوي	القافيّة	لقبها	نوعها
نشيد الأبوة والطّفولة	النّون+ الباء+ السّين	عيني /0/0	متواترة	مطلقة
آداب الحديث	الميم+ السّين+ اللام	عَلْلَمْ /0/0	متواترة	مطلقة+ مقيدة
شهيد الوطن	الهمزة+ النّون	فَاءْ /00	مترادفة	مقيدة
العلم	الميم+ النّون+ الهمزة	للْعَلَمْ /0//0	متداركة	مقيدة
الطّبيعة	الباء+ الرّاء+ النّون+ اللام	آبْ /00	مترادفة	مقيدة
البرتقال	التّاء+ النّون+ الهمزة+ اللام	حُلْلَةٍ /0//0	متداركة	مطلقة
كرة القدم	الميم+ الباء+ النّون	نْنَغَمِ /0///0	متراكبة	مطلقة + مقيدة
الحاسوب	الباء+ التّاء+ الرّاء= السّين	غَالِبْ /0/0	متواترة	مقيدة
القاطرة	الطّاء+ الدّال+ الرّاء+ الباء+ اللام	تَخْتَلطُوا/0///0	متراكبة	مطلقة + مقيدة
جدِّي بحَّار	الرّاء+ الجيم+ اللام	طَارْ /00	مترادفة	مطلقة + مقيدة

أ-**حرف الرّوي:** حرف الرّوي هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة، وهو حرفٌ أساسيٌّ لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عنه، وقديمًا كان حرف الرّوي بمثابة عنوان القصيدة التي تعرف به فيقال: سينيّة البحتري ورائيّة أبي فراس الحمداني، وميميّة المتنبي...إلى غير ذلك. ولقد حفلت الأناشيد المدرسيّة بتنوّع حروف الرّوي، ومن الحروف التي جاءت رويًّا نجد: (النّون، الباء السّين الميم، اللام، الهمزة، الرّاء، التّاء، الطّاء، الدّال، الجيم).

نلاحظ أنّ هذه الحروف هي مجمل الحروف المشهورة التي جاء عليها الرّوي في الشّعر العربي عبر مختلف عصوره، ولحروف الرّوي دلالات عديدة

ومنهم من جعل بعض الأغراض الشّعريّة تناسبها حروفٌ بعينها، ولذ منهم من قال مثلا بأنَّ حرف القاف تجود في الشّدّة والحرب، والدّال في الفخر والحماسة والميم واللام في الوصف والخبر، والباء والرّاء في الغزل والنّسيب. وإنَّما هو قولٌ اجمالي إذا صحّ من باب التّغليب فلا يصحّ من باب الإطلاق"[31].

ولقد احتلَّ حرف النّون المرتبة الأولى من حيث مجيئه(06 مرّات) حرف رويٍّ، وفي المرتبة الثّانيّة حرف الباء بترداده(05 مرّات)، وفي المرتبة الثّالثة حرف الرّاء (04 مرّات)، ثم على التّوالي حرف السّين وحرف الهمزة (03 مرّات)، ثم حرف التّاء (02 مرتين).

وتجدر الإشارة إلى أن حرف النّون هو حرف مهموس رخو معناها لغة شفرة السّيف، أو الحوت، أو الدّواة، أصلح للتّعبير عن مشاعر الألم والخشوع. يوحي بالأناقة، والرّقة، والاستكانة، وبالانبثاق والخروج من الأشياء. إنَّ معانيه تختلف باختلاف كيفيَّات النّطق به. يدلّ على الاهتزاز، والاضطراب، وتكرار الحركة"[32]. ولا شكّ أن تكرار الحركة تؤدي إلى تردّد الإيقاع بنوعيه الدّاخلي والخارجي، وبالتّالي شيوعه في كافة أجزاء الأنشودة أو القصيدة.

بينما حرف الباء الذي جاء رويًّا في المرتبة الثّانيّة على عكس حرف النّون فهو حرفٌ مجهور شديد "يشبه شكله في السّريانيّة شكل البيت. يدل على الامتلاء، والاتساع، والعلو ماديًّا ومعنويًّا بما يحاكي انفتاح الفم على مداه عند خروج صوت الباء. وعلى الانبثاق، والظّهور، والانفراج. وتدل على الحفر والشّق، والبعج، والقطع، والشّدة...والبعثرة، والتّبديد"[33].

وبهذه الخصائص الدّلاليّة، فإنَّ حرف الباء على عكس حرف النّون لنستشفّ أنَّ شاعر الأطفال أراد المجاورة في أناشيده بين الحروف المهموسة الرّخوة، وبين الحروف المجهورة الشّديدة، وهذا بحسب الأغراض الشّعريّة والموضوعات التي تعالجها الأناشيد، وحتى يكون المزيج بين الأصوات والإيقاعات.

ب-لقب القافيّة: بالنّظر إلى ألقاب القوافي في الأناشيد المدرسيّة فقد جاءت متنوّعة أيضًا، إذْ احتلَّت المرتبة الأولى القافيّة المتواترة "/0/0" التي تردَّدت (03 مرّات) مناصفة مع القافيّة المترادفة "/00"، ثم جاءت في المرتبة الثّانيّة كل من القافيّة المتداركة "/0//0" التي ترددت (02 مرتين) مناصفة مع القافيّة المتراكبة "/0///0".

ولعلَّ هذا التّنوّع في ألقاب القوافي الغرض منه هو المزج بين إيقاعات عديدة، والقضاء على رتابة الإيقاع الأحادي، كما نسجل الغياب الكليِّ للقافيّة المتكاوسة (/0////0) وهي كلّ قافيّة توالتّ فيها أربع حركات بين آخر ساكنين. وهذا لثقل هذا النّوع من القوافي فأربع حركات متتاليّة تولّد الرّتابة والملل للمستمع.

ج-أنواع القافيّة: جاءت أنواع القافيّة في الأناشيد مقيَّدة (ثماني 08 مرّات)، ومطلقة (ستّ 06 مرّات) وهي نسبٌ جدّ متقاربة، لأنّ الأناشيد تحتمل حروف رويها الإطلاق والتّقييّد بحسب الموضوع المعبّر عنه، ولعلّ هذا التّنوّع هو ما يخلق ويشيع إيقاعات مختلفة في النّشيد يطرب لها الطّفل المتلقّي.

د-رصد بعض الهنَّات العَروضيّة واللّغويّة: رصدنا في كتاب اللّغة العربيّة للسنة الثّالثة ابتدائي بعض الهنَّات والتي نثبتها كما يلي:

أ-نشيد الأبوّة والطّفولة: هو نشيد للشَّاعر: "عبد الحميد ضحى"، وقد جاء على مجزوء بحر الوافر اعتمد الشّاعر فيه على تقنيّة الحوار بين الأب والابن وقد جاء فيه قوله:

أبي يَا أَجْمَلَ الْكَلِمَاتِ وَأَعْذَبَها على قَلْبِي[34].الابن:

0/0/0//-0///0// /0///0//-0/0/0//

نلاحظ جليًّا زيادة حركة(/) في آخر صدر البيت، وهذا غير معمول به في علم العروض، والقاعدة أنّ العربَ لا تقف على متحرك، ومن الزّحافات والعلل

التي تدخل على بحر الوافر نجد: (العصب والقطف، العقل، النّقص، الخرم) ومنهم من أضاف الكفّ.

ب–قصيد: مرحبا رمضان: نلاحظ في قصيد مرحبا رمضان للشّاعر" عبد المجيد آيت عبو" والذي جاء على مجزوء بحر الكامل. ورود عديد الهنّات البيِّنة في تنوّع حرف الرّويّ، فقد جاء حرف الرّوي في الأبيات الأربعة الأولى هو حرف العين موصولة بالهاء المتحركة بالكسر، ثم يأتي حرف الرّوي بعدها الهمزة موصولة بالهاء المتحركة بالكسر، ثم حرف الرّوي اللام الموصولة بالهاء المتحرّكة بالكسر، ثم حرف الرّوي الرّاء موصولة بالهاء المتحركة بالكسر، وهذا الأمر لا يتمشّى مع طبيعة الشّعر العربي العمودي المتوارث عبر الأجيال وللإيضاح أكثر نورد الأبيات مثلما هي مرسومة في الكتاب:

قَدْ عادَ يشْرقُ بالهُـدَى .... يَا مَرْحَبًا برُجُوعِـــهِ
شَهْرُ العِبَادَةِ والتّقــرُّبِ .... والرّضَا بِقَضَائِـــــهِ
شَهْرٌ تزَّينَ كَالْعَـــروسِ .... مُفَاخِرًا بجَمالِـــهِ
أهْلًا وسَهْلاً عِمْ بِـــــهِ .... شَهْرًا يهِــلُّ بخَيــرِهِ[35]

ج–نشيد الطّبيعة: نشيد الطّبيعة للشّاعر: "عبد الله خمَّار"، والذي جاء على مجزوء بحر الرّجز مع التّنوع في حروف الرّوي، وتوحيد قافيّة الصّدر والعجز في كلِّ بيتين. نعثر في هذا النّشيد على خطأ نحويٍّ شنيعٍ في قوله:

جَوٌّ بلا **تَلَوُّثٌ** تَطيبُ فيه البِيئَةْ[36].

والخطأُ النّحوي بيّنٌ لا يحتاجُ إلى تعليق.

د–قصيد النّحت: قصيد النّحت للأديبة جميلة زنير، والذي جاء على مجزوء بحر الرّجز، نعثر فيه على بعض الهنات منها ما هو متعلّق بالقافيّة، ومنها ما هو متعلق بالعروض، وسنثبت هنا كلّ الأبيات للتوضيح:

وَتُبْدِعُ الأنـــــامِلُ *** فَتَنْحتُ **الأَحْجَـــــارَ**
وَتُنْجِزُ **الألْـــــواحَ** *** وتَنْقِبُ **الأسْـــــوَارَ**

وَتحْفرُ **النّحَـــــاسَ** *** وتنْقُشُ **الْجِـــــــدارَ**

تُجسِّدُ أشْكـــــــالاً *** وتكْشِفُ أَسْـــــــرارَا

كان من المفروض أن يوصل حرف الرّوي بالألف إشباعًا في الأبيات الثّلاثة الأولى، فتأتي كالآتي: الأحجارَا، الأسوارَا، الجدارَا. والعرب كما سبق وقلنا لا تقف في كلامها على متحرّك مطلقًا.

كما توجد هناك هنّات عروضيّة في صدر البيتين الثّاني والثّالث:

وَتُنْجِزُ **الألْواحَ** //0//0 /**0/0**/، وَتحْفرُ **النّحَاسَ** //0//0 //**0**/

فالتّفعيلة مستفعلن /0/0//0 تأتي غالبًا صحيحة في عروض بحر الرّجز ورغم أنّ بحر الرّجز تدخل عليه عديدٌ من الزّحافات والعلل أمثال: (الخبن الطّي، الخبل، القطع) أمّا التّذييل فهو نادر، إلاّ أنّ التّفعيلة مستفعلن/0/0//0. جاءت على صورة (مستفعِ/0/0/)، و(متفعِ//0/) بالوقوف على المتحرّك في آخر التّفعيلة، وهذا غير وارد في علم العروض، رغم أنّ بحر الرّجز يعرف بحمار الشّعراء نظرا للجوازات العديدة التي تطرأ عليه.

في الأخير نشير إلى أنّ الكتابة للأطفال هي من أصعب الكتابات ولا يستطيع أن يخوض فيها كلّ من هبَّ ودبَّ، فكاتب الأطفال عليه أن يحيط بكثير أو بقليل من علم النّفس للطفل، وأن يحدّد مستوى الأطفال الذين يودّ مخاطبتهم، وعليه أن يكون متحكّما في فنّه لغةً وآداءً، وأن يتوخّى اللفظة الرّشيقة والفكرة العميقة، والأسلوب السّهل الجذاب.

ولذا نقترح أن تكون لجنة انتقاء النّصوص المدرسيّة مكونة من أدباء بالأساس شعراء وقصّاصيين وروائيين فهم أدرى بخفايا جماليات فنّهم، ولا ينتقى كلّ من هبَّ ودبَّ من النّصوص ما لا تتوفّر فيها الشّروط المطلوبة.

المصادر والمراجع:

1-عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، إصدارات رابطة الفكر والإبداع بالوادي، شركة مزوار للطباعة والنّشر والإشهار والتّوزيع الوادي، د. ط، د. ت، ص 03.

2-حسام الجمل، موسوعة أدب الأطفال، دار الأيام للنشر والتّوزيع، الأردن، ط.1، 2016 ص100.

3-العيد جلولي، النّص الشّعري الموجه للأطفال في الجزائر دراسة، موفم للنشر، الجزائر 2008، د. ط، ص 113.

4-كريم الوائلي، جماليات التّشكيل الإيقاعي في القصيدة العربيّة الحديثة، مركز الأبحاث Kuwait25.com.

5-فايز الدّاية، جماليات الأسلوب الصّورة الفنيّة في الأدب العربي دراسات أسلوبيّة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط.2، 1990، ص 35.

6-محمد الصّالح خرفي، هكذا تكلّم الشّعراء حوارات شعريّة نقديّة، ج.1، منشورات جامعة جيجل، ط.1، مارس 2004، ص 68.

7-عبد القادر الرّباعي، جماليات المعنى الشّعري التّشكيل والتّأويل، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط.1، 1998، ص177.

8-محمد بري العواني، الظّاهرة الإيقاعيّة بين الشّعر والموسيقى، مجلة الموقف الأدبي اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع.360، نيسان.

9-إبراهيم رماني، أوراق في النّقد الأدبي، دار الشّهاب، باتنة، ط.1 1985، ص136 137.

10-سليمان العيسى، ديوان الأطفال، دار الفكر للطباعة والتّوزيع والنّشر دمشق، ط.1 1999، ص18.

11-عائدة بومنجل، شعر الأطفال في الجزائر دراسة، الطّباعة الشّعبيّة للجيش، الجزائر 2007، ص109.

12-علي علي مصطفى صبح، من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبيّة والنّقديّة، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 55.

13-مختار ملاس، دلالة الأشياء في الشّعر العربي الحديث، عبد الله البردوني نموذجا إصدارات رابطة إبداع الثّقافيّة، الجزائر، ص37.

14-ينظر: أحمد جاب الله، التّشاكل والتّباين في لاميّة العرب، محاضرات الملتقى الوطني الثّاني السّيمياء والنّص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، 2002، ص95.

15-حسني عبد الجليل يوسف، علم القافيّة عند القدماء والمحدثين، مؤسسة المختار للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط.1، 2005، ص 77.

16-سليمان البستاني، إلياذة هوميروس "معربة نظما"، ج.1، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ط، د.ت، ص 93.

17-حبيب مونسي، توترات الإبداع الشّعري، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط د.ت، ص 47.

18-بن الصّيد بورني سراب وآخرون، اللّغة العربيّة 3 ابتدائي، الدّيوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة السّنة الدّراسيّة 2019-2020، طبعة منقحة 2019-2020، ص 21.

الهوامش:

[1]-عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، إصدارات رابطة الفكر والإبداع بالوادي، شركة مزوار للطباعة والنّشر والإشهار والتّوزيع الوادي، د. ط، د.ت، ص 03.

[2]-المرجع نفسه، ص 06.

[3]-المرجع نفسه، ص 07.

[4]-حسام الجمل، موسوعة أدب الأطفال، دار الأيام للنشر والتّوزيع، الأردن، ط.1 2016 ص100.

[5]-العيد جلولي، النّص الشّعري الموجه للأطفال في الجزائر دراسة، موفم للنشر، الجزائر 2008، د. ط، ص 113.

[6]-كريم الوائلي، جماليات التّشكيل الإيقاعي في القصيدة العربيّة الحديثة، مركز الأبحاث Kuwait25.com

[7]-فايز الدّاية، جماليات الأسلوب الصّورة الفنيّة في الأدب العربي دراسات أسلوبيّة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط.2، 1990، ص 35.

[8]-العيد جلولي، النّص الشّعري الموجه للأطفال في الجزائر، ص 122، 123.

[9]-محمد الصّالح خرفي، هكذا تكلم الشّعراء حوارات شعريّة نقديّة، ج.1، منشورات جامعة جيجل، ط.1، مارس 2004، ص 68.

[10]–عبد القادر الرّباعي، جماليات المعنى الشّعري التّشكيل والتّأويل، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، ط.1، 1998، ص177.

[11]–محمد بري العواني، الظّاهرة الإيقاعيّة بين الشّعر والموسيقا، مجلة الموقف الأدبي اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ع.360، نيسان.

[12]–عبد القادر الرّباعي، جماليات المعنى الشّعري التّشكيل والتّأويل، ص34.

[13]–إبراهيم رماني، أوراق في النّقد الأدبي، دار الشّهاب، باتنة، ط.1، 1985، ص136 137.

[14]–المرجع نفسه، ص 130.

[15]–سليمان العيسى، ديوان الأطفال، دار الفكر للطباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق، ط.1 1999، ص18.

[16]–عائدة بومنجل، شعر الأطفال في الجزائر دراسة، الطّباعة الشّعبيّة للجيش، الجزائر 2007، ص109.

[17]–المرجع نفسه، ص73.

[18]–العيد جلولي، النّص الشّعري الموجه للأطفال في الجزائر دراسة، ص 120.

[19]–سليمان العيسى، ديوان الأطفال، ص 19.

[20]–علي علي مصطفى صبح، من الأدب الحديث في ضوء المذاهب الأدبيّة والنّقديّة، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 55.

[21]–عادل محلو وأحمد زغب، دراسات في أدب الأطفال، ص 11.

[22]–المرجع نفسه، ص 11.

[23]–المرجع نفسه، ص 72.

[24]–مختار ملاس، دلالة الأشياء في الشّعر العربي الحديث، عبد الله البردوني نموذجا إصدارات رابطة إبداع الثّقافيّة، الجزائر، ص37.

[25]–ينظر: أحمد جاب الله، التّشاكل والتّباين في لاميّة العرب، محاضرات الملتقى الوطني الثّاني السّيمياء والنّص الأدبي، منشورات جامعة محمد خيضر بسكرة، 2002، ص 95.

[26]–حسني عبد الجليل يوسف، علم القافيّة عند القدماء والمحدثين، مؤسّسة المختار للنشر والتّوزيع، القاهرة، ط.1، 2005، ص 77.

[27]–سليمان البستاني، إلياذة هوميروس "معربة نظما"، ج.1، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ط، د.ت، ص 93.

[28]–المرجع نفسه، ص 93، 94.

[29]–المرجع نفسه، ص 95.

[30]–المرجع نفسه، ص 96.

[31]–المرجع نفسه، ص 97.

[32]–حبيب مونسي، توترات الإبداع الشّعري، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، د.ط د.ت، ص 47.

[33]–المرجع نفسه، ص 44.

[34]–بن الصّيد بورني سراب وآخرون، اللّغة العربيّة 3 ابتدائي، الدّيوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة السّنة الدّراسيّة 2019–2020، طبعة منقحة 2019–2020، ص 21.

[35]–المرجع نفسه، ص 38.

[36]–المرجع نفسه، ص 72.

الصّراع بين التّيار الفرنكوفوني والتّيار العروبيّ حول أسباب تدهور المستوى التّعليميّ في الجزائر

Multilinguism and cultural diversity in Algeria, and their impact of the linguistic and cognitive acquisition within the Algerian students.

أ. لوهاب حدرباش♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-026-067-011 DOI

تاريخ الاستلام: 13-05-2022 تاريخ القبــول: 31-07-2024

ملخّص: يعالج المقال موضوع المشاكل التي تعاني منها المنظومة التّعليميّة في الجزائر، والتي كانت خلف عجز قطاع التّعليم بمختلف أطواره على تقديم تكوين عال المستوى وذي جودة عالميّة. كما تطرّق إلى التّعدد اللّغويّ في الجزائر والاختلاف القائم حول لغة التّدريس بين التّيار الفرانكفوني والتّيار العروبي، فطرح التّيار الفرانكفوني تارة اللّغة الفرنسيّة وتارة اللهجة المحليّة كبديل للتدريس بالعربيّة، مقدّما في ذلك عدّة مبرّرات، في حين سارع التّيار العروبي إلى الدّفاع عن لغة القرآن مفنّدًا كل مبررات التّيار الأوّل، منها فكرة اعتبار اللّغة الفرنسيّة لغة العلم في الوقت الحاضر مقارنة باللّغات الأكثر انتشارا في العالم على غرار الإنكليزيّة.

♥قسم العلوم السّياسيّة جامعة مولود معمري تيزي_وزو، الجزائر، البريد الإلكتروني: louhab.haderbache@ummto.dz (المؤلّف المرسل).

تهدف الدّراسة إلى تبيان الوضع الذي تعيشه المنظومة التّكوينيّة في الجزائر ومختلف معاناة عناصرها الأساسيّة والصّعوبات التي تقف حاجزا في وجه النّهوض بهذا القطاع، وكذا توضيح دور اللّغة بصفة عامّة في العمليّة التّكوينيّة، واللّغة الكفيلة برفع مستوى التّعليم في البلاد، وفي سبيل ذلك اعتمد الباحث على الأساليب الميدانيّة لجمع البيانات، والمنهج التّجريبي والمقارن لتحليلها. ومن أبرز النّتائج المتوصل إليها ضرورة إحاطة هذا القطاع من طرف الدّولة برعاية خاصّة من الجانب المادي، وحمايته من الصّراعات الإيديولوجيّة بين مختلف أطياف المجتمع.

كلمات مفتاحيّة: التّعليم؛ التّدريس؛ اللّغة؛ اللهجة؛ التّعدد اللّغويّ.

Abstract: The article addresses the problems experienced by Algeria's educational system, which were behind the inability of the education sector in all its cycles to provide high-level and world-quality training. It treats also multilingualism in Algeria and the existing discontent about the language of teaching between French speaking elite and the Arabic speakers. The Francophone movement sometimes proposes the French language and in other times the local dialect as an alternative to teaching in Arabic, by demonstrating several justifications, while the Arab movement has quick to defended the language of the Koran, refuting all the justifications of the first movement, refuting the notion that French is currently the language of science compared to the world's most widely spoken language like English .

The study aims at illustrating the situation of Algeria's formative system, the various suffering of its basic components and the difficulties that hinders the promotion of this sector. It also clarifies the role of the language in general in the formative process and the language that will

improve the level of education in the country. In this regard, the researcher relied on field methods for data collection and the experimental and comparative methodology for its analysis. One of the most important findings is the need for the State to take special care of this sector from the material side and to protect it from ideological conflicts across different communities of the society.

Keywords: education; teaching; language; dialect; multilingualism.

1. مقدّمة: كثر الحديث مؤخّرًا في الجزائر عن اللّغة الواجب اعتمادها في عمليّة التّدريس للارتقاء بمستواه، وتحسين نوعيته، ولم يبق الجدل حبيس دوائر صنع القرار، وإنّما صار موضوعا للنقاش في المجتمع من طرف العام والخاص. ويمكن التّمييز في هذا الصّدد بين فريقين: الأوّل ويمكن وصفه بأنّه ينتمي إلى التّيار الحداثي الغربي، الذي يرى أنّه لتحسين التّعليم لا بد من التّخلي عن اللّغة العربيّة والعودة إلى اللّغة الفرنسيّة، التي ستجعله يرتقي إلى المستويات العالميّة، وفي ذلك هم يحمّلون اللّغة العربيّة مسؤوليّة تدهور التّعليم في المدارس والجامعات الجزائريّة، ومن ثم جاءت مطالب الطّلبة في بعض الجامعات بضرورة التّدريس باللّغة الفرنسيّة. وفي المقابل يدافع التّيار المحافظ – الذي ينتمي في غالبه إلى التّيار القومي والإسلامي – بشراسة عن اللّغة العربيّة، وعن عمليّة التّعريب كمكسب سيادي لا يمكن التّنازل عنه في أي حال من الأحوال.

وانطلاقا ممّا سبق سيبحث هذا المقال فيما إذا كان للغة بعينها علاقة بتدهور أو رقي التّعليم أم أنّ جميعها أدوات للتواصل ولا فرق بينها، ومن ثمّة يطرح التّساؤل التّالي: هل التّدريس بالعربيّة الفصحى في الجزائر هو سبب تدهور مستوى التّعليم في الجزائر؟

ويتفرع التّساؤل السّابق إلى الأسئلة التّاليّة:

– ما هي الصّعوبات التي تعاني منها المنظومة التّعليميّة في الجزائر؟

–ما هو الواقع اللّغويّ الذي تعيشه الجزائر؟

–كيف انعكس ذلك الواقع على السّياسات التّعليميّة في الجزائر؟

وللإجابة عنها تم تبني الفرضيات التّاليّة:

–كلّما كانت لغة الأم هي لغة التّدريس كلما كان الاكتساب العلمي سهلا على المتمدرس؛

–الجانب المادي للمنظومة التّعليميّة له دور فعال في ترقيّة التّعليم في البلاد؛

–كلّما كانت الإنكليزيّة هي لغة التّدريس كلّما ازدادت جودة التّعليم.

تهدف الدّراسة إلى توضيح دور اللّغة في التّحصيل العلمي الجيد، والنّهوض بالمستوى التّعليمي في الجزائر، موضّحة بذلك المكانة الحقيقيّة التي تحتلها اللّغة الفرنسيّة وسط أكثر اللغات انتشارا في العالم خاصّة الإنكليزيّة، وكيف أنّ العديد من المراكز البحثيّة في فرنسا تتعامل باللّغة الإنكليزيّة بدلا من لغة الأم التي تشبثت بها شريحة واسعة من النّخبة المثقّفة وصناع القرار بالجزائر.

وفي سبيل ذلك اعتمد الباحث على جملة من أدوات البحث العلمي لجمع البيانات، ففي المرحلة الاستكشافيّة اطلع على بعض المقالات والكتب ذات الصّلة بالموضوع، وباعتباره ينتمي إلى مجتمع الدّراسة فقد وظف طريقة الملاحظة المباشرة سواء من خلال تفاعله مع الطّلبة في قاعات التّدريس أم عند الاطلاع على مختلف أعمالهم، وكذا الاعتماد على أداة المقابلة والأسئلة المباشرة للأساتذة بخصوص مهنة التّدريس. أمّا بخصوص مناهج البحث فقد تم الاعتماد على المنهج التّجريبي القائم على الملاحظة ثم تحليل البيانات وتفسيرها للوصول إلى النّتائج، وكذا الارتكاز على المنهج المقارن لتوضيح أوجه التّشابه والاختلاف بين العديد من الحالات والتّجارب التّعليميّة، وكذا المقارنة بين مكانة بعض اللغات العالميّة وأهميتها لترقيّة التّعليم بالجزائر.

2. عناصر العمليّة التّعليميّة: يعد الاستثمار في الموارد البشريّة موردا من موارد الثّروة الدّائمة للدولة، فالكثير من الدّول المصنّفة ضمن كوكبة الأمم لا تملك الكثير من الثّروات الطّبيعيّة، إلاّ أنّ تركيز اهتمامها وجهودها على هذا العنصر سمح لها بتحقيق ما لم تحقّقه الكثير من الدّول الغنيّة، وكذا منافسة القوى الكبرى، على غرار الدّول الاسكندينافيّة ونمور جنوب شرق آسيا. ويمثّل الاهتمام بالتّعليم وما يتعلّق به من مؤسّسات وأفراد وبرامج ومناهج جوهر هذا الاستثمار.

وقد عرف "ليستر سميث (L. Smith) "التّعليم على أنّه" عمليّة مستمرة هدفها تنميّة الفرد وإعداد المواطن وضمان طفولة أسعد للناشئين، وتتشكّل العمليّة التّعليميّة من ثلاثة عناصر هي: المعلّم أو المدرّس، والمتعلّم أو المتمدرس، والمادة موضوع التّعليم" (خوجة، 2014، صفحة 150). أمّا التّدريس فعرفه لبيب رشدي" بأنّه العمل داخل الفصل الدّراسي الذي يوفر الخبرات التّعليميّة بطريقة منظمة ومقصودة " (خوجة، 2014، صفحة 150). فالتّعليم إذن أوسع من التّدريس وأشمل، فهو يطلق على كل عمليّة يقع فيها التّعلّم في المدرسة أو خارجها، عكس التّدريس الذي يعد عملا مخطّطا ومقصودا تتولاه المؤسّسات التّربويّة.

فالعمليّة التّعليميّة كما هو موضح آنفا تتشكل من العناصر التّاليّة:

1.2 المُدرِّس: هو العنصر الرّئيسي في العمليّة التّكوينيّة، يُفترض أن تتوفّر فيه مجموعة من المؤهّلات والكفاءات، منها:

-فهم العمليّة التّعليميّة وخصائص المرحلة العمريّة التي يقوم بتدريسها؛

-التّحكّم الجيد في المادة التّعليميّة سواء من حيث المعلومات والمعطيات والدّراية التّامّة بالأهداف البيداغوجيّة المراد تحقيقها من تدريس مادته؛

-القدرة على التّحكّم في المجموعة، ومعرفة مدى استعدادهم للتعلّم ومستويات ذكائهم.

2.2 المتعلّم: وهو المستهدف من التّعليم، لذا يجب أن يحاط برعاية تامّة ووضعه في بيئة ملائمة تسمح له بتلقي المعرفة، وهذا بالاطلاع على ظروفه الاجتماعيّة والنّفسيّة، وإمكاناته الفكريّة والجسديّة.

3.2 المادة التّعليميّة: وهي موضوع العمليّة التّعليميّة، وتتشكل من مقرّرات وبرامج تصاغ حسب مميّزات كل مرحلة عمريّة يمر بها المتمدرس، وقد اعتمدت المدرسة الجزائريّة عدة مقاربات تدريسيّة كانت آخرها المقاربة بالكفاءة المعتمدة منذ سنة 2003م، التي تجعل من المتعلّم محور العمليّة التّعليميّة.

3. واقع التّعليم في الجزائر: يتطلّب الحصول على تعليم راق وذي نوعيّة التّكفل الجيد بهذه العناصر الثّلاث، وممّا لا شكّ فيه أنّ التّعليم في الجزائر لم يرق إلى المستويات العالميّة شأنه شأن التّعليم في أغلب الدّول العربيّة حيث يعيش حالة من الضّعف وقلة الجودة ومحدوديّة الأثر (التّويجري، 2013 صفحة 15)، فلم تعد المنظومة التّربويّة تخرّج كفاءات قادرة على رفع التّحدي وهو ما أكدته التّقارير التّنمويّة التي نصحت ضرورة إعادة النّظر فيها. فقد ذكر تقرير البنك الدّولي الصّادر سنة 2008م أنّ هناك فجوة بين ما تقدّمه أنظمة التّربيّة العربيّة وحاجات التّنميّة وأهدافها، كما أكد تقرير التّنميّة البشريّة العربيّة الصّادر عن برنامج الأمم المتحدّة الإنمائي لعام 2002م على أنّ هناك أدلة على تدهور نوعيّة التّعليم في المنطقة العربيّة، وعلى هذه الدّول التّفكير العميق في كيفيّة تنظيم التّعليم ودفعه إلى الأمام لضمان التّطور المستدام للقدرة على المنافسة في اقتصاد عالمي متغيّر ومتطوّر. (بلعيد، 2014، صفحة 15).

فلم تشكل المنظومة الجزائريّة للتعليم استثناء، فحتى هي تعاني من الضّعف، رغم جملة الإصلاحات التي بادرتها الجهات الوصيّة، بداية بالمرحلة الإصلاحيّة التي شملت مرحلتين أساسيتين، هما مرحلة تعميم المدرسة الأساسيّة (1980م–1990م) والتي تعتبر بداية التّطبيق الفعلي للإصلاح التّربوي المنبثق عن الأمر الصّادر بتاريخ 1976.04.16م الذي نص على

ربط التّعليم بالحياة العمليّة، ومجانيّة التّعليم وإجباريّة التّعليم الأساسي، ثم مرحلة تفعيل المدرسة الأساسيّة بربطها بالتّعليم الثّانوي والتّقني والتّكوين المهني (العزيز، 14)، ثم تلتها الإصلاحات الجذريّة لسنة 2003م وما جاء بعدها، إلاّ أنّها لم تأت أُكلها بل ازدادت المدرسة الجزائريّة تقهقرا، فأضحت مركزا للعنف واللامبالاة، وتبادل التّهم بين الأطراف الفاعلة فيها بدلا من العمل على سبيل إخراجها من هذا النّفق المظلم.

1.3 وضع المدرسين: يعد الإصلاح إصلاحا حقيقيا وفعالا إذا شمل عناصر العمليّة التّعليميّة السّالفة الذّكر، فأوّل من يجب أن يمسّه الإصلاح هو المُدرس، ومن مختلف الجوانب: منها ما يتعلق بالجانب العلمي والبيداغوجي بإيلاء أهميّة قصوى لتكوين المعلّم المستمر علميا وبيداغوجيا، والعمل على تحسين ظروفه الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وأخيرا أن تعمل الإدارة على توفير المناخ الملائم للعمل والبذل. (السّايب، 2011، صفحة 443).

عند العودة إلى واقع المُدرس يتّضح أنّ ما هو كائن لا يساير تماما ما يجب أن يكون، فمن بين أسباب تراجع مستوى المدرسة الجزائريّة جهل العديد من المدرسين لأصول التّدريس، وعدم تمكنهم في استعمال الطّرائق التّربويّة الحديثة، ونفورهم من وسائل الإيضاح. (بوعلي، 2016، صفحة 150) وذلك لا يعزى بالأساس إلى إهمال أو تقاعس المدرس، وإنّما له ما يبرره، فمن بين الصّعوبات التي يتلقاها بعض المدرسين التّدريس خارج مجال التّخصّص، وهذا المشكل مطروح منذ الاستقلال إلى اليوم، فمن السّتينيات إلى غاية مطلع القرن الجديد كانت العديد من المؤسّسات التّعليميّة تشكو من نقص في الموارد البشريّة وبالتّالي لم يكن بوسعها الاختيار ممّا هو متاح، فكان التّوظيف على أساس الشّهادات دون النّظر إلى الإمكانيات والقدرة على التّدريس، فكثيرا ما تم توظيف أستاذ في اللغات الأجنبيّة لمجرد أنّه درس في الجامعة بتلك اللّغة، وفي العديد من الأحيان يكلف بتدريس مادة قريبة فقط من تخصّصه. غير أنّ هذا

الإشكال تم تداركه منذ سبتمبر 2003م على مستوى التّعليم الأساسي والثّانوي حيث لم يعد مسموحًا للمتحصلين على شهادة ليسانس خارج التّخصّص التّدريس في الطّور الثّاني والثّالث، وتوظيفهم فقط في الطّور الأوّل عندما تقتضي الضّرورة، فلم يعد خريجو أقسام العلوم السّياسيّة والحقوق وعلم الاجتماع مثلا يدرسون إلاّ في المدارس الابتدائيّة.

وقد ازداد الأمر تعقيدا بعد إصلاحات 2003م بقطاع التّربيّة وبداية نظام "ل.م.د" بالجامعة، فتوصلت دراسة حول المقاربة بالكفاءة إلى أنّه لا يوجد حاليا فرق بين المعلّمين الذين تخرجوا من معاهد إعداد المعلّمين في الثّمانينيات والذين تم توظيفهم مباشرة دون تكوين، لعدم فهمهم لهذه المقاربة (السّايب 2011، صفحة 443). أمّا في الجامعة فحدث ولا حرج، فمن مارس 2012م إلى غاية كتابة هذه السّطور درّس كاتب المقال ما يزيد عن عشرين مقياسًا معظمها جديدة عليه، وبالتّالي لا يكاد يتحكّم في إحداها حتى يتم تكليفه بمقاييس أخرى، وهو حال العديد من أساتذة التّعليم العالي في الوقت الحاضر علمًا أنّ الأستاذ الجامعي لا يستفيد من أي دورة تكوينيّة بشأن تقنيات التّدريس والتّكوين، ما جعل من التّدريس مصدر قلق وارتباك للعديد من ممتهنيه.

وإلى جانب نقص التّكوين يعاني المدرسون من مشكلة اكتظاظ الأقسام بالمتمدرسين مع مشكلة تفاوت مستواهم، ففي ابتدائيّة عيساوي رابح ببرج منايل – مثلا –لا يقل عدد تلاميذ أفواج السّنة الثّانيّة عن تسعة وثلاثين تلميذًا، أمّا أقسام السّنة الخامسة فلا يقل عددهم عن ثمانيّة وثلاثين تلميذًا في الفوج، في الوقت الذي لا يتعدى الوقت المخصّص للحصّة خمسة وأربعين دقيقة. أمّا في قسم العلوم السّياسيّة بجامعة مولود معمري فلا يقل عدد طلبة أفواج الماستر عن خمسة وثلاثين طالبًا، في الوقت الذي يتجاوز العدد بكثير في أقسام الحقوق والعلوم الاقتصاديّة.

ولم يكن الجانب الاقتصادي والاجتماعي أحسن من الجانب العلمي والتّكويني للمدرس على مختلف المستويات، فإذا كان الرّاتب الشّهري للأستاذ المساعد قسم "ب" لا يتعدى سبعة وأربعين ألف دينار، فإنّ راتب المعلّم الابتدائي الجديد لا يتعدّى ثلاثين ألف دينار جزائري، وبين العتبتين يتراوح راتب المدرس في التّعليم المتوسّط والثّانوي، وهو راتب لا يمكنه أن يغطّي التّكاليف الشّهريّة لأسرة تتكون من أربعة أفراد في الظّروف العاديّة ناهيك عن الحالات الطّارئة، ما يجعل حلم الارتقاء في المستوى المعيشي مؤجّل إلى حين، ويأتي في مقدّمة قائمة هذه الأحلام الحصول على بيت مستقر يقع في حي هادئ يوفّر الجو المناسب للمطالعة وتحضير الدّروس بطريقة لائقة، والحقيقة التي يعيشها معظم المدرسين هو عدم امتلاكهم لمكتب قار بهم سواء في منازلهم أم في أماكن عملهم على عكس معظم أساتذة الجامعات العربيّة وليس الغربيّة.

2.3 وضع المتمدرسين: يحظى المتمدرسون في الدّول الاسكندينافيّة برعاية خاصّة، فلم تكتف الجهات الوصيّة بالاعتناء بهم في المؤسّسات التّعليميّة فقط وإنّما يتم متابعة ظروفهم حتى في وسطهم الأسري، فالتّحصيل الجيد يتطلّب إضافة للقدرات الذّهنيّة توفير إمكانيات ماديّة كالغذاء الكامل، واللباس الدّافئ ووسائل النّقل، وأدوات الدّراسة بمختلف أنواعها. إلاّ أنّ أوضاع العديد من العائلات الجزائريّة لا تسمح بتوفير الماديات الضّروريّة، كما تظن العديد منها أنّ المدرسة كفيلة بمفردها تعليم أبنائها فلا تضطلع بوظيفة الرّقابة في المنزل في الوقت الذي تعرف فيه المناهج التّعليميّة اكتظاظا يعجز المدرس بمفرده تحقيق كل الأهداف البيداغوجيّة المرجوة.

إضافة إلى تردي أوضاع العديد من الأسر الجزائريّة حيث انهارت المنظومة القيميّة للمجتمع، وهو ما تعكسه العديد من الأقوال والعبارات الشّائعة، منها: "لي قرا قرا بكري بمعنى: انتهى عهد التّعليم"، "قريتوا نتم واش درتو أي ماذا فعلتم بدراستكم وشهاداتكم"، وغيرها. وكلّها تعكس تدني المكانة الاجتماعيّة

للمتعلّم والتّعليم بصفة عامّة، وصرف النّظر نحو المجالات الأكثر ربحًا كالتّجارة والرّياضة.

بالإضافة لما سبق، يعد العام الدّراسي في الجزائر جد قصير، ما يقلص من حجم المعلومات التي يتحصّل عليها المتمدرس، ويؤثر سلبًا على ديناميكيّة الفكر. وهذه المشكلة تعني كل مستويات التّعليم، إلاّ أنّها أكثر حدة في الجامعات، فإذا كان الموسم الدّراسي يبدأ على العموم في منتصف شهر سبتمبر بالنّسبة لمستويات ما قبل الجامعة فإنّ الدّراسة في هذه الأخيرة تبدأ في أحسن الأحوال مع بداية شهر أكتوبر، وتنتهي مع بداية الأسبوع الثّالث من شهر ماي. ويتخلّل هذه المدة فترة الامتحانات وعطلتا الشّتاء والرّبيع، ما يوحي بأنّ العام الدّراسي لا يتعدي ستة أشهر، والباقي عبارة عن عطل وامتحانات.

3.3 وضع المؤسّسات التّعليميّة: ممّا لا شكّ فيه أن تزويد المؤسّسات التّعليميّة بالوسائل الحديثة من شأنه تسهيل عمليّة التّدريس والتّحصيل العلمي معًا، ففي الوقت الذي يعرف فيه العالم ثورة في التّكنولوجيّة والاتصالات لا تزال جل المدارس الجزائريّة وجامعاتها مجهزة بالتّجهيزات التّقليديّة، فأغلبيّة أقسامها لا تزال تعتمد على السّبورة الخشبيّة والطّباشير، وغير مجهزة بالمكيفات الهوائيّة. كما أنّ معظم هذه المؤسّسات تم تشييدها في المناطق الحضريّة دون تزويدها بوسائل عزل الصّوت، ما يعرقل عمليّة التّركيز بسبب ضوضاء الشّوارع وضجيجه، وهي كلّها ظروف تقلل من حجم التّحصيل.

إذن هذا هو وضع المنظومة التّعليميّة في الجزائر، وبدلا من تكثيف الجهود وتركيزها لإيجاد مكمن الضّعف فيها، ثم معالجة أسبابه لدفعها إلى الأمام لتلعب دورها كنظيراتها في الدّول المتطوّرة في تكوين الأجيال القادرة على رفع التّحدي، ذهب كل طرف يُحمِل مسؤوليّة الإخفاق للطرف الآخر، ومن بين الأطراف المتصارعة والمتناطحة فيما بينها التّيار الفرانكفوني الذي يرد السّبب إلى التّدريس بالعربيّة الفصحى، والتّيار العروبي الذي يرجع انتكاسة المنظومة

التّعليميّة إلى مختلف الإصلاحات التي قادها التّيار الفرانكفوني الرّاميّة إلى تحجيم اللّغة العربيّة وخدمة أغراض دولة أجنبيّة.

4 الواقع اللّغويّ في الجزائر: يطلق لفظ اللّغة على اللسان والنّطق معًا فيقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون بها (جياب، 2014، صفحة 105)، وتعرف كذلك على أنّها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" (مليكة، 2016، صفحة 175). أمّا اصطلاحا، فعرفها ابن خلدون بأنّها: "عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام" (جياب، 2014، صفحة 105) وعرفها قاموس لاروس لعلم النّفس بأنّها: "ملكة إنسانيّة تعتبر الأداة الأساسيّة للتواصل بالأفكار والمشاعر بين الأفراد، وتعتبر وسيلة التّحليل والتّعبير الفكري لدى الفرد بواسطة جهاز مدعم برموز وإشارات تربط بينها قواعد، ويعبر عنها شفهيا وكتابيا أو بالإشارات" (جياب، 2014، صفحة 106). فاللّغة إذن لا تعدو أن تكون وسيلة للتواصل بين الأفراد باستعمال رموز ومصطلحات تختلف من أمّة لأخرى، وهي وسيلة للتعبير عن المشاعر والأفكار، يكتسبها الفرد عند احتكاكه بالمجتمع.

وهناك مجموعة من المصطلحات ترتبط باللّغة، وهي:

1.4 الازدواجيّة اللّغويّة (Linquistic Deglossia) : عرفها الأمريكي شارل فيرغسون (Charles Ferguson) سنة 1959م بأنّها "وضع مستقر نسبيا توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرّئيسيّة للغة لغة تختلف عنها، وهي مقننة بشكل متقن، وهي بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم يتم تعلّم هذه اللّغة الرّاقيّة عن طريق التّربيّة الرّسميّة، لكن لا تستخدمها الأغلبيّة من المجتمع في أحاديثهم الاعتياديّة" (حسني، 2014 صفحة 107). فالازدواجيّة اللّغويّة حسب فيرغسون هي انقسام اللّغة إلى مستويين: مستوى راق مقنن ومضبوط، وهو لسان الأدب توظفه قلة في المجتمع، ومستوى أدنى عام

توظفه الأكثريّة أو ما يعرف بلغة الشّارع حيث لا تخضع لضوابط اللّغة وقواعدها.

2.4 الثّنائيّة اللّغويّة (Bilingualism): هناك من يرى أنّ الثّنائيّة اللّغويّة هي عينها الازدواجيّة اللّغويّة، في حين يرى ميشال زكرياء أنّ الثّنائيّة اللّغويّة هي الوضع اللّغويّ لشخص ما أو جماعة تتقن لغتين، تستعملهما بالتّناوب حسب الظّروف والبيئة اللّغويّة (حسني، 2014، الصّفحات 109-110) ، كما هو الوضع في كندا أين يعتمد أفرادها على الإنكليزيّة والفرنسيّة.

3.4 التّداخل اللّغويّ: وهو تحصيل حاصل للازدواجيّة اللّغويّة أو الثّنائيّة اللّغويّة، ويقصد به " الاحتكاك الذي يحدثه المستخدم للغتين أو أكثر في موقف من المواقف، وقد تكون للبيئة الاجتماعيّة التي يعيش فيها الطّفل فعاليّة أكثر في تولد توجه سلبي أو إيجابي تجاه لغة ما أكثر من الأخرى، وهنا يظهر أثر اللّغة الأجنبيّة واللّغة القوميّة" (حسني، 2014، صفحة 110).

وعن الواقع اللّغويّ الجزائري، فإنّه يعرف تمازج هذه المظاهر اللّغويّة الثّلاث، فهي تشهد تعددًا لغويا واضحا، ففيها توظف على الأقل أربع لغات مقسمة إلى قسمين: لغات التّدريس الرّسميّة المعتمدة، وهي العربيّة الفصحى والأمازيغيّة والفرنسيّة والإنكليزيّة، ولغات الأم التي تختلف من منطقة إلى أخرى، وهي قريبة إمّا إلى اللّغة العربيّة الفصحى أو اللّغة الأمازيغيّة.

شكل هذا التّعدد والتّنوع اللّغويّ عوائق لغويّة بالنّسبة لعدد كبير من المتمدرسين الجزائريين، وربّما هو سبب عدم تحكم نسبة كبيرة منهم في أي لغة بشكل سليم، ما أثر سلبا على تحصيلهم الدّراسي، ففي العديد من المرات تفشل نسبة مهمّة منهم على التّعبير الصّحيح عن أفكارهم وما يريدون قوله، وهنا تجد عبارة "يعجز اللّسان عن التّعبير" مكانها. فأصل التّعليم كما يعتقد "دافيد رولان" يكمن في تعلم اللّغة، بمعنى أنّ التّعليم بمجمله هو تعليم اللّغة، فأي قصور أو

اضطراب لغوي سيؤدي لا محالة إلى قصور أو اضطراب في التّعليم. (جياب 2014، صفحة 111).

4.4 هيمنة اللهجات المحليّة على الفصحى في الوطن العربي: يتسم الواقع اللّغويّ في الوطن العربي بصفة عامّة بتعدّد اللهجات وتشعبها، وكل لهجة تختلف اختلافا واضحًا عن الفصحى على مختلف المستويات: الصّرفيّة والنّحويّة والصّوتيّة والدّلاليّة والمعجميّة، وما يزيد الأمر خطورة هو هيمنة هذه اللّهجات المحليّة على العربيّة الفصحى، والسّبب الرّئيسي في ذلك راجع إلى كون أوّل ما يتعلمه الطّفل العربي ويتقنه هو اللهجة، وذلك عن طريق الاكتساب، على عكس الفصحى التي لا يتعلمها إلاّ بعد مرور بضع سنوات على ولادته عن طريق التّعليم الرّسمي بالتّحاقه بالمدرسة، ومن خلال الكتب والأدوات التّعليميّة. ينتج عن ذلك ترسخ اللهجة في ذهنه مقارنة بالفصحى أو لغة التّعليم التي يقترن اكتسابها بنجاعة المناهج التّعليميّة، واستعدادات الطّفل لقبولها وتلقيها. (محمود، 2014، صفحة 126).

فالطّفل العربي عامّة والجزائري خاصّة لمّا يلتحق بالمدرسة يكون قد أتقن بالفعل نظاما لغويا كاملا، ما يجعل كفاءته اللّغويّة الذّهنيّة قد تشكّلت وفقا للهجة المحليّة وليس الفصحى، وهو ما يؤثّر لاحقا في عمليّة التّفكير التي تتم لديه من خلال النّظام اللّغويّ الأكثر رسوخا في الذّهن، فالطّلبة العرب كثيرا ما يفكّرون بلهجتهم المحليّة وليس بلغة التّعليم من خلال ما يعرف بالتّرجمة الذّهنيّة. (محمود، 2014، صفحة 128).

إنّ هيمنة لغة الاكتساب على لغة التّعليم الرّسمي في الجزائر واضح للعيان فهي لغة المنزل والشّارع، واكتسحت مؤخّرًا حتى قاعات الدّراسة ومدرّجات المحاضرات، ناهيك عن وسائل الاتصال والإعلام السّمعيّة البصريّة، بل حتى التّصريحات الرّسميّة لم تعد تلقى بالفصحى إلاّ نادرًا.

انطلاقا من هذا المعطى، اقترح بعض الخبراء بالجزائر اعتماد اللهجات المحليّة للتدريس بدلا من اللّغة العربيّة الفصحى، إذ طرحت لجنة الإصلاح التّربوي في النّدوة الوطنيّة المنعقدة في24 و25 جويليّة 2015م مشروع تدريس السّنة التّحضيريّة والأولى والثّانيّة ابتدائي باللهجات المحليّة، وهذا للاعتبارات التّاليّة: (صالح، 2016، صفحة 270).

-اعتبار الدّارجة مستوى من مستويات العربيّة الفصحى؛

-التّدريس بلغة الأمّة من شأنه تخليص العربيّة من الفرق بين المكتوب والمنطوق؛

-تعدّ الفصحى لغة غريبة عن التّلميذ الجديد، فالدّارجة تسهل له عمليّة الاندماج في المدرسة، لأنّه لا يفهم لغة جديدة خاصّة العربيّة التي تعد لغة صعبة.

هذا الاقتراح لا يخدم بتاتا التّعليم في الجزائر، حيث أنّه سيؤجل التّدريس باللّغة الفصحى إلى غاية السّنة الثّالثّة ابتدائي، الأمر الذي يؤخّر تعلّم التّلميذ اللّغة التي سيدرس بها ما تبقى له من المسار التّعليمي في العديد من التّخصّصات، بدلا من البحث عن حل يقلص سنوات استخدام الطّفل للعاميّة.

إلاّ أنّ هناك من يرفض اعتبار اللهجة المحليّة مستوى أدنى للعربيّة باعتبارها لغة هجينة تتكون من مزيج من مصطلحات عربيّة وفرنسيّة في شمال إفريقيا، وعربيّة وإنكليزيّة في المشرق والخليج العربي. فقد طُلب من تلميذ جزائري أن يصف استعداده للذهاب إلى المدرسة كل صباح، فرد قائلا: "نُوضت أَصْباح، أَغْسلت وجهي، روحت لكوزينا، أقعدت على الطّابلا، دارت لي ماما أومليت في الطّبسي، أكليت حتى شبعت، ألبست مئزري ودرت الكارطابل على ظهري، وروحت ليكول" (صالح، 2016، صفحة 171)، فكما هو ملاحظ استعمل الطّفل مزيجا لغويا بعيدا عن العربيّة الفصحى.

وهنا يتساءل سائل عن المغزى من التّدريس باللهجة، علمًا أنّه في الجزائر لا توجد لهجة واحدة وإنّما تكاد تنفرد كل بلديّة بلهجتها الخاصّة، كذلك ما الفائدة من تدريسها لثلاث سنوات ثم الشّروع في التّدريس بالفصحى؟ وبالتّالي فإنّ هذا الطّرح لا يخدم بتاتا التّحصيل العلمي لدى التّلميذ.

5 تفسير مدافعي اللّغة العربيّة لمحاولات طمس هذه اللّغة: يشكو العديد من مناصري اللّغة العربيّة من اعتماد معظم الكليات العلميّة في الوطن العربي على اللغات الأجنبيّة بدلا من اللّغة العربيّة في التّدريس، نتج عن ذلك انحدار هذه الأخيرة، ففي مقال له صدر في جريدة الأهرام المصريّة يوم 10 جويليّة 1999م تحت عنوان: "مجمع اللّغة العربيّة وتعريب التّعليم العالي" كتب الدّكتور شوقي ضيف قائلا: "... لا ريب في أنّ طلاب الكليات العلميّة يشعرون بغير قليل من الهوان للغتهم العربيّة، إذ يدرسون علومهم بلغات أجنبيّة ولا يجدون للغتهم العربيّة مكانا بينها، ممّا يجعلهم يشعرون بأنّها لغة متخلفة ولا توجد أمّة متقدّمة في العالم تعلم العلوم في جامعاتها بلغة أجنبيّة سوى مصر وبعض البلاد العربيّة، ومعروف أنّ سوريا هي البلد العربي الوحيد الذي يعلّم العلوم الغربيّة في جامعاته بالعربيّة منذ 1920م، ولم يحدث فيه أي خلل أو ضعف" (عثمان، 2015، صفحة 51).

فمن الملاحظ أنّه تشترك جل الدّول العربيّة في تهميش لغتهم، وعدم الاهتمام بها باعتبارها عنوانا للهويّة ووعاء للفكر والثّقافة، ووصل الأمر أحيانا إلى معاداتها والإساءة إليها والتّطاول عليها، والسّعي الحثيث للإضرار بها ومحاربة من يحافظ عليها. وما يثير الاندهاش هو أنّ معارضي هذه اللّغة هم من أصحابها وأهلها، فلم يحدث أن اختلف قوم في الموقف الذي يتخذونه من لغتهم بالقدر الذي يطبع موقف المجتمعات العربيّة من لغتهم. (التّويجري 2015، صفحة 13) وقد حاول الدّكتور عبد العزيز بن عثمان التّويجري – خلال النّدوة العلميّة المنعقدة بالرّباط من 1 إلى 3 نوفمبر 2002م المعنونة

"اللّغة العربيّة... إلى أين؟" – تقديم أسباب المشكلات التي تعاني منها اللّغة العربيّة، والتي يُرجعها إلى توسّع دور اللغات الأجنبيّة على حساب لغة الضّاد والتّمسّك باللهجات المحليّة. (التّويجري، 2013، صفحة 64).

هذا رغم ما أثبتته العديد من الدّراسات التي أجريت على الطّلبة الذين يزاولون دراساتهم باللغات الأجنبيّة، إذ يَلقون صعوبات جمة في استيعاب المحتوى، والحصول على النّتائج التي تسمح لهم بالانتقال إلى المستوى الأعلى، وهو ما تثبته نسبة الطّلبة النّاجحين المنخفضة خاصّة عند السّنوات الأولى. ففي دراسة أجريت بمدينة صفاقس التّونسيّة توصلت إلى أنّ 94% من الأساتذة يفضّلون التّدريس بالعربيّة، وأنّ نسبة الاستيعاب لدى الطّلبة الذين يدرسون باللّغة الفرنسيّة لا تتعدى 22%، في حين 84% من هؤلاء الطّلبة يرغبون في تفسير ما تعلموه بالعربيّة. (جياب، 2014، صفحة 132) وفي دراسة أخرى أجريت بمصر أفضت إلى أنّه في الامتحانات النّهائيّة يفضل الطّلبة الإجابة بالعربيّة بدلا من الانجليزيّة التي درسوا بها طول السّنة، وفي دراسة أخرى أجريت بالأردن بهدف تقييم تعريب التّعليم العالي بعدما كان بالإنكّليزيّة كشفت عن انخفاض نسبة الرّسوب من 30% إلى 3% بين المرحلتين، كما تبين بأنّ الطّلبة درسوا بصورة أعمق في مرحلة التّعريب مقارنة بمرحلة التّعليم باللّغة الانكّليزيّة. (جياب، 2014، صفحة 133).

أمّا في الجزائر، وفي دراسة أجريت بجامعة مولود معمري بتيزي_وزو حول استعمال اللّغة الفرنسيّة من قبل طلبة التّخصّصات العلميّة والتّقنيّة، كشفت الصّعوبات التي يتلقاها الأساتذة لإيصال المعلومات لطلبتهم سواء في الأعمال الموجّهة أم المحاضرات، لعدم تمكن الطّلبة جيدا من اللّغة الفرنسيّة (Kaci, 2014, p9) والسّبب واضح فإنّهم كانوا يدرسون بنسبة كبيرة باللّغة العربيّة قبل الجامعة ليتحولوا مباشرة إلى اللّغة الفرنسيّة دون برمجة سنة تحضيريّة لتحسين مستواهم اللّغويّ.

ونفس الملاحظات توصلت إليها نفس الدّراسة على طلبة السّنة الثّانيّة والثّالثة ليسانس قسم اللّغة الفرنسيّة بذات الجامعة، إذ يجدون صعوبات في التّعبير الشّفهي بلغة سليمة وخاليّة من الأخطاء أو التّداخل اللّغويّ، كما يرتكبون أخطاء متنوعة نحويّة وصرفيّة وتركيبيّة تبدو بدائيّة، فمن بين الأخطاء التي وردت في أوراق الإجابة: (Ce ne sont pas des phonèmes) بدلا من:(Ce ne sont pas tous des phonèmes) كذلك: (ils ne sont pas **considéraient** comme des phonèmes) بدلا من:(ils ne sont pas **considérés** comme des phonèmes). (Kaci, 2014, p. 9)، وغيرها من الأخطاء التي تعود إلى ضعف مستواهم في هذه اللّغة. **tous**

على الرّغم من هذه الصّعوبات، إلاّ أنّ العديد من الطّلبة الذين يدرسون باللّغة العربيّة في الجامعات الجزائريّة التي تدرّس فيها الكثير من الشّعب بالفرنسيّة يتخذون اللّغة كذريعة لانخفاض مستواهم، وهو الشّأن لطلبة قسم العلوم السّياسيّة بجامعة مولود معمري، إذ كثيرا ما كانت إجابتهم عن سبب انخفاض مستواهم هو تدريسهم بالعربيّة، وأنّ هذه الأخيرة لا تصلح أن تكون لغة للعلم الحديث.

6 سياسة التّعريب وبداية الصّراع في الجزائر: يقول عبد السّلام المسدّي: "اللّغة هي الحامل الأكبر للمنتج الثّقافي، وهي الجسر الأعظم للمسوق الإعلامي، وهي السّيف الأمضى في الاختراق النّفسي، وعليها مدار كل تسلل إيديولوجي، أو اندساس حضاري، فدعاة الأمميّة وأنصار العولمة المحتشدون وراء الكونيّة يعلمون علم اليقين أنّ اللّغة هي أم المرجعيات". (ملاوي، 2016 صفحة 154) لذا قررت فرنسا بعد ثماني سنوات من احتلال الجزائر بإصدار مرسوم يعتبر العربيّة لغة أجنبيّة، والفرنسيّة لغة رسميّة ووحيدة في التّعامل الإداري والتّجاري والإعلامي والتّعليمي بالجزائر. ورغم الجهود المضنيّة التي

بذلتها جمعيّة العلماء المسلمين ومختلف الزّوايا والكتاتيب للحفاظ على اللّغة العربيّة، إلاّ أنّ الجزائر غداة الاستقلال ورثت واقعا تسيطر فيه اللّغة الفرنسيّة سيطرة تامّة على البنيات التّعليميّة والإداريّة والمؤسّسات الاقتصاديّة. (ملاوي 2016، صفحة 166).

وكان هذا الرّبط مخططا له، خاصّة بعد ظهور بوادر الاستقلال منذ سنة 1958م، ففي اجتماع سري جمع الجنرال ديگول مع رجال السّياسة رأى بأنّ الحفاظ على وضع اللّغة الفرنسيّة بالجزائر كفيل على بقاء الدّولة الجزائريّة المستقلة تدور في الفلك الفرنسي، وتجسيدا لهذا المشروع دعم ديگول بعثات لاكوست التي تولت أمر تكوين إداريين جزائريين باللّغة الفرنسيّة، حلوا فيما بعد محل الإداريين الفرنسيّين. (ملاوي، 2016، صفحة 166).

بعد الاستقلال، ورثت الجزائر تعليما باللّغة الفرنسيّة، فكانت أوّل خطوة قامت بها السّلطات الجزائريّة إدخال اللّغة العربيّة كلغة للتعليم إلى جانب اللّغة الفرنسيّة في المدارس الابتدائيّة، لمدة سبع ساعات في الأسبوع في البداية، ثم عشر ساعات بحلول سنة 1964م (العزيز، 14). لتسترجع اللّغة العربيّة مكانتها الطّبيعيّة في الجزائر بعد صدور قانون العربيّة بالوظيفة العموميّة سنة 1968م، الذي نصَّ على ما يلي: "كل من ليس له مستوى في معرفة اللّغة العربيّة لا يدخل الوظيفة العموميّة، وكل من ليس له مستوى في معرفتها وهو موجود بالجهاز الإداري لا يرقى" (ملاوي، 2016، صفحة 167)، ليعرب التّعليم كاملا بفعل قرار اللجنة المركزيّة لحزب جبهة التّحرير الوطني المتخذ سنة 1979م والذي نص على تعريب التّعليم الأساسي، واعتماد بكالوريا واحدة معربة في الجزائر. (ملاوي، 2016، صفحة 167).

رغم تعريب التّعليم بالجزائر بنسبة عاليّة، إلاّ أنّه هناك من يعتقد بأنّ العربيّة تتعرّض إلى هجمات باسم الإصلاحات التّربويّة تعود إلى السّياسة الاستعماريّة التي تريد العودة من جديد، فهي لم تيأس من المحاولات الرّاميّة إلى قطع الصّلة

باللّغة العربيّة الكلاسيكيّة، فكما قال الفاسي الفهري: "إنّ مصدر التّحامل على العربيّة يعود تاريخيا إلى فكر الاحتلال سواء كان تركيا أم إنكليزيا أم فرنسيا وإلى مواقف عدد من الباحثين الأجانب من العربيّة الذين قرنوها بالتّخلف وعدّوا لغتهم لغة العصر والعلوم التي ينبغي هجر العربيّة إليها، وقرنوا العاميّة بالحياة والفصحى بالضّعف والموت". (صالح، 2016، صفحة 284) وقد أوكلت فرنسا هذه المهمّة إلى النّخبة الفرانكفونيّة التي تسعى إلى إرضاء الدّولة المستعمِرة بأي ثمن كان، بعدما غرست في عقولهم حب الاهتمام بالفرنسيّة والذّود عنها على حساب لغتهم الوطنيّة التي تشكل عمود الانسجام الجمعي لما تلعبه من دور في تماسك أفراد المجتمع فكريا وثقافيا وسياسيا. (صالح 2016 صفحة 282).

يَستند التّيار الفرانكفوني إلى حجّة اعتبار اللّغة الفرنسيّة لغة العلم والتّقدم على عكس اللّغة العربيّة، غير أنّ الدّراسات اللّغويّة ترى عكس ذلك، فقد اقترح العديد من المختصّين في المجال مجموعة من المعايير لقياس قوة اللّغة (language power)، منها العامل البشري الذي يتمثّل في عدد المتحدّثين بها، والقوة الاقتصاديّة، والقوة السّياسيّة، والقوة الثّقافيّة والعلميّة. فقد حدد وليام ماكي (William F.Mackey) المعايير التّاليّة:(Benrabah, 2014p.39)

- عدد المتحدثين باللّغة؛
- مدى انتشار اللّغة في العالم؛
- حركيّة اللّغة (كاستعمالها في مجال السّياحة)؛
- القوة الاقتصاديّة؛
- المعايير الإيديولوجيّة (ديانة عالميّة، إيديولوجيات سياسيّة عالميّة)؛
- المعايير الثّقافيّة (كنشر الكتب).

في حين اقترح (جان لابونس Jean Laponce) المعايير التّاليّة: (Benrabah, 2014, p. 39).

– عدد المتحدثين بها؛

– الثّقافة العلميّة؛

– القوة الاقتصاديّة؛

–المستوى المعيشي للسكان؛

–القوة العسكريّة.

أمّا رولاند بروتن(Roland Breton) فاقترح المعايير التّاليّة: (Benrabah, 2014, p. 39).

– الانتشار عبر القارات؛

– عدد الدّول التي تضع هذه اللّغة في نفس مكانة لغتها الرّسميّة؛

–عدد المتحدثين بها.

انطلاقًا من المعايير السّابقة تم تحديد اللغات العشر الأولى في العالم فصنفت اللّغة الانكليزيّة على رأس القائمة لتليها اللغات التّاليّة وفق التّرتيب التّسلسلي: الصّينيّة، الاسپانيّة، اليابانيّة، البرتغاليّة، الألمانيّة، العربيّة، الفرنسيّة الرّوسيّة ثم الكوريّة. فكما هو موضح، تعاني الفرنسيّة من ضعف علمي أمام الانكليزيّة والألمانيّة والاسبانيّة ضعفا ظاهرا، وهو ما توضحه الأرقام إذ لا تستحوذ إلاّ على 3% مما يُضخ في الانترنت، كما أنّ 75% من منشورات الاتحاد الأوروپي تنشر بالانكليزيّة مقابل 1% بالفرنسيّة. (صالح، 2016 صفحة 288).

والشّاهد أنّ اللّغة الفرنسيّة بصدد فقدان مكانتها حتى في عقر دارها، أين اكتسحتها اللّغة الانكليزيّة، وهو ما شهد عليه الباحث المغربي الفاسي الفهري – أستاذ محاضر في العديد من الجامعات الفرنسيّة–إذ كلما حاول استعمال اللّغة الفرنسيّة في مؤتمرات تعقد بفرنسا يُطلب منه استعمال الانكليزيّة كلغة علميّة عالميّة ولغة المؤتمرات الدّوليّة. (صالح، 2016، الصّفحات 288–289).

فإذا كان الفرنسيون أنفسهم بدؤوا يتخلون عن لغتهم في ميدان العلوم وأدركوا أنّ الإنكليزيّة هي اللّغة الأقوى في العالم، فلماذا إذا تتمسك بها طائفة من المسئولين عن التّعليم في الجزائر، ويعتبرونها مخرجا للأزمة التي تعاني منها المنظومة التّعليميّة في البلاد، وإن كانت النّيّة صادقة فلماذا لا يتم اعتماد اللّغة الأولى في العالم بدلا من التّرويج للغة التي تأتي بعد اللّغة العربيّة من حيث التّرتيب؟

7-الخاتمة: ما لا يمكن إنكاره هو أنّ المنظومة التّعليميّة في الجزائر تجد صعوبات في مسايرة نظيراتها في الدّول المتقدّمة، بسبب المشاكل المتعددة والمتنوعة التي تعاني منها. ورغم إطلاق العديد من البرامج الإصلاحيّة إلاّ أنّها لم تفلح في تحسين المستوى ورفعه. ويعود فشل هذه الإصلاحات إلى كونها لم تقم على إستراتيجيّة ناجعة، ولا على مفهوم علمي وواقعي، ولا على نظريات مبنيّة على الشّمول والامتداد في الزّمان والمكان، كما أنّ أفكارها لم تنبثق من ثقافة المجتمع وواقعه، فهي عبارة عن أفكار جاهزة استوردت من مجتمعات شديدة الاختلاف بالمجتمع الجزائري ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وبالتّالي فإنّه من الصّعب أن تتحقق النّتائج المرجوة منها، خاصّة وأنّها تقوم على منطق المحاولة والخطأ فهي مجرد تجارب تطبق دون القدرة على استشراف نتائجها.

أمّا مسألة اللّغة، فمن المهم التّسليم بما يلي:

-اللّغة هي أداة للتواصل بين أهلها، وهي قادرة على أن تستوعب مفاهيم جديدة، ولكل لغة سماتها الخاصّة بها مع وجود قواسم مشتركة بين اللغات البشريّة؛

-اللّغة القوميّة أداة بريئة، يكتسبها أهلها من البيئة التي ينشؤون فيها فتقوى عندما يقوى أهلها، وتضعف بضعفهم اقتصاديا وثقافيا وسياسيا وتكنولوجيا؛

–لغة الأم هي وعاء الفكر والإبداع والتّميّز، وتظل القناة التي يفكر ويبدع من خلالها الفرد مهما تعلم من لغات؛

–اللّغة العربيّة هي لغة القرآن الكريم، ما جعلها من أغنى لغات العالم تكفل الله تعالى بحفظها رغم ما أصاب أهلها من الخضوع والضّعف.

فالقول بأنّ العربيّة هي سبب ضعف التّعليم بالجزائر، وأنّ التّحول إلى الفرنسيّة هو الحل فيه الكثير من المآخذ، فلما كانت الحضارة العربيّة في أوج عطائها كانت اللّغة العربيّة الأكثر استقطابا، فترجمت العديد من المؤلّفات العربيّة إلى مختلف لغات العالم، وإلى حد الآن لا تزال الأعمال الفكريّة الخلاقة المنشورة بالعربيّة محل إقبال الأجانب عليها.

وهذا لا يعني الاعتكاف على العربيّة وعدم التّفتح على اللغات الأجنبيّة خاصّة العالميّة منها، فما دامت اللّغة هي وعاء الإبداع والفكر فلا بد من تعلم لغات الأمم المبدعة والمخترعة، وتأتي على رأسها الإنكليزيّة باعتبارها لغة القوة العظمى والأكثر انتشارا في العالم، ولغة الابتكار والتّكنولوجيّة والتّأليف.

8-قائمة المراجع:

-التّويجري عبد العزيز بن عثمان، *مستقبل اللّغة العربيّة*، ط.2، (الرّباط: منشورات المنظمة الاسلاميّة للتربيّة والعلوم والثّقافة، 2015).

-التّويجري عبد العزيز بن عثمان، حاضر اللّغة العربيّة، (الرّباط: مطبعة الأيسيسكو 2013).

-بديس لهويمل، نور الهدى حسني، *مظاهر التّعدد اللّغويّ في الجزائر وانعكاساته على تعليميّة اللّغة العربيّة"*، مجلّة الممارسات اللّغويّة، العدد 30 2014، ص ص.101-124.

-بلعيد صالح، الاهتمام بلغة الأمّة -العبرة من الفرنسيين -، (تيزي وزو: منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، 2016).

-بلقاسم جياب،" *آليات اكتساب اللّغة وتعلمه"*، مجلّة الممارسات اللّغويّة العدد 32، 2014 ص ص.103-112.

-عبد الجواد توفيق محمود، *الواقع اللّغويّ في العالم العربي في ضوء هيمنة اللهجات المحليّة واللّغة الإنكليزيّة*، رؤى إستراتيجيّة، العدد 5، مركز الإمارات للدراسات، يناير 2014، ص ص.120-139.

-عبد النّاصر بوعلي، *لماذا تدنّى مستوى اللّغة العربيّة في مدارسنا*، مجلة الممارسات اللّغويّة، العدد 38، ديسمبر 2016، ص ص.145-152.

-عثمان ملاوي، ديناميّة اللغات مقاربة لوضع اللّغة العربيّة في الجزائر مجلة الممارسات اللّغويّة، العدد 38، ديسمبر 2016، ص ص.153-170.

-لخضر عواريب، محمد السّاسي السّايب، *تطور الإصلاحات التّربويّة في المدرسة الجزائريّة ومعاناة المتمدرسين*، مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة العدد 3 خاص بالملتقى الدّولي حول المعاناة في العمل، 2011 ص ص.442-451.

-صالح بلعيد، *الإصلاح التّربوي والتّردّي اللّغويّ*، مجلة الممارسات اللّغويّة العدد 21 2014، ص ص.11-41.

-صالح بلعيد، الاهتمام بلغة الأمّة -العبرة من الفرنسيين -، (تيزي_وزو: منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة في الجزائر، 2016).

-شعباني مليكة، *اللّغة العربيّة بين التّبرج اللّغويّ والتّحدي لمتطلبات تكنولوجيا المعلومات والعولمة*، مجلة الممارسات اللّغويّة، العدد 38، ديسمبر 2016، ص ص.171-194.

-محي الدّين عبد العزيز، *تطور حركيّة التّعليم في الجزائر من عام 1830 إلى عام 1990*، *dspace.univ-biskra.dz*، 2021.09.14 06.00.

-مليكة شارف خوجة، مشاكل مهنة التّعليم وصعوبات قطاع التّربيّة الوطنيّة، *مجلة الممارسات اللّغويّة*، *العدد* 28، 2014، الصّفحات 149-166.

- Benrabah Mohamed, *« Compition between four World languages »* Journal of world languages, Vol.1, N°.1 2014, pp.38-59.

- Kaci Mouloud, *« Productions langagières et écrites en français de quelques étudiants de l'université Mouloud Mameri de Tizi Ouzou en relation avec la situation innovante de l'enseignement du français »* **Re**vue **al** Mumarasat al-lughawiyah**,** N°.21, 2014, pp.3-18.

غرافيتيا مدينة بجاية –ممارسة لغويّة توعويّة–

Bejaia city's Graphity – linguistic and awareness Practice

أ. سيهام بوطغان♥

أ. خولة طالب الإبراهيمي♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال: 10.33705/0114-026-067-012 DOI

تاريخ الاستلام: 16-12-2023 تاريخ القبــول: 08-07-2024

ملخّص: تتنوّع الأشكال التّواصليّة للمتكلّم الجزائري بين لغويّة وغير لغويّة مثلما تتعدّد القنوات النّاقلة لممارساته، بما في ذلك جدران الشّوارع التي تلعب دورًا هامًا في التّعبير عن واقع الفرد والمجتمع على حدّ سواء. يروم البحث تحليل عيّنة من الكتابات الجداريّة في مدينة بجاية، لِاستنطاق مضامينها وكشف غاياتها، ومدى اِسهامها في توعيّة المجتمع. من خلال الإجابة على الإشكاليّة التّاليّة: إلى أيّ مدى تسهم الغرافيتي في توعيّة المجتمع البجائي؟

♥مخبر الدّراسات والبحوث الإفراديّة والمعجميّة جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 2 الجزائر، البريد الإلكتروني: siham.boutaghane@univ-alger2.dz (المؤلّف المرسل).

♥جامعة أبو القاسم سعد الله –الجزائر 2، الجزائر، البريد الإلكتروني: khaoula.taleb.ibrahimi@univ-alger2.dz

وفي الختام توصّلنا إلى نتائج أهمّها: أنّ الكتابات الجداريّة تؤثّر على القيم الاِجتماعيّة السّائدة في المجتمع، وهي ظاهرة لغويّة اِجتماعيّة تمتدّ لأبعاد عديدة، كما تسهم في تسريع انتشار بعض المفاهيم كالاِجتماعيّة، السّياسيّة الثّقافيّة...

كلمات مفتاحيّة: الفضاء العام؛ مدينة بجاية؛ الكتابات الجداريّة؛ التّوعيّة؛ التّعدد اللّغويّ.

Abstract: The communicative forms of the Algerian speaker vary between linguistic and non-linguistic, as do the transporting channels convey its practices, including street walls that play an important role in expressing the reality of the individual and society alike. The research aims to analyze a sample of murals in the city of Bejaia to explore the scope of their contents and reveal their objectives and its contribution to raising society's awareness by answering the following problems: to what extent do the murals contribute to raising the community's awareness?

in the end, we reached a set of results, the most important of which is that Murals influence social values prevailing in society, It’s a social linguistic phenomenon spanning many dimensions, It also contributes to accelerating the spread of certain concepts such as social, political, cultural…

Keywords: Public Space; Bejaia City; Graphity; Awareness; Multilingualism.

1. مقدّمة: لقد كان الانسان وما زال في سعي مستمرّ لِابتكار سُبُل ووسائل تُمكِّنه من التّعبير عمّا يعيشه وما يحيط به في مختلف مراحل حياته وقد وجد ضالتّه –في وقت مضى–في الرّسم والنّقش، فترْجَم من خلالها

تفاصيل حياته وبيئته، لكنّه ما فتئ أن لجأ إلى الخطّ والكتابة –بعد ظهورهما– واستعان بهما للغاية ذاتها، ومُذَّاك فضّل التّواصل اللغوي على سائر الأنماط التّواصليّة الأخرى، لما له من قدرة على تجسيد واقعه وذاته الفرديّة والاِجتماعيّة على حدّ سواء.

من الظّواهر الأكثر اِنتشارًا في عصرنا هذا، "ظاهرة الكتابات الجداريّة أو ما يُعرف بـ "الغرافيتي"، التي تعتبر ممارسة شبانيّة وأسلوب تعبير حرّ بامتياز يحظى بإقبال كبير من قِبل مختلف شرائح المجتمع، وهذا يظهر جليًّا في تعدّد أشكاله الحديثة وألوانه المتناسبة مع السّياقات المتعدّدة وحتّى المضامين التي يطرحها، خاصّة تلك المتعلّقة بالشّباب واِهتماماته ومشاكله.

تتميّز الكتابات الجداريّة بالسّلاسة والبساطة، تمنح صاحبها مجالًا حرًا لمخاطبة عامّة النّاس بدون وسيط ولا تكلفة، كما تطرح مشاكله العامّة والخاصّة أملاً في إيجاد حلول لها. تتنوّع مضامين هذه الكتابات وغاياتها بحسب ممارسِيها وموضوعاتها، هذا الطّرح يقودنا إلى اِعتبار الغرافيتي شكلاً من أشكال التّفاعل الاجتماعي ذو جانب إيجابي، يسهم في توجيه الرّأي العام وتوعيّة الفرد والمجتمع، ولفت انتباههم حول القضايا التي تعتبر من المبادئ الأساسيّة التي ينبني عليها أيّ مجتمع، هذا ما سنحاول التّطرق إليه في هذه المقالة من خلال الإجابة على الإشكاليّة الآتيّة: ما مدى فعاليّة الكتابات الجداريّة في توعيّة أفراد المجتمع في مدينة بجاية؟

تروم الدّراسة البحث في ظاهرة الكتابات على الجدران في الوسط الجزائري عامّة وفي مدينة بجاية على وجه التّحديد، بتقصّي البعد اللغوي والتّوعوي فيها؛ باعتبارها تمتدُّ لأبعاد عديدة منها: الاجتماعي، الثّقافي، الهوياتي وغيرها.

اِنطلق البحث من فرضيّة مفادها أنّ الكتابات الجداريّة تعبّر عن بُعْدٍ لغويّ وتوْعويّ، وعليه اِرتأينا تتبّع هذه الظّاهرة بضاحيّة بجاية في جانبيها الاِجتماعي واللغويّ وحتّى الثّقافي، للبحث في علاقتها بالمجتمع وتوجيهه وتوعيته، ولبلوغ هدفنا هذا اِستعننا بما يمليه المنهج الوصفي، باعتباره الملائم لوصف هذه المُمارسات وتتبّعها ورصد أهمّ سماتها والكشف عن دورها داخل المجتمع، وقبل هذا اِعتمدنا طريقة الملاحظة المباشرة للظاهرة في مكانها الأصلي، كذلك اِنتقينا عيّنة الدّراسة آنيا –وقد جمعنا حوالي 50 صورة باستعمال كاميرا الهاتف النّقال–، لننتقل بعدها إلى تحليلها حسب منهج تحليل المحتوى، لتمييز مضامين هذه الأخيرة وأهدافها.

ملاحظة: (تجدر الإشارة إلى أنّنا تعاملنا مع الكتابات الجداريّة بكلّ أمانة حيث نقلناها كما هي مدوّنة على الجدران بأخطائها اللغويّة والإملائيّة).

2. مدينة بجاية –كفضاء للدّراسة: تشغل دراستنا هذه حيزًا مكانيًا يتمثّل في مدينة بجاية، باعتبارها وسطًا حضاريًا تجتمع فيه عدّة ثقافات وديانات، يعتبرها البعض أعرق مدينة في المغرب العربي بفعل تعاقب الحضارات عليها، حيث يشير عبد "الحليم عويس" في هذا الصّدد بقوله: إنّ "المكان الذي تقع فيه بجاية (كان) موقعًا لمدينة أسّسها الفينيقيون تُعرف باسم "صلدة" ثمّ انتقلت إلى الرّومانيّين وعُرفت باسم (saldaea) صلداي، ثمّ خُرِّبت بعد ذلك ولم يُعرف تاريخ اِندثارها، ولكن الشّيء الثّابت أنّها كانت من أهمّ مدن نوميديا، وقد أقام بها الإمبراطور "أوغست" جاليّة رومانيّة..."[1] (بن عميرة وبن عميرة، 2015) ما يعني أنّ المؤرّخين لم يتّفقوا حول تاريخ هذه المدينة، وهذا يظهر جليًا في تعدّد تسمياتها، فصلداي في عهد الرّومان، ثمّ عُرفت بالنّاصريّة في عهد الحماديّين، ثمّ بجاية بعد الفتوحات الإسلاميّة.

3. تعريف الكتابات الجداريّة وممارسوها: تشير كلمة (Graffiti) في معاجم اللّغة المزدوجة، إلى أيّ "نقش أثريّ/ رسوم على الجدران، و(Graffiter) تعني نَقَشَ (الجدران)، و(Graffiteur/euse) تعني نقّاش"[2] (Bureau Des Etudes Et Recherches, 2004)، وهذه الكلمة (Graffiti) مأخوذة من "الكلمة الإيطاليّة (Sgraffito) أو(Sgraffite) التي تعني خدش"[3]، (Ernest, 2015)، ومنه نفهم أنّ هذا المصطلح يشير إلى كلّ ممارسة كتابيّة على الجدران مهما كان شكلها أو نوعها فيكفي أن تتواجد على الحائط لتسمّى (Graffiti)، اِرتبطت في بداياتها بالمدينة باعتبارها فضاء للتّواصل والتّقاء الثّقافات، ثم اِنتشرت لتغزو كل الجدران العامّة منها والخاصّة في القرى والأرياف وغيرها.

لفتت هذه الظّاهرة أنظار العلماء والمتخصّصين من علم النّفس والاجتماع والأنثروبولوجيا فعمدوا إلى دراستها وسبر أغوارها، والبحث في أسباب ظهورها وانتشارها، من منطلق أنّها ممارسة فرديّة وجماعيّة تولّدت من رحم المجتمع وأوضاعه، يعرّفها "أندرسون" أنّها "ظاهرة عامّة تشمل المجتمع الإنساني كافّة وأنّ كلّ مدينة عبر تاريخ الحضارات قد صنعت أمجادها ودوّنت علاماتها وكتبتْ ورسمتْ على الجدران ثقافةً كانت سائدةً حينذاك سواء لأفراد أو لجماعات"[4] (عامر، 2020)، والشّيء ذاته أكّده "ريسنر" "Reisner" في اعتباره الجدران بمثابة "الباروميتر لطبيعة التّغيرات الإجتماعيّة التي تفرض نفسها، وتحتلّ تفكير العامّة من المجتمع، حيث تخبرنا الكتابة الجداريّة عمّا يحصل في مدننا وقُرَانا وأحيائنا"[5] (العتوم وأبنيان، 2019)، ومنه فالكتابات الجداريّة بطاقة تعريفيّة لأيّ فضاء كان، تروي حكاية المكان الذي تواجدت فيه

وتُعرّف المارة والزّوار بأوضاع المجتمعات وثقافتهم وهويّة أفرادهم، كما تعكس واقعهم ونمط حياتهم.

أمّا عن ممارسي الغرافيتي فهُم مثلما يرى الدّكتور "مصطفى حجازي": "الشّريحة المقهورة التي لم تنل من المجتمع إلّا الفتات، تلك الشّريحة ولأسباب ما ترى نفسها مهمّشة بطريقة مقصودة من قِبل السّلطات وحتى عامّة النّاس"[6] (عامر، 2020)، فهذه الممارسات لم تنبعث من العدم إنّما هي نتاج وضع كارثي دفع بالشّاب الجزائري للجوء إلى الجدار، فالمغرفت يجسّد شخصيّة الفرد الفاقد للسبل، الهارب من الحياة، الباحث عن ملاذ ينجيه، هذا الذي يظهر في مضامينها وأهدافها العميقة.

1.2.2 تاريخ ظهور الكتابات الجداريّة: ظهرت الكتابات الجداريّة _بمفهومها التّقليدي_ قديما مع الانسان البدائي على شكل رسوم ونقوش تحاكي نمط عيشه وتعكس طبيعة وسطه، أمّا غرافيتي العصر الحديث فظهر في أمريكا "أواخر السّتينات أوائل السّبعينات على يد شباب من أصول إفريقيّة وإسپانيّة، تتراوح أعمارهم ما بين 12 سنة إلى 24 سنة، يتركون بصماتهم وآراءهم على جدران مدينة نيويورك"[7] (Ousedik, 2008)، ومنها عرَفَ اِنتشارًا سريعًا ليغزو كافّة البلدان الغربيّة، خاصّة بعدما اِرتبط بثقافتي الهيب هوب (Hip Hop) والرّاب (Rap) الشّعبيتين.

كذلك عرفت الجدران الجزائريّة هذه الظّاهرة فترة الاحتلال الفرنسي وبالضّبط "مع تشَكُّل الحِراك الوطني الرّافض للوجود الإستدماري باختلاف توجّهاته عبر العديد من المُدن الجزائريّة خاصّة الكبرى منها (العاصمة، وهران، قسنطينة تلمسان)"[8] (باي، 2012)؛ من أجل حثّ المواطن على التّخلي عن النّضال السّلمي والانتقال إلى المسلّح كحلّ فعلي لمواجهة الاستعمار، كذلك كان الجدار

الوسيلة التي نقلتْ صوت الشّعب ومطالبه للسلطات والمواطنين على حدّ سواء كما عرّفتْ بالأوضاع والحقائق المعاشة في ظلّ تلك الفترة.

غابت هذه الظّاهرة بعد الإِستقلال، لكن سرعان ما عادت مع تأزّم الأوضاع السّياسة والاقتصاديّة والاجتماعيّة خاصّة مع "الأحداث المأساويّة التي وقعت خلال العشرين سنة الماضيّة في الجزائر منها (أحداث أكتوبر 1988، العشريّة السّوداء، فيضانات باب الواد 2001، أحداث منطقة القبائل 2001 (الرّبيع الأسود) وزلزال بومرداس 2003) وكلّ المشاكل اليوميّة التي لا حصر لها والتي يُعاني منها الشّباب والمجتمع عموما "[9] (Ouras, 2009)؛ أحداثٌ وغيرها فجّرت الجدران العامّة منها والخاصّة وأزاحت عقدة التّعبير عن المواطن الجزائري في ظلّ صمت الإعلام بقنواته وتغييبه لصوت الحقيقة، حتى غدت الجدران إعلاما بديلا منبعثا من صميم أعماق المجتمع ومترجمًا لواقعه.

عادت هذه الظّاهرة للانتشار أكثر في الآونة الأخيرة بشكل واعٍ ومنظّم مع ظهور الحراك الشّعبي السّلمي*، الذي منح هذه الأخيرة فرصة الانتشار أكثر وسط المجتمع واكتساب شعبيّة أكبر.

4.الكتابات الجداريّة والممارسات التّوعويّة في مدينة بجاية: ليست التّوعيّة حكرًا على الإعلام بقنواته الفضائيّة وحسب، ولا على مواقع التّواصل الاجتماعي بأشكاله، إنّما هي مسؤوليّة تقع على عائق الفرد والمجتمع، لا تحتكم لطريقة أو أداة معيّنة، فأيّ فعل أو سلوك هادف إلى نشر رسالة حول موضوع أو قضيّة ما أو التّثقيف حول جزئيّاته يُمكن القول عنه إنّه فعل توعوي، وهذا ما ينطبق على ظاهرة الكتابات الجداريّة التي تلعب دورًا مهمًّا في التّرويج للقضايا الاِجتماعيّة وتوجيه الرّأي العامّ. (ونقصد هنا الكتابات الهادفة وليس الخربشات التّخريبيّة التي لا طائل منها غير تشويه الفضاءات).

غدت ظاهرة الكتابة على الجدران بفعل انتشارها وإقبال الشّباب عليها قناة إعلانيّة إعلاميّة، ووسيلة تَخاطُب وتفاعل جماهيريّة؛ تسمح بتوجيه المواطنين وإقناعهم من خلال وضعهم أمام الأمر الواقع، كما تكشف العاهات التي يُعاني منها الفضاء الحضري. هذا الفضاء الذي تشهد جدرانه عدّة مواضيع أهمّها ما يتعلّق بالطّرح المقصود للنفايات، باعتبارها المشكلة الجوهريّة التي تُعاني منها المدينة بسبب اللاوعي واللامسوؤليّة في تعامل الإنسان مع البيئة والمساحات العامّة.

1.4 موضوع التّوعيّة البيئيّة: ليست البيئة مجرّد وسط يعيش فيه الكائن الحي وحسب إنّما تشكّل مجموع الظّروف والعوامل التي تساعده على بقائه حيث يتفاعل الإنسان مؤثّرا أو متأثّرًا مع مكوّنات هذا الوسط، ويبدو أنّ تعامل الإنسان مع مكوّنات البيئة الطّبيعيّة أضحى سلبيًا، وأفضل دليل على ذلك المنظر المشوّه الذي تظهر عليه شوارع المدن وأحيائها.

يغلُب موضوع البيئة على مدوّنتنا بالأخصّ ما يتعلّق بالنّفايات والقمامة وهذا راجع إلى ما تعانيه ولاية بجاية من تخريبٍ للفضاءات جرّاء رمي المخلّفات المنزليّة بشكلٍ فوضوي في مختلف الأماكن عامّة كانت أو خاصّة، وما نجَم عن ذلك من أخطار على البيئة والصّحة على حدّ سواء، هذا الموضوع الذي لربما لم يحصل على تغطيّة إعلاميّة أو مناقشة فعليّة على طاولة المسؤولين ما دفع بالمواطن البجائي للّجوء إلى جدران الشّوارع لعرض هذه القضيّة، مثل ما تُوضِّحه الصّور الآتيّة:

تهدف هذه الصّور إلى حثّ المواطن على تفادي الرّمي العشوائي لمخلّفاته وتوجيهه إلى الأماكن المخصّصة للتفريغ، مستعملًا في ذلك مختلف القوالب اللّغويّة المتاحة عنده في رصيده اللغوي من لغة عربيّة بشقيها وفرنسيّة وأمازيغيّة وغيرها (مثل ما تبيّنه الصّور أعلاه).

وفي السّياق ذاته نجد كتابات منذّدة بالرّمي العشوائي خاصّة لمادّة الخبز مثل عبارة: "**لا للخبز**"، و"**ممنوع رمي الخبز من فضلكم (svp depose pas vos restes de pain) من فضلكم لا ترمو فضلاتكم من الخبز**" وغيرها.

إلى جانب هذه الظّاهرة، لفت اِنتباهنا بروز ظاهرة الرّكْن العشوائي لوسائل النّقل وذلك أمام المنازل وأماكن العمل وحتى على الرّصيف، ما انجرّ عنه ظهور مشكلات عدّة عرقلت أشغال المواطن وحرَمتْه من اِستغلال هذه المساحات، إذ سجّلنا عددًا معتبرًا من كتابات مماثلة لعبارات (**stationnement interdit**) و"**interdit de stationné svp**"...

تأسيسًا على السّابق نستنتج أنّ هذه الكتابات وإن اِختلفت في طبيعة شكلها وطريقة صياغتها، إلّا أنّها تندرج ضمن موضوع واحد يتمثّل في الدّعوة إلى المحافظة على المحيط والبيئة، وذلك للفت انتباه المواطن إلى هذه القضايا وأهمّيتها، مع السّعي إلى إيجاد حلول للحدّ من أضرارها الآنيّة وأخطارها المستقبليّة ولتفادي الأوبئة التي قد تنجم عنها، وهذا ما تعبّر عنه كتابة: "**حمار لي يرمي الأوساخ حذاري من الكوليرا**".

ولأنّ البيئة مسؤوليّة الجميع، وجدنا عدّة كتابات تدعو إلى التّحضّر والتّحلّي بالأخلاق الحميدة، مثل عبارات: "**كونو عقلاء**"، "**كونو متخلقين**"، **حماية البيئة بين أيدينا**"، ومن اللّغة الفرنسيّة نجد (**bougie Rallumer notre**)، من مبدأ أنّ نظافة المدينة تعكس مباشرة نظافة المجتمع ووعيه، والتّغيير يحتاج وعيا وفردا مسؤولا، هذا ما تسعى الجداريات إلى إبرازه من منطلق أنّ المواطن المسؤول الوحيد عن الوضع الكارثي الذي التّ إليه ولاية بجاية، ليأتي دور المسؤولين للحفاظ عليها بالسّياسة والهيكلة والمشاريع التّنمويّة...إلخ

2.4 موضوع التّوعيّة السّياسيّة: نقلت جدران الشّوارع في مدينة بجاية مشهدًا سياسيًا لافتًا، حيث عرضت مختلف الأحداث السّياسيّة التي تعيشها الجزائر بشكل عامّ وولاية بجاية بشكل خاصّ، خاصّة بعد الثّورة الشّعبيّة التي أحدثها المجتمع الجزائري (الحراك)، فانتشرت كتابات كثيرة تهدف إلى إيقاظ الوعي السّياسي للمواطن الجزائري، والتي تسهم في حثّه على اِحداث قطيعة مع النّظام وشخصياته، وذلك برفض المشاركة في أيّ نشاط يخصّ هذا النّظام. ولعلّ أوّل ما يربط الشّعب بالسّلطة؛ الاِنتخابات، هذا ما تثبته كثرة العبارات والكتابات المتعدّدة اللّغة والدّاعيّة إلى رفض الانتخاب مثل ما تبيّنه الصّور الآتيّة:

بالإضافة إلى عدّة كتابات أخرى لا تخرج عن السّياق نفسه مثل: "**لا للانتخابات**"، "**مكانش انتخابات مع العصابات**"، (**le boycot est un devoir pas de vote**)، "**يا المروكي مكانش عهدة 5**"...

نلاحظ من خلال هذه الكتابات أنّها تتّفق في هدفها وإن اِختلفت في قالبها اللغوي، فكلّها تدعو إلى مقاطعة الاِنتخابات وعدم التّصويت، مع تحديد الشّخصيّة المتّفق على معارضتها والمتمثّلة في شخصيّة الرّئيس السّابق –رحمه الله–السّيد عبد العزيز بوتفليقة، هذا الرّئيس الذي يُكنّى بالمغربي (المروكي) الذي يمثّل كلّ هيئة النّظام والسّلطة في البلاد والوحيد المعني بالعهدة الخامسة لذلك عُدّ هدفًا رئيسيًا للثورة، حيث كانت البداية هي الإطاحة بنظامه ثمّ الاِنتقال إلى باقي رموزه.

ولأنّ الثّورة تحتاج عزما وصمودا، انتشرت من جهة أخرى شعارات تحفيزيّة تدعو إلى الصّبر والصّمود، منها ما جاءت بالأمازيغيّة مثل: (**Anarez wala aneknu oulach l'vote**) بمعنى "ننكسر على أن ننحني لا للانتخابات" وبالعاميّة نحو: "**ماتخلعوناش بالعشريّة حنا كبرنا فالميزيريّة**" ومنها ما جاءت بدمج اللّغة العربيّة الفصحى مع الأمازيغيّة مثل: "**الثّورة فكرة والفكرة لا تموت لا للعهدة5 (Assirem)**، هذه التّعبئة الإعلاميّة الافتراضيّة أسهمت في توحيد صفوف المواطنين للثبات على مبدأ الموقف الواحد الذي لا رجعة عنه والمتمثّل في النّضال إلى حين اِسترجاع السّيادة الشّعبيّة، وهذا ما عبّرت عنه هذه الجداريات: "**الجزائر جمهوريّة ليست مملكة**"، "**Un seul héros le peuple**)"، و "**نحن لسنا عبيد يا دولة**"، وغيرها من الجداريات التي خلّدت الثّورة ووجّهتْ الرّأي العام مُعبّرة عن موقف الشّعب كلّه بلغات عدّة.

3.4 موضوع التّوعيّة الدّينيّة: لاحظنا –من ناحيّة أخرى–انتشارًا معتبرًا لعدد من الكتابات الدّينيّة خاصّة ما يتعلّق بموضوع الصّلاة وأذكارها، مثل عبارة: "**لا حياة بدون الصّلاة**" في إشارة لأهميّة الصّلاة في حياة الفرد، ومنها

ما تطرّق إلى بعض الآداب والأحكام الفقهيّة والدّينيّة، التي أهملها المجتمع وتجاوزها –نوعا ما– بالرّغم من علمه بها منها ما تبيّنه الصّور الآتيّة:

تهدف هذه الكتابات إلى تذكير المواطنين والمارة ببعض الأذكار والآداب التي تعتبر من أبسط الأمور التي لا تحتاج تذكيرا، إلّا أنّنا نشاهد ضعف المجتمع وافتقاره لأدنى صفات الإسلام، ما دفع بالمغرفت للإشارة إلى هذه القضايا محاولًا توعيّة المجتمع ليتشبّع بقيم الدّين الإسلامي وثوابته.

كما لاحظنا اِنتشارًا معتبرًا لبعض الكتابات التي تطرّقت إلى ظاهرة "التّزيّن" مثل عبارة "**تلقيط الحواجب لعن الله النّامصة والمتنمصة اتقي الله**"، فقد اِنتشرت ظاهرة النّمص بين الفتيات والقاصرات بشكل خاص، وعليه جاءت هذه الجداريّة لتوقظ النّفس من غفلتها وتحذّرها من حرام قد تقترفه، فمنهنّ من غيّبن هذا الحكم وتجاهلن عواقبه، دون أيّ اِعتبار للحلال والحرام، وفي السّياق ذاته جاءت هذه الكتابة: "**الذي يحب الله يرى كلّ شيء جميلا أحمد الله**".

وكذلك نجد كتابات مثل "**كلّ واحد يلتها بهمو**"؛ في دعوةٍ إلى اِنشغال كلّ واحد بشؤونه الخاصّة وترك النّاس بهمومهم وأشغالهم وحياتهم، فمن شيم المسلم عدم التّدخّل في شؤون غيره، وذلك اقتداءً بكلام الحبيب المصطفى ﷺ في قوله: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

4.4 موضوع التّوعيّة المروريّة: كذلك نجد هذا النّوع من التّوجيه والتّوعيّة في الكتابات الجداريّة، خاصّة بعد التّعديلات التي طرأت على الكتاب المدرسي

في الآونة الأخيرة والتي تميّزت بإدراج الثّقافة المروريّة في المناهج التّعليميّة فسعت هيئات خاصّة إلى اِستعمال الجدار لنشر عدد من الكتابات الإرشاديّة والرّسومات التّوضيحيّة في المجال المروري، لتوجيه التّلميذ وتثقيفه من هذا الجانب، وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الكتابات منتشرة أكثر أمام المؤسّسات التّعليميّة والمدارس، نظرًا للاِكتظاظ الذي تشهده هذه الفضاءات وكثرة الحوادث فيها، نحو ما تبيّنه الصّور الآتيّة:

الصّورة رقم 01

الصّورة رقم 02

لا تجري ولا تلعب في الطّريق (Ur tazal ur turar g ubrid sexdem abrid iwulmen i tikli udar).

جاءت الصّورة الأولى مزدوجة اللّغة بين العربيّة الفصحى **(لا تجري ولا تلعب في الطّريق)** والأمازيغيّة **(tazal ur turar g ubrid Ur)**، وهذا الشّق الأمازيغي ما هو إلّا ترجمة مكافئة للشقّ العربي وبالتّرتيب ذاته، حيث أنّ أداة النّفي (Ur) تقابل (لا) في العربيّة، وكذلك الفعل (tazal) يقابل (تجري) و(turar) يقابل (تلعب)، والحرف (g) يقابل (في)، أمّا الكلمة (ubrid) تقابل (الطّريق)*، والأغلب أنّ هذه الجداريّة موجّهة إلى التّلميذ المتمدرس في المراحل التّعليميّة الأولى بشكلٍ خاصّ، وذلك بدليل اِستعمال كلمتي (الجري) و(اللعب) حيث توصيه بعدم اللعب في الطّريق مع عدم الجري فيه باستخدام حرف النّهي (لا) و(ur) بالأمازيغيّة.

في حين أنّ القارئ في الصّورة الثّانيّة مجهول أو عامّ، فترجمة العبارة (**sexdem abrid iwulmen i tikli udar**) كالآتي: (**اِستعمل الطّريق الملائم للراجلين**)، وقد تكون هذه الجملة عامّة في خطابها، موجّهة لكلّ قارئ أو مارٍّ من هذا الطّريق، إذ تحثّه على استعمال الرّصيف أو الطّريق الخاصّ بالرّاجلين. وفي السّياق ذاته تأتي الجداريات الآتيّة المبيّنة في الصّور أدناه:

لا تعبر الطّريق إلا حذرا من لا يحذر يلقى الخطر (stop accidents)

كفى حوادث (barka laksidat).

تتّفق الصّورتان في موضوعهما وإن اِختلفتا في قالبهما اللغوي، فقد جاءت الصّورة الثّالثة باللّغة العربيّة الفصحى (**لا تعبر الطّريق إلا حذرا من لا يحذر يلقى الخطر**)، بينما جاءت الصّورة الرّابعة متعدّدة اللغات بين الفرنسيّة (**stop accidents**) والعربيّة الفصحى (**كفى حوادث**) والأمازيغيّة (**barka laksidat**)، وفي هذا تنبيه إلى الأخذ بالاِحتياطات اللازمة أثناء اِستعمال الطّريق، خاصّة الطّريق الخاصّ بالسّيارات، أين يكون الاِجتياز صعبًا على الأطفال وصغار السّنّ عامّة، كلّ هذا سعيًا لنشر ثقافة الحذر لتفادي حوادث المرور والتّقليل من أخطارها.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ كلّ صورة أُرفِقت برسمة إلى جانب الكتابة فنجدها تخاطب حتى الشّخص الذي لا يعرف القراءة والكتابة، فيفهم من خلال تلك الرّسمة المرفقة، التي تعبّر عن المضمون الذي تتحدّث عنه العبارة، ففي

الجداريّة الثّالثة مثلًا، نلاحظ شخصًا كبيرًا يمسك بيد شخص صغير يساعده على المرور أمام السّيارة، فالصّورة –على الأغلب –تجسّد حالة أب (والدّ) مع اِبنه، يعلّمه كيفيّة اِجتياز الطّريق بأمان، وتحتوي الجداريّة الرّابعة على رسمة مجسّدة لحادث مرور أُصيب فيه شخص ربّما لأنّه لم يكن حذرًا عند قطعه للطريق.

5.4 موضوع التّوعيّة الذّاتيّة (الشّخصيّة): تندرج ضمن هذا الصّنف كتابات عدّة، أهمّ ما يميّزها اِستعمال الألوان خاصّة اللون الأسود، نظرا لقدرته على الجذب ولفت الانتباه على نحو: "**الشّارع لا يرحم**"، "**عيش راجل صديقي**" غرضها تقديم النّصح للقارئ وتوجيهه إلى كيفيّة التّعامل سواء مع نفسه أم مع غيره ومع كلّ ما يحيط به، فإن لم تكن ذئبا أكلتك الذّئاب على حدّ تعبير أحد المغرفتين "**كن ذئبا حتى لا تأكلك الذّئاب**" في إشارة إلى طبيعة بعض البشر مع ضرورة أخذ الحيطة والحذر منهم.

6.4 موضوع التّوعيّة التّعليميّة: نجد اللوحة الفنيّة المعروضة في هذا الصّدد على أحد جدران مدرسة ابتدائيّة في قريّة نائيّة، جاءت بلغة أمازيغيّة مكتوبة بخطّ لاتيني (**Tamusni**)؛ بمعنى "**العلم**" أو "**المعرفة**"، طغت عليها الألوان، ومدوّنة على راية باخرة في البحر، كدلالة على أنّ العلم سبيل النّجاح مثلما تبيّنه الصّورة الآتيّة:

وكذلك نجد العبارة المكتوبة باللّغة العربيّة الفصحى: "**بالعلم تجذب العقول وبالأخلاق تجذب القلوب**"، والجداريّة المزدوجة اللّغة بين الفرنسيّة والأمازيغيّة: **(l'école c'est le pilier de l'État Aɣerbaz d ajgu n tmurt)** وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الشّقّ الأمازيغي ما هو إلّا ترجمة للشقّ الفرنسي وعليه فترجمة العبارة إلى العربيّة هي: "المدرسة عمود الدّولة" مثل ما توضّحه الصّورتان التّاليتان:

بناءً على ما سبق تبيّن لنا أنّ الكتابة على الجدران ليست فعلًا عشوائيًا، أو مجرّد خربشة لا طائل منها غير تخريب الفضاءات وتشويهها، إنّما هي فعلٌ واعٍ مقصود، يتمّ اِنتقاء موضوعه وفضائه بعناية وجمهوره، وما هذه الجداريات الأخيرة إلّا دليل على قمّة الوعي الذي تعكسه الكتابات، والذي تسعى إلى تثبيته في أذهان المواطنين ونشره بينهم، وذلك باستعمال مختلف اللغات المتاحة في

رصيد المتكلّم الجزائري اللغوي، سواء باستعمال الأحاديّة اللغويّة في كثير من الخطابات، أم بالمزج بين اللغات في أحيان أخرى.

4. خاتمة: من خلال ما تمّ عرضه سابقًا نستنتج أنّ الكتابات الجداريّة ظاهرة لغويّة اِجتماعيّة تمتدّ لأبعاد عديدة، ووسيلة اِتّصال جماهيريّة غير رسميّة، يتّخذها الشّباب ملجأ لهم للتعبير عن مختلف القضايا التي يعاني منها الفرد والمجتمع على حدّ سواء.

تؤثّر الجدران على القيم الاِجتماعيّة في المجتمع، إذ تتدخّل في قضايا التّربيّة والتّنشئة الاِجتماعيّة للأفراد، وفي تكوين ثقافة المجتمع، كما تسهم في توجيه رأيه وتوعيته ناحيّة العديد من القضايا التي تصبّ في عمق المجتمع كالجانب السّياسي، الدّيني، الأخلاقي، البيئي، المروري وغيرها.

تخدم الممارسة الغرافيتيّة المجتمع من عدّة جوانب باعتبارها تؤدّي وظيفة المُخبِر، كما تسهم في تسريع انتشار المفاهيم الاِجتماعيّة، السّياسيّة، الثّقافيّة وغيرها، كالحملات الإعلانيّة والإعلاميّة التي رصدناها على الجدران خاصّة في فترة الحراك، التي أسهمت بدورها في بلورة الرّأي العام، وتوحيد صفوف الجماهير على فكرة الرّأي الواحد، بسبب الاِنتشار الهائل للكتابات السّياسيّة.

كذلك تلفت هذه الظّاهرة الاِنتباه إلى القضايا الأساسيّة المطروحة في المجتمع، وتثقّف الفرد فيها كالجانب البيئي والأخلاقي، حيث تنمّي شعور الاِنتماء لديه وتحسّسه بضرورة المحافظة على الفضاءات واِحترام قواعد النّظافة العامّة وغيرها، وذلك عن طريق إمداده بمجموعة من المعلومات الثّقافيّة والتّوجيهات التي تأتي –غالبًا–في شكل صيغ التّحذير والنّهي والمنع...

5. قائمة المراجع:

-Arav Benyounés, dictionnaire trilingue de la langue tamazight le petit taralsan illustré, les éditions entre-parenthéses et BYEditions

–Bureau Des Etudes Et Recherches, Le Dictionnaire Français-Arabe, Dictionnaire Générale Linguistique Technique Et Scientifique, 2éme Edition, Beyrouth, Liban, Dar Al-Kotob Al-Lilmiyah, 2004, P399.

–Ernest Pignon Ernest, Le Street Art Ou Art Urbain, Arts Visuels, 18/11/15, P02.

–Fatma Ousedik, Raconte-Moi Ta Ville, Essai Sur L'appropriation Culturelle De La Ville d'Alger, Coauteurs: Rachid Sidi Boumediene/ Bahdja Amrouni/ Kahena Ouchalal/ Karima Magtef, Alger, ENAG Editions, 2008, P115.

–Karim Ouras, Les Graffiti De La Ville D'Alger Carrefour De Langues, De Signes Et De Discours _Les Murs Parlent…_, Insaniyat, N°S 44-45, Avril - Septembre 2009, P 159.

–باسم العتوم، محمّد أبنيان، الكتابات والرّسومات الجداريّة في مجتمع جامعي _دراسة ثقافيّة اجتماعيّة للظاهرة في جامعة العلوم والتّكنولوجيا الأردنيّة_، أبحاث اليرموك سلسة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2009، ص599.

–بوعلام باي، ملامح المُمارسة الغرافيتيّة بالمجتمع الجزائري _ محاولة تأريخيّة_ مجلّة الحوار الثّقافي، مجلّد 1، عدد1، 2012، ص192.

–محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السّياسيّة من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك، ط1، الجزائر، دار الفاروق للنشر والتّوزيع، 2015 ص27.

–نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وارهاصات الحاضر ص85.

–نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر مجلّة الدّراسات والبحوث الاِجتماعيّة، المجلّد 8، العدد 1، مارس 2020، ص84.

6-الهوامش:

[1]-محمد بن عميرة، لطيفة بشاري بن عميرة، تاريخ بجاية في ظل مختلف الأنظمة السّياسيّة من عهد القرطاجيين إلى عهد الأتراك، ط1، الجزائر، دار الفاروق للنشر والتّوزيع 2015 ص27.

2-Bureau Des Etudes Et Recherches, Le Dictionnaire Français- Arabe Dictionnaire Générale Linguistique Technique Et Scientifique, 2éme Edition, Beyrouth, Liban, Dar Al-Kotob Al-Lilmiyah, 2004, P399.

3 -Ernest Pignon Ernest, Le Street Art Ou Art Urbain, Arts Visuels 18/11/15, P02.

[4]- نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وإرهاصات الحاضر مجلّة الدّراسات والبحوث الإجتماعيّة، المجلّد 8، العدد 1، مارس 2020، ص84.

[5]-باسم العتوم، محمّد أبنيان، الكتابات والرّسومات الجداريّة في مجتمع جامعي _دراسة ثقافيّة اجتماعيّة للظاهرة في جامعة العلوم والتّكنولوجيا الأردنيّة_، أبحاث اليرموك سلسة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2009، ص599.

[6]-نورة عامر، الكتابات الجداريّة في الجزائر ما بين تراث الماضي وارهاصات الحاضر ص85.

7 -Fatma Ousedik, Raconte-Moi Ta Ville, Essai Sur L'appropriation Culturelle De La Ville d'Alger, Coauteurs: Rachid Sidi Boumediene/ Bahdja Amrouni/ Kahena Ouchalal/ Karima Magtef, Alger, ENAG Editions, 2008, P115.

[8]- بوعلام باي، ملامح المُمارسة الغرافيتيّة بالمجتمع الجزائري _ محاولة تأريخيّة_ مجلّة الحوار الثّقافي، مجلّد 1، عدد1، 2012، ص192.

9 -Karim Ouras, Les Graffiti De La Ville D'Alger Carrefour De Langues, De Signes Et De Discours _Les Murs Parlent…_, Insaniyat N°S 44-45, Avril - Septembre 2009, P 159.

*الحراك: حركة ثوريّة شعبيّة سلميّة، اندلعت يوم 22 فيفري 2019، يطمح من خلالها الشّعب إلى بناء جمهوريّة ديموقراطيّة خاضعة لإرادة الشّعب، من مطالبها رفض ترشُّح الرّئيس السّابق عبد الغزيز بوتفليقة لعهدة خامسة.

*– لمزيد من التّفاصيل حول ترجمة الكلمات الأمازيغيّة، يُنظر:

Arav Benyounés, dictionnaire trilingue de la langue tamazight le petit taralsan illustré, les éditions entre-parenthéses et BYEditions.